

www.alrased.net

سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة | العدد ١٣٦ | شوّال ١٤٣٥ هـ

شبهات المتعاطفين مع دولة البغدادي (داعش)

الإسلاميون ومراكز البحث الأمريكية

إيران والإرهاب.. ممارسة وتوظيفا

غزة تفضح الأدعياء

المحتويات

فاتحة القول

فرق ومذاهب

سطور من الذاكرة

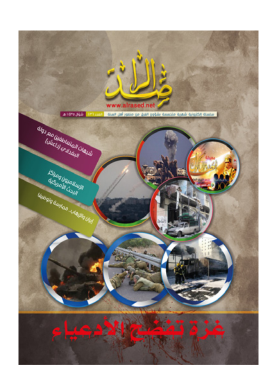
دراســــات

كتاب الشهر

قالوا

جولة الصحافة





رسالة دورية تصدر بداية كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١٣٦)
شوال- ١٤٣٥ هـ

www.alrased.net
info@arased.net

غزة تفضح الأدعياء

العدوان الإسرائيلي الجديد على غزة في رمضان هو جريمة وحشية جديدة تضاف لسجل اليهود والإسرائيليين المعاصرين، هؤلاء الوحوش الذين يجسدون في كل يوم أبشع الأكاذيب التي حرفوها في التوارة، وحولوه من كتاب إلهي لهداية البشر إلى وصفات إجرامية عنصرية، ويقود ذلك حاخاماتهم وزعاماتهم.

فالجريمة الوحشية والغادرة بحق الفتى المقدسي محمد أبو خضير والذي أرغم على شرب البنزين ثم صب عليه وأحرق حياً من المشاركين بهذه الجريمة أحد حاخاماتهم، بينما حاخام مستوطنة «كريات أربع» في مدينة الخليل دوف ليئور والذي يعد واحدا من أهم حاخامات الصهيونية الدينية في إسرائيل فقد أرسل فتوى إلى وزير الحرب الإسرائيلي تحث وتبيح لجيش الاحتلال قتل المدنيين الفلسطينيين وتفجير المناطق المأهولة بالسكان في قطاع غزة، وتهجيرهم، كما تبيح الفتوى منع الإمدادات والمؤن والكهرباء عن غزة كلها، وحذر الحاخام من أي نزعة تجاه الفلسطينيين.

وهذا تجسيد لحقيقة العداء اليهودي لكل البشرية بناء على عقائدهم الدينية العنصرية، والتي تجعل من الناس بهائم خلقت لخدمتهم، وأنهم هم شعب الله المختار، وقد بلغ من عدوان اليهود أنهم يكذّبون الأنبياء ويقتلونهم، كما قال تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴿٢١﴾﴾ [آل عمران: ٢١]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [المائدة: ٧٠].

ولذلك لا نتوقع من اليهود إلا العدوان والغدر والخسة، ولن يجدي معهم إلا القوة والجهاد، وعندها تتنزل الرحمة عليهم، لأن المسلمين سيمنعونهم من أذية أنفسهم بأذية الناس، ولأن المسلمين لن يعاملوهم بالظلم برغم جرائمهم، فالتاريخ يشهد أن المسلمين حين انتصروا على اليهود بعد غدرهم المتكرر، لم يعاقبوا إلا المجرمين منهم، ورحموا الصغار والنساء والأطفال، ولم يكن لهم مكان آمن في العالم إلا في بلاد المسلمين، والتاريخ يشهد أن كل كوارث اليهود – بسبب جرائمهم وخسة طباعهم- حدثت لهم من غير المسلمين في القديم والحديث، أليست كنائس وملوك أوربا هم الذين نصبوا لهم محاكم التفتيش، أو قياصرة روسيا، أو هتلر زعيم ألمانيا هو الذي طاردهم ونكل بهم!!

ولكن لما كانت القضية الفلسطينية قضية حق وعدل فقد تشبث بها بعض الأدعياء، ليمرروا من خلالها باطلهم وانحرافهم بين المسلمين، وهم أصناف عدة، نفصلهم فيما يلي:

أولاً: الشيعة وإيران وحزب الله ومحور الممانعة الذي تتزعمه

وهؤلاء أثبت العدوان الإسرائيلي على غزة في سنة ٢٠٠٨ وهذه السنة ٢٠١٤ أنها تتلاعب بنصرة فلسطين والأقصى إعلامياً وسياسياً لتحقيق مصالحها هي على حساب دماء الفلسطينيين.

وبداية لابد أن نتفق على أن قضية فلسطين قضية حق وعدل لا ينصرها ظالم ومبطل أبداً، وإيران والشيعة وحزب الله وبقية المحور من الفصائل الفلسطينية كالجبهة الشعبية والنظام السوري والميلشيات الشيعية العراقية ونظام المالكي، كلها والغة في الظلم والجور تجاه خصومها من الشيعة والسنة، فالأقليات الشيعية غير الفارسية في إيران لا تحصل على حقوقها، وكذلك المعارضة السياسية المدجنة تلاقي الويل، وكذلك خصوم حزب الله والمالكي من الشيعة والسنة يصب عليهم الظلم صباً، فكيف لهؤلاء أن يكونوا مناصرين للحق والعدل وهم ظلمة جائرون؟!!

ثم ثبت للجميع أن الدعم الإيراني والشيعي لحركتي حماس والجهاد مرتبط بمدى تبعيتهما المطلقة لإيران،

فحين تمردت حماس على رغبة إيران بدعم إجرام بشار الأسد ضد الشعب السوري وآثرت إعلان الحياد، تم قطع المعونات عنها ووصمها بالعمالة والخيانة، ولعل خطاب بشار الأخير – بعد مهزلة الرئاسة الثالثة- ومقابلة أحمد جبريل على قناة المنار عقب العدوان الإسرائيلي، واللذين كالا فيهما الشتائم والاتهامات لحماس بخيانة المقاومة والممانعة أكبر دليل على ذلك!!

وفي حين يكتفي جيش بشار وحزب الله وفيلق القدس الإيراني بعد الضربات الإسرائيلية لدمشق دون رد، فإنهم لا يكلون ولا يملون من قتل الشعب السوري بالأسلحة الكيماوية والبراميل المتفجرة، فكيف يظن عاقل أن هؤلاء سينصرون غزة من صواريخ وعدوان إسرائيل؟

إن ممانعة ومقاومة هؤلاء لإسرائيل لا تتعدى المقاومة بالخطابات والتصريحات والاتصالات الهاتفية، وما قدموه من مال أو سلاح لم يكن مجاناً بل كان للحصول على الشعبية الرهيبة بين المسلمين، والتي برغم الجرائم الطائفية المتواصلة لإيران وحلفائها من سنوات في العراق وسوريا، لا يزال البعض يشيد بإيران ودورها، وذلك طالما أن أمثال قادة حركة الجهاد مستمرون في غسيل سمعة إيران الوسخة.

إن من يقيم المجازر للفلسطينيين طيلة تاريخه في لبنان وسوريا والعراق لن ينصر فلسطين وغزة.

ثانياً: أهل الغلو والتطرف كالبغدادي الخليفة المسردب

من المصائب الجديدة على أمتنا ظهور أهل الغلو والتطرف من حملة فكر ومنهج الخوارج بقوة في هذه المرحلة، وهذا الظهور ليس ظهوراً فكريا وإعلاميا فحسب كما كان الحال قبل بضعة عقود، بل أصبح ظهورا يمتلك المال والسلاح، ولكنهم يوجهونه لصدور المسلمين، كما أخبرنا النبي ﷺ عنهم «يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان».

وقد تسبب ظهورهم في العراق والشام بضرب المقاومة السنية هناك بحجة كونهم مرتدين وصحوات ثم بحجة كونهم رافضين لولاية دولتهم ثم تصاعد بهم الجنون فأعلنوا عن خلافة لا عنوان لها، وكفروا من لم ينضم إليها واستباحوا دماء المعترضين وأموالهم وأراضيهم، كل هذا ودولة الخليفة المزعومة في مأمن من قصف نظامي بشار والمالكي، بينما تتواصل البراميل المتفجرة على رؤوس المعارضين لها من قبل المالكي وبشار، ولا ندري هل بايع المالكي وبشار الخليفة، أم أن الخليفة مجتهد من نفسه في الدفاع عنهما في وجه الثورة الشعبية السنية؟؟

إن هؤلاء الغلاة من داعش وأمهم القاعدة لا نصرة ترتجى منهم لفلسطين وغزة، وذلك أن منهجهم يقوم على انحراف وغلو وتطرف، فالقاعدة ترى كفر قيادة حماس السياسية على الأقل وإن لم تصرح بذلك مباشرة وعلانية، **ولكن فكرهم هو الذي أنتج فكر داعش وغلوها وتطرفها، ولما حاولوا تعديله تأبت عليهم ونبذتهم**، وإذا ما وصلت القاعدة أو داعش لفلسطين وغزة، فلن ينتجوا إلا الثمرة المرة التي أنتجوها في العراق والشام، فداعش أعلنت خلافتها، وبدلاً من مواصلة الطريق لبغداد بعد الموصل السنية، عادت أدراجها (لتحرير) دير الزور من المجاهدين والقاعدة/ جبهة النصرة! فردت عليهم جبهة النصرة بالتحضير لإعلان إمارة في الشام والصدام مع بقية الفصائل الإسلامية والوطنية!

كيف نرتجي نصرة فلسطين وغزة من قوم يرون أن قتال حماس المرتدة أولى من قتال اليهود!!

ثالثاً: أبواق العلمانية المخذلة والخائنة

فضح العدوان على غزة كثيرا من الأبواق العلمانية التي كانت تزعم دعم القضية الفلسطينية والحرص عليها، فلما تيقنوا أن المد الإسلامي سيهدد وجودهم ونفوذهم وسلطتهم، التي ما حصلوا عليها إلا بالتحالف مع أنظمة الاستبداد والفساد، ضاربين بعرض الحائط كل المبادئ التي يتشدقون بها من الديمقراطية والحرية والشفافية.

فخرجت هذه الأبواق تستهزئ بالمقاومة في غزة وصواريخها، وتشيع في الناس أن أهل غزة اعتدوا على جيرانهم الإسرائيليين، وأنهم طماعون ويحاولون الاستيلاء على حقوق اليهود في فلسطين، بمطالبتهم برفع الحصار الظالم على غزة من سنين، أو حين لا يقبلون بدفن شهدائهم وهم سكوت بل يصرون على قصف اليهود وقتل الجنود!

وقد تكفل بالرد على هؤلاء بعض عقلاء اليهود والإسرائيليين الذين يدركون أن التمادي في الظلم والباطل سيعجل بزوال دولتهم الباطلة، لأنهم حريصون على طول بقائها.

رابعاً: أصحاب النظرات القاصرة والفهوم الكليلة والهمم الخسيسة

العدوان على غزة فضح بعض أدعياء العلم والفهم الذين يسعون في إشاعة القبول بالهوان والرضى بالدون، بحجة أن هذا هو الممكن والمقدور عليه، وبرغم أنهم يدعون الانتساب للسلفية إلا أن موقفهم هذا هو عين موقف غلاة الصوفية المنحرفة عبر التاريخ والتي كانت تنادي بالرضى بحكم الكفار والغزاة بحجة القبول بالقضاء والقدر!

ولكن بحمد الله أن الله عز وجل قد فضح كل هؤلاء، فتجاوزتهم الأمة ومضت في طريق المجد بإذن الله.

تجمع علماء الشيعة في الكويت... الوجه الناعم للطائفية

معتز بالله محمد(*) - خاص بالراصد

تأسس ما يسمى بـ «تجمع علماء الشيعة في الكويت» عام ٢٠٠١ على يد أمينه العام محمد باقر المهري، وكيل المرجع الشيعي علي السيستاني بالكويت، وتقتصر عضويته على علماء الدين، وله نشاط إعلامي واسع؛ وهو يحمل أهدافا كعادة الهيئات والتجمعات الشيعية في البلدان العربية تتناقض في معظمها مع واقعها، وممارساتها على الأرض.

ومن أبرز أهداف التجمع المعلنة والمفترضة مناهضة الممارسات الطائفية والتصدي للتطرف الديني وإبراز دور الطائفة الجعفرية في المساهمة بالتطوير الحضاريِّ الإسلاميّ، والعمل على نشر الوعي الثقافيِّ الإسلاميِّ عن طريق لغة الحوار، وتثقيف المجتمع، والمشاركة في تأسيس، ودعم المشروعات الشيعية بشكل خاصٍ والإسلامية بشكل عامّ داخل الكويت، والدفاع عن التمثيل السياسي للشيعة في مؤسسات الحكم الكويتي.

ويلاحظ أن هذا التجمع لا يمثل كيانا فعليا كبيرا يعبر عن عموم شيعة الكويت، رغم ادعاء رموزه ذلك، حيث أكد الكثيرون من القيادات الشيعية الكويتية في مناسبات مختلفة أنه لا يعبر إلا عن نفر محدود من الشيعة.

شخصية جدلية

ولعل النشاط الإعلامي هو أكثر ما يميز تجمع علماء الشيعة في الكويت، لكن الظهور المتكرر لأمينه العام المهري في وسائل الإعلام وإصداره بيانات بنكهة طائفية لا تقتصر فقط على الشأن الكويتي بل تتعداه لمختلف القضايا الخارجية، لاسيما في المنطقة العربية، قد جعل الرجل- الذي يتظاهر بالحرص على وحدة الصف السني والشيعي- يدخل في صدامات واشتباكات إعلامية على خلفية اللغة الحادة التي يتبناها، وشخصيته المثيرة للجدل التي كثيرا ما تدخل شيعة الكويت عن بكرة أبيهم في إشكاليات عديدة.

ولا يكاد يخلو يوم دون قيام باقر المهري الذي ينصب نفسه ناطقا باسم الشيعة في الكويت- وهو بالمناسبة من المقربين إلى دوائر الحكم- بتحريض الحكومة على الجماعات السنية وعلماء السنة.

الكثير من المحللين اعتبروا أن تجمع علماء الشيعة في الكويت يهدف في الأساس من وراء الظهور الإعلامي المكثف لأمينه العام إلى الضغط على الحكومة وإشعارها أن الشيعة متواجدون ولهم صوت عال، وأنهم معنيون بالرد والتعبير عن آرائهم

(*) كاتب مصري.

على أي موضوع يتم طرحه على الساحة أو خارجها، بغرض الحصول على المزيد من المكتسبات.

توغل واختراق

ولا يخفى على أحد حقيقة التوغل الشيعي في الكويت، والطفرة التي حققها الشيعة على كافة الأصعدة الدينية والثقافية والإعلامية وكذلك الاقتصادية والسياسية خلال السنوات الأخيرة رغم أنهم يمثلون ما بين ٢٠ - ٣٠٪ فقط من إجمالي عدد السكان.

فقد انتشرت المكتبات الشيعية في عدد من مناطق الكويت خاصة في الجابرية والسالمية والرميثية وبنيد القار، وهناك نشاطات واسعة لتوزيع الكتب والأشرطة لاسيما على الوافدين من الدول العربية وتضاعفت أعداد المساجد والحسينيات المرخصة وغير المرخصة في كافة المناطق، كذلك أسس الشيعة العديد من المنابر الإعلامية كقناة الأنوار وقناة أهل البيت وقناة المعارف إضافة لاختراقهم معظم وسائل الإعلام الرسمية والخاصة، علاوة على إصدار عدد من الصحف اليومية كالنهار والدار.

علاقات ودية

وبالعودة إلى دور التجمع يتضح أن أمينه العام اعتاد استغلال العلاقات الودية التي تتعامل بها السلطات الكويتية مع الشيعة في دعم نوابهم في مجلس الأمة والسعي للعب دور سياسي أكبر، وكذلك وهو الأهم في الدعوة علانية لنشر التشيع بين السنة تحت غطاء الوحدة الوطنية، فعلى سبيل المثال قام المهري قبل عامين بدعوة جميع طبقات وأطياف الشعب الكويتي لحضور مجالس عاشوراء، وقال في بيان له: «نحن ندعو جميع طبقات وأطياف الشعب الكويتي من السُنة والشيعة إلى الحضور في هذه الحسينيات؛ ليشاهدوا وليستمعوا إلى ما يقوله الخطباء وما يفعلونه في هذه الأماكن المقدسة الشريفة».

هل من مزيد؟

بل ذهب المهري لأبعد من هذا بالمطالبة بإعلان يوم عاشوراء (١٠ محرم) عطلة رسمية في البلاد وقال: «نطالب مرة أخرى بإعلان عاشوراء يوم الحزن والمأساة وتعطيل الوزارات والدوائر الرسمية بحيث يكون عاشوراء عطلة رسمية احترامًا لدماء شهداء كربلاء وتكريمًا لرسول الله صلَّى الله عليه (وآله) وسلَّم».

لكن فتاوى وتصريحات تجمع علماء الشيعة في الكويت والتي تأتي على لسان أمينه العام تدحض ادعاءات التجمع بالعمل على التقريب بين المسلمين والسعي لتحقيق الوحدة الإسلامية، إذ أنها دائما ما تحمل الطابع الطائفي، ودعم الشيعة في الداخل والخارج على حساب أهل السنة وقضاياهم.

التجمع والمالكي

فبتاريخ ٢٠١٤/٦/٢٠ أشاد المهري بما سماه دعم الكويت لرئيس الحكومة العراقية الطائفي نوري المالكي في مواجهة الثورة السنية وما يسمى بتنظيم «داعش» وقال في تصريح له: «نشيد بموقف حكومة الكويت المساند والداعم للحكومة العراقية المتمثلة بالسيد نوري المالكي حيث أجرى سمو رئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر المبارك اتصالا هاتفيا مع رئيس الحكومة العراقية أكد فيه وقوف الحكومة الكويتية ضد التنظيمات الإرهابية وحرصها على الأمن والاستقرار والطمأنينة في العراق الشقيق حفاظا على سيادة ووحدة أرضيه واستقلاله» أ.ه.

هذا التصريح أثار موجة من الجدل داخل الكويت وكتب «داود البصري» في صحيفة السياسة الكويتية يقول: «للسيد محمد باقر المهري وكيل المرجعيات الشيعية في الكويت تعليقات غريبة، وتحركات أشد غرابة، فقد اختفى الرجل حينا من الزمن إعلاميا، وتوقف عن بث بياناته الفاكسية الشهيرة، والتزم الصمت شبه التام بعد

روايته الشهيرة قبل ثلاثة أعوام والتي ادعى فيها، وقتذاك، بعد أن قابل الرئيس السوري بشار الأسد أنه قد قال له إنه حلم به وهو يمتشق سيف الإمام علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) ويحارب به أعداءه! وقتذاك أنكر المهري صحة تلك الرواية رغم شيوعها واكتفى بالصمت الرهيب! رغم أن مواقفه معروفة وهي لن ولم ولا تخرج عن سياق مواقف إيران وحلفائها في المنطقة، وتلك من طبائع الأمور ومقتضيات الأحوال».

وأضاف البصري في المقال المنشور بتاريخ ٢٠١٤/٦/٢٩: ويبدو أن التطورات العسكرية الساخنة الأخيرة في العراق، والنجاح الكبير الذي حققه رئيس الحكومة العراقية الفاشل نوري المالكي في وضع العراق على سكة الحرب الطائفية الأهلية اللعينة، وتسببه بالهزيمة المرة للجيش العراقي في الموصل وشمال غرب العراق، إضافة إلى وقوفه المباشر بسياسته العجفاء خلف الحرب الطائفية الدائرة هناك قد أثارت وشحنت همة المهري فخرج من جديد ببيان مدهش يبارك فيه لرئيس الحكومة الكويتية الشيخ جابر المبارك الصباح موقفه المؤيد، كما قال لنوري المالكي في مواجهة «داعش»! رغم أن دولة الكويت ليست طرفا في النزاع العراقي الداخلي، ولا علاقة لها ولا لحكومتها بما يدور من صراع دموي شرس، كما أن موقفها العام لا يختلف عن موقف بقية دول «مجلس التعاون» الخليجي، وخصوصا الموقف السعودي الرافض لأساليب المالكي في توزيع ولصق صفة الإرهاب بمخالفيه».

تدخل سافر

لكن وفي المقابل لا يتورع رئيس تجمع علماء الشيعة عن انتقاد كافة السياسات التي يرى أنها تقف في وجه المشروع الشيعي بالمنطقة، ففي ٢٠١٤/٢/٨ طالب المهري بإلغاء الاتفاقية الأمنية الخليجية التي قال إن باطنها فيه الحرمة وظاهرها فيه العذاب كونها تخالف روح الدستور الكويتي وسيادة الدولة لتضييقها على الحريات ومخالفتها لحقوق الإنسان وإهانتها لكرامته على حد زعمه، وذلك في إشارة إلى البند الخاص بتسليم المحكومين. يشار إلى أن المهري كان قد عارض أيضا وبشدة فكرة إقامة فيدرالية خليجية.

كراهية الإخوان

ويتضح من موقف التجمع وقوفه بشدة في وجه أي نظام إسلامي سني، كنظام الإخوان المسلمين الذي حكم مصر لمدة عام قبل إسقاطه على يد المشير عبد الفتاح السيسي.

فما أن استولى العسكر على الحكم في مصر حتى سارع المهري إلى الخروج بتصريح بلسان شيعة الكويت قال فيه: إن موقفنا هو تأييد ودعم الجيش المصري الشجاع بقيادة المشير عبدالفتاح السيسي ضد العنف والإرهاب والطائفية.

تناقضات صارخة

لكن الطائفية التي يتحدث عنها المهري هي نفسها التي دفعته عام ٢٠٠٦ إلى الإفتاء بحرمة التبرع لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) لمجرد نعيها زعيم تنظيم القاعدة في العراق أبو مصعب الزرقاوي، مؤكدا «حرمة التبرع ولو بفلس واحد» للحركة التي اعتبرها داعمة للإرهابيين.

الوجه الآخر
٩- نعيم قاسم

هيثم الكسواني(*) – خاص بـ «الراصد»

[سلسلة تتناول شخصيات شيعية معاصرة إلتبست حقيقتها على أهل السنة، فتكشف عن المجهول من معتقدها وفكرها، ونظرتها إلى السنة وأهلها]

يعتبر الشيخ نعيم قاسم الرجل الثاني في حزب الله اللبناني، فهو يتولى منصب نائب الأمين العام منذ فترة ليست بالقليلة، لذلك فإن منهج الحزب وسياساته تشكل معيارا مهما للحكم على قاسم، ودراسة شخصيته التي استفادت من الشعبية الجارفة التي حظي بها حزب الله وأمينه العام حسن نصر الله في وقت من الأوقات، حتى اندلاع الثورة السورية في بداية عام ٢٠١١م، والتي نزعت عن الحزب وقياداته ورقة التوت التي كانوا يستترون بها.

وإضافة إلى موقفه من الثورة السورية، نتناول في هذا المقال موقف قاسم من ولاية الفقيه، وتبعيته لإيران وقائدها، وموقفه من مخالفيه من السنة والشيعة، ونظرته إلى التراث الشيعي، والتاريخ الإسلامي.

أولاً: حياته ونشأته

ولد نعيم قاسم في قرية كفر فيلا، في النبطية، في جنوب لبنان سنة ١٩٥٣م، وأتم دراسته الجامعية في الكيمياء من الجامعة اللبنانية، وبالتزامن مع ذلك درس العلوم الدينية على يد عدد من شيوخ الشيعة في لبنان، وهو أحد الذين ساهموا في تأسيس حركة المحرومين بقيادة موسى الصدر (قبل أن تتطور لتصبح حركة أمل)، وكذلك أحد المؤسسين لحزب الله، ويتولى فيه منصب نائب الأمين العام منذ سنة ١٩٩١م.

صدر له عدد من المؤلفات، منها: عاشوراء مدد وحياة، معالم للحياة من نهج الأمير عليه السلام، شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين، حزب الله: المنهج التجربة المستقبل، الإمام الخميني الأصالة والتجديد، المهدي المخلّص، مجتمع المقاومة، وغير ذلك[1].

ثانيا: تبعيته لإيران وقائدها

إن الأمر **الأول** الذي يوضح تبعية نعيم قاسم لإيران هو أنه الرجل الثاني في حزب يدين بالطاعة المطلقة لإيران وقائدها باعتباره الولي الفقيه وولي أمر المسلمين الواجب اتباعه خلال غيبة الإمام الثاني عشر (المهدي المنتظر) حسب المعتقد الشيعي، وكما نصّ عليه أول بيان صدر عن حزب الله في فبراير/ شباط ١٩٨٥م، وجاء فيه: «إننا أبناء أمة حزب الله التي نصر الله طليعتها في إيران وأسست من جديد نواة دولة الإسلام المركزيّة في العالم ... نلتزم بأوامر قيادة واحدة حكيمة وعادلة تتمثل بالولي الفقيه الجامع للشرائط، وتتجسد حاضراً

(*) كاتب أردني.

(١) الموقع الرسمي لنعيم قاسم على شبكة الإنترنت.

بالإمام المسدد آية الله العظمى روح الله الموسوي الخميني - دام ظلّه- مفجّر ثورة المسلمين، وباعث نهضتهم المجيدة...»[1].

وقاسم نفسه تحدث عن دور إيران في تأسيس حزب الله، فقال: »... نجحت الثورة الإسلامية المباركة في إيران بقيادة الإمام الخميني (قده) سنة ١٩٧٩ فاستقطبت المؤمنين ... لم يكن الارتباط بالثورة موجوداً قبل ذلك ... ناقش الإسلاميون داخل أطرهم ومع بعضهم البعض كيفية النهوض ومواكبة متطلبات المرحلة في لبنان والاستفادة من التجربة والإشعاع الإيراني ... فقوي الاهتمام بضرورة تشكيل إسلامي موحد ... من أجل تحقيق هذه الأهداف تابع ممثلون عن المجموعات الإسلامية الرئيسة مناقشة أفكار عديدة حول رؤيتهم للعمل الإسلامي في لبنان، تمت صياغتها في ورقة نهائية ثم انتدبوا تسعة أفراد كممثلين عنهم ... ثم رفعوا هذه الوثيقة للإمام الخميني (قده) فوافق عليها فاكتسبت شرعية تبني الولي الفقيه لها، عندها قررت المجموعات الإسلامية الموافقة على الوثيقة حلّ تشكيلاتها التنظيمية القائمة وأنشئ تشكيل واحد جديد سمي لاحقاً باسم حزب الله».

والأمر **الثاني** أن اعتقاد قاسم بولاية الفقيه لا يختلف عن اعتقاد حزبه، إذ يرى أن سلطة الفقيه الإيراني على المسلمين هي سلطة مطلقة، بما في ذلك إعلان الجهاد، الأمر الذي يضع شكوكا كبيرة حول المقاومة التي طالما تباهى بها الحزب، وقرار الحرب والسلم، لارتباطها بالأجندة الإيرانية والولي الفقيه، ففيما يتعلق بالمقاومة، التي يسميها: الجهاد الدفاعي، يؤكد أنها لابد أن تحظى بموافقة الولي الفقيه ... ويقول: «لكن قرار الجهاد مرتبط بالولي الفقيه، الذي يشخص الحالة التي ينطبق عليها عنوان الجهاد الدفاعي، والذي يحدد قواعد المواجهة وضوابطها، فمسؤولية الدماء عظيمة، ولا يمكن زج المقاتلين في أي معركة دون الاستناد إلى ما ينسجم مع وجوب الجهاد فيها وما يحقق أهدافها.

وقد يختلف رأي بعض الفقهاء عن رأي الولي الفقيه، لكن رأيه ملزم لهم فهو المتصدي والمبايع من قبل الناس..»[2].

ومن جهة **ثالثة**، لا يكلّ نعيم قاسم من الثناء على إيران وثورتها وقائدها، ففي كلمة له على سبيل المثال بمؤتمر الصحوة الإسلامية الذي انعقد في طهران في ٢٠١٤/٣/١١ اعتبر أن الصحوة الإسلامية انطلقت بشكل فعال مع الخميني وثورته وأنها هي التي أحيت الدين مجددا وأعادت الناس إلى الدين وإلى رسول الله.

موقفه من الثورة السورية

شكلت الثورة السورية ورقة التوت التي طالما تستر بها حزب الله، فالسلاح الذي طالما أعلن الحزب أنه لمقاومة إسرائيل، يُوجه إلى الشعب السوري الثائر بوجه الأسرة الأسدية والنظام العلوي النصيري المستبد، إذ بعد فترة من الإنكار لأي دور للحزب في قمع الثورة السورية عاد الحزب للإعتراف - بعد تزايد الأدلة على تورّطه- بالمشاركة في الحرب إلى جانب النظام، والسبب في ذلك معروف وهو إنقاذ الهلال الشيعي الذي كاد يتهاوى تحت ضربات الثوار.

وقد أشار الشيخ محمد الجوزو مفتي جبل لبنان إلى شيء من عنجهية قاسم في التعامل مع الهيئات السنية ودار الإفتاء، فعندما سئل في مقابلة صحفية (الرأي - ٢٠٠٧/١/٢٨) عن تدخله وهو رجل دين في الأمور السياسية، واعتراضه المتكرر على حزب الله، تحدث بشيء من الأسى عمّا يلاقيه من حزب الله وقائديْه حسن نصر الله ونعيم قاسم، فقال: «رجال الدين أليسوا بشرا؟ أليسوا مواطنين؟ أليس من حقهم أن يمارسوا أبسط أمور الديموقراطية؟

(١) على حسن باكير، حزب الله تحت المجهر: رؤية شمولية مغايرة للعلاقة مع إسرائيل وإيران، شبكة الراصد الإلكترونية، ص ١٩.

(٢) نعيم قاسم، حزب الله المنهج التجربة المستقبل، دار الهادي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٢، ص ٥٠ وما بعدها.

حسن نصر الله يعمل الآن رئيسا لميليشيا وأنا لا أسميه زعيم حزب، لأن حسن نصر الله تحوّل من زعيم يريد محاربة إسرائيل إلى رئيس ميليشيا يحارب شعب لبنان ويحاول أن يدمر لبنان... وإذا لم أتكلم أنا، فمن الذي سيتكلم؟ هل نسكت جميعا ونترك حسن نصر الله و(نائبه) نعيم قاسم الذي ينط (يقفز) من خلف المنابر ويهدد... جميعهم يتحدثون بلغة فوقية وإملائية ... هل هذا كلام يجوز؟

ذهب غازي كنعان ورستم غزالة وجاء حسن نصر الله ونعيم قاسم ليمليا علينا ما يريدان؟ نحن لسنا عبيدا على الإطلاق، نحن أحرار وسندافع عن حرية اللبناني وكرامته».

موقفه من مخالفيه

اتسم نعيم قاسم بالحدّة مع مخالفيه، ولعلّ ذلك بسبب القوة التي يمتلكها حزب الله في لبنان، والغريب أن هذه الحدّة واللغة الإقصائية قد شملت الشيعة أيضا، ممّن لا يتفقون مع منهج حزب الله، فعلى سبيل المثال شنّ قاسم (والحزب) حملة عنيفة على مقلدي المرجع الشيعي اللبناني محمد حسين فضل الله، وعلى مؤسساتهم ومنابرهم الإعلامية، رغم أن فضل الله كان يُعتبر الأب الروحي لحزب الله، لا لشيء إلاّ لمخالفة فضل الله ومقلديه لمنهج حزب الله، وتشكيكهم ببعض العقائد الإمامية، وانتقادهم لبعض الانحرافات والغلو في الوسط الشيعي.

وقد ذكرت تقارير صحفية أن نعيم قاسم طلب بحدّة من علي فضل الله، النجل الأكبر لمحمد حسين فضل الله والمسؤول عن إدارة المؤسسات التابعة للمرجعية، وقف بعض البرامج في تلفزيون الإيمان وإذاعة البشائر التابعين لفضل الله، لأن أحد المتحدثين فيهما (ياسر عودة) خالف ما عليه حزب الله فيما يتعلق بالولاية التكوينية للأئمة، وكذلك فيما يتعلق بموضوع التربة الحسينية التي يستخدمها الشيعة في الصلاة معتقدين بقدسيتها، حيث قال عودة (وقبله فضل الله) إنها ليست من أرض الأئمة، بل هي صناعة الصين ومستوردة منها.

وإضافة لذلك فإن نعيم قاسم وجّه تهديدات لوفد التقاه يمثل مقلدي فضل الله قائلاً: (اللي كان مغطيكم - أي يحميكم ويقصد محمد حسين فضل الله- راح) (أي مات)[1].

أما ما يتعلق بمخالفيه من السنة، فيكفي للتدليل على ذلك بإفشال حزب الله لكل حكومة لبنانية لا تأتمر بأمره، أو تعارض إيران، وعندما اجتاح الحزب بيروت في أيار/ مايو ٢٠٠٨م، ووجّه سلاحه إلى معارضيه من اللبنانيين، وأدى ذلك إلى مقتل أكثر من ٦٥ شخصا، واعتدى على المؤسسات التابعة لخصمه (السني) سعد الحريري، اعتبر قاسم في لقاء تلفزيوني معه أن الاجتياح كان من أجل وأد الفتنة التي كان يعتزم الحريري وتيار المستقبل إثارتها في لبنان.

موقفه من التراث الشيعي

لا نجد لنعيم قاسم جهدا يذكر في الدعوة لتنقية التشيع مما فيه من انحراف وغلو كي تصبح الطريق ممهدة للتقريب بين السنة والشيعة، وتحقيق الوحدة الإسلامية التي طالما تغنى بها قاسم وحزب الله، بل على العكس من ذلك، فهو يرى أن الوحدة أمر معقد، وأن الخلافات يعود عمرها إلى مئات السنين، ما يوحي بعدم رغبته بإجراء مراجعات صريحة للتراث الشيعي وأوجه الإنحراف فيه، كما في قوله: «فإذا قال قائل: لماذا لا تجعلوا اختياركم من مجموع المذاهب لإيجاد توليفة فقهية بينها فتكونوا بذلك قد تصديتم لمنهج عملي في الوحدة بين المسلمين؟

نقول: أمنيتنا الكبرى أن نكون في هذا الموقع الذي يوحّد بين المسلمين لكنه أمر معقد لم يتمكن الفقهاء من حلّه خلال مئات السنين ويتطلب لجاناً علمائية متخصصة تجرى أبحاثاً موضوعية وجريئة لمناقشة القضايا كافة وليس معلوماً إذا

(١) مجلة الشراع اللبنانية، العدد ١١٨.

كان بإمكانها الوصول إلى نتيجة»[1].

موقفه من التاريخ الإسلامي

يرى قاسم أن بدء المسلمين مواجهة الآخرين والدخول في أراضيهم لاعتبارات ليس لها علاقة باسترداد أرض أو التصدي لعدوان، وهو ما يسميه «الجهاد الابتدائي»، مرتبط فقط بالنبي ﷺ أو الإمام المعصوم[2]، وهذا الرأي يجعل قاسم يسقط كل الفتوحات التي قام بها المسلمون على مدى قرون بعد عهد النبي ﷺ، زمن الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين والعثمانيين، أو من خلال الدول والممالك الإسلامية التي قامت في ظلهم.

ولا غرابة في رأي قاسم هذا، إذ أنه ينسجم مع الفكر الشيعي الذي لا يعترف بأي دولة سوى دولة الإمام المعصوم، أو من ينوب عنه (الولي الفقيه)، ويعتبر الدول السنية طاغوتية وباطلة.

عمر بن عبد العزيز يحاور الخوارج

د. عمر الأشقر رحمه الله[3](*) - خاص بـ «الراصد»

رحم الله عمر بن عبد العزيز فقد كان - والله - آية من آيات الله، وقد اشتهر - رحمه الله - بالعدل ورفع المظالم وردّ الأمر إلى نصابه، وقد كان رحمه الله يملك مواهب مختلفة وصفات نادرة لا يعلمها كثير من الناس، فمن ذلك غزارة علمه، وقوة حجته، روى ابن قتيبة في كتابه الإمامة والسياسة (ص ٩٩) أن خوارج خرجت بالحيرة في خلافة عمر بن عبد العزيز، فأرسل إليهم عمر رسولاً وبعث معه كتاباً، فأرسلوا إلى عمر رجلين، فلما جاءا عمر وجلسا إليه قال لهما: ما الذي أخرجكم علينا؟ فقال الذي نصب نفسه للجواب: إننا لم ننكر عليك عدلك ولا سيرتك، ولكن بيننا وبينك أمر، هو الذي يجمعنا ويفرق بيننا، فإن أعطيتناه فنحن منك وأنت منا، وإن لم تعطنا فلسنا منك، ولست منا.

فقال عمر: فما هو؟

فقال: خالفت أهل بيتك، وسميتهم الظلمة، وسميت أعمالهم المظالم، فإن زعمت أنك على الحق، وأنهم على الباطل، فالْعنهم وتبرأ منهم.

فقال عمر: إنكم لم تتركوا الأهل والعشائر وتعرضتم للقتال إلا وأنتم في أنفسكم مصيبون، ولكنكم أخطأتم وضللتم، وتركتم الحق، أخبراني عن الدين أواحد أو اثنان؟

قالا: بل واحد.

قال: أفيسعكم في دينكم شيء يعجز عني؟

قالا: لا.

قال: فأخبراني عن أبي بكر وعمر ما حالهما عندكما؟

قالا: أفضل الناس أبو بكر وعمر.

قال: ألستما تعلمان أن رسول الله ﷺ لما توفي ارتدّت العرب، فقاتلهم أبو بكر، فقتل الرجال، وسبى الذرية؟

قالا: بلى.

قال: عمر، فلما توفي أبو بكر وقام عمر، ورد تلك النساء والذراري إلى عشائرهم، فهل تبرأ عمر من أبي بكر، ولعنه بخلافه إياه؟

قالا: لا.

قال: فتتولونهما على خلاف سيرتهما؟

قالا: نعم.

قال عمر: فما تقولان في بلال بن مرداس؟

قالا: من خير أسلافنا.

قال: أفليس قد علمتم أنه لم يزل كافّاً عن الدماء والأموال، وقد لطخ أصحابه أيديهم فيها،

(١) حزب الله المنهج التجربة المستقبل، ص ٤٠.
(٢) حزب الله المنهج التجربة المستقبل، ص ٥٠ وما بعدها.
(٣) من كتابه: جولة في رياض العلماء.
(*) كاتب أردني.

فهل تبرأت إحدى الطائفتين من الأخرى، أو لعنت إحداهما الأخرى؟

قالا: لا.

قال: فتتولونهما على خلاف سيرتهما؟

قالا: نعم.

قال عمر: فأخبراني عن عبد الله بن وهب حين خرج بأصحابه من البصرة يريدون أصحابهم، فمرّوا بعبد الله بن خباب، فقتلوه، وبقروا بطن جاريته، ثم عدلوا على قوم من بني قطيفة، وأخذوا الأموال، وغلوا الأطفال في المراجل، ثمّ قدّموا على أصحابهم من الكوفة، وهم كافون عن الدماء والفروج والأموال، هل تبرأت إحدى الطائفتين من الأخرى، أو لعنت إحداهما الأخرى؟

قالا: لا.

قال: فتتولونهما على خلاف سيرتهما؟

قالا: نعم.

فقال عمر: فهؤلاء الذين اختلفوا بينهم في السيرة والأحكام لم يتبرأ بعضهم من بعض، ولا لعن بعضهم بعضاً، وأنتم تتولونهم على خلاف سيرتهم، فهل وسعكم في دينكم ذلك، ولا يسعني حين خالفت أهل بيتي في الأحكام والسيرة حتى ألعنهم وأتبرأ منهم؟

ثم قال: أخبراني عن اللعن، فرض على العباد؟

قالا: نعم.

فقال عمر: متى عهدك بلعن فرعون؟

قال: ما لي به من عهد منذ زمان.

قال عمر: هذا رأس من رؤوس الكفر، ليس لك عهد بلعنه منذ زمان، وأنا لا يسعني أن ألعن من خالفتهم من أهل بيتي.

ثم قال لهم: ألستم أنتم الذين تؤمنون من كان رسول الله يخيفه، وتخيفون من كان رسول الله يؤمنه؟

فقالا: نبرأ إلى الله تعالى من هذه الصفة.

قال: بلى فسأخبركما عن ذلك، ألستما تعلمان أن رسول الله ﷺ خرج والناس أهل كفر، فدعاهم أن يقروا بالله ورسوله، فمن أبى قاتله وخوفه، ومن أقرّ بهما أمنه وكفّ عنه، وأنتم – اليوم – من مرّ بكم يقرّ بهما قتلتموه، ومن لم يقرّ بهما أمنتموه، وخليتم سبيله.

فقال أحد الرجلين: ما رأيت حجيجاً (أي محاجاً قوي الحجة) أقرب مأخذاً، ولا أوضح منهاجاً منك، أشهد أنك على الحق، وأنا على الباطل.

وقال الآخر: لقد قلت قولاً حسناً، وما كنت لأفتات على أصحابي حتى ألقاهم، فلحق بأصحابه، وأقام الآخر عند عمر، فأجرى عليه العطاء والرزق حتى مات عنده.

رحم الله عمر بن عبد العزيز، فلقد كان غزير العلم، وقوي الحجة، ولقد قوّى حجتَه إنصافُه وعدلُه، وسيرته الزكية الطيبة، فلم يجد خصومُه فيه منفذاً، ولا وجدوا في كلامه مطعناً، وإنّما يضيق صدر المخاصم بسبب قلة علم، أو عقدة لسان، أو سيرة ظالمة يخشى صاحبها أن يفضحه خصومه.



الراصد - العدد ١٣٦-شوال ١٤٣٥هـ

مشكلات المرأة المسلمة... مقاربة واقعية (٢)
عمل المرأة.. ضوابط وقضايا

فاطمة عبد الرؤوف(*) - خاص بالراصد

إن من المستجدات التي عاشتها المرأة في العصر الحديث قضية العمل، فعلى الرغم من أنه على مدار التاريخ كان هناك عدد من النساء انخرطن في سوق العمل بدءا من الإماء اللاتي كن يقمن بكثير من المهام بدون أجر في ظل الفلسفة الطبقية التي كانت تسود العالم القديم، مرورا بالنساء الفلاحات اللاتي كنّ العصب الأساسي في عملية الإنتاج الزراعي خاصة في المواسم التي تحتاج للأيدي العاملة الكثيفة كما في موسم الحصاد مثلا بالإضافة لهن أخرى عملت فيها النساء كمهنة القابلة والمرضعة، وعملت نساء أخريات في مجال التجارة كأم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها فكانت تدير أعمالها عبر عمال وسطاء لها. وبعض النساء عملن في التجارة بأنفسهن خاصة في الأوساط النسائية لبيع المنتجات الخاصة بالسيدات كما أن الكثيرات عملن أعمالاً اقتصادية بالغة الأهمية وإن لم تكن مأجورة كصناعة الخبز وحياكة الملابس وتربية الطيور وغير ذلك من أعمال اقتصادية غير مباشرة.

لكن ما طرأ على قضية عمل المرأة في العصر الحديث غير ذلك كله فهو من المستجدات التي طرأت على حياة المرأة وعلى نمط الحياة في المجتمع ككل وكان لها ولا شك إيجابيات كما كان لها سلبيات عانت منها المرأة العاملة كثيرا بحيث أننا لا يمكن لنا أن نتحدث عن المشكلات الواقعية التي تعيشها المرأة المسلمة ونتجاهل المشكلات المترتبة على عمل المرأة .

هل هو حتمية؟

السؤال الذي لا يمكن للباحث أن يتجاهله حول قضية عمل المرأة هو هل هذا العمل حتمية من حتميات العصر الحديث بحيث لا يمكن أن ترفضه المرأة أو تتجاهله؟

وإلى أي مدى يستطيع الواقع فرض قضاياه؟ بمعنى أن هناك سؤالا فلسفيا بالغ الأهمية ألا وهو هل يجب أن يفرض الواقع مشكلاته أم أنه ينبغي تغيير الواقع واختيار المشكلات التي يجب علينا مواجهتها، وهو ليس سؤالا عبثيا أو مجرد قضية من قضايا الترف الفكري وإنما هو سؤال سيتبع الإجابة عليه الكثير من القضايا البالغة الأهمية لأمتنا الإسلامية، فهل نحن استدرجنا وفرض علينا نمط الواقع الغربي بمشكلاته؟ أم التطور الطبيعي أدى لهذا الواقع الذي ينبغي التعامل معه كما هو لتقريبه من فكرنا الإسلامي؟

ولو عدنا لاسئلة الواقع فعلينا أن نسأل أنفسنا عن الفوائد التي تجنيها المرأة من عملها المأجور هل هي أكثر بكثير من المشكلات التي قد تترتب عليه؟

وهل من الممكن استثمار فوائد العمل وتجنب مشكلاته؟ هذه التساؤلات وغيرها هي موضوع هذا المقال.

واقعية الرؤية

لابد للباحث في قضايا المرأة أن ينظر لواقع المرأة كما هو في الحقيقة وليس كما يتمنى هو أن يراه ولا كما كان في فترة تاريخية سابقة، هذه الواقعية هي ما نفهمه من تدبر الذكر الحكيم حيث تعامل القرآن مع الواقع المعقد الذي نزل فيه حيث سادت الطبقية وكان العبيد أحد أركان النظام الاجتماعي في المجتمع فلم يتم

(*) كاتبة مصرية.

إلغاء الرق بصورة فورية وإنما ضيقت منابعه وتشعبت الصور التي تدعو لتحرير هؤلاء العبيد، وواجه مشكلة الخمر حيث تم تحريمه على ثلاث مراحل مراعاة للواقع البشري وأبعاده، وهكذا ينبغي النظر للواقع البشري الذي تعيشه المرأة المسلمة في اللحظة الراهنة من حيث صعوبة الزواج، وتعقد الحياة وغلاء المعيشة، وافتقاد العائلة الممتدة وتخلي الكثير من الأزواج والإخوة عن القيام بمهامهم وواجبهم نحو النساء ومن ثم أصبحت حاجة الكثير من النساء إلى العمل حاجة ملحة.

خرجت النساء الغربيات للعمل في المصانع نتيجة الحرب العالمية التي أزهقت أرواح ملايين الرجال وكانت المصانع في ذلك الوقت بحاجة للأيدي العاملة الكثيفة، نعم هذه حقيقة تاريخية ولكن التوقف لديها طويلا لن يغير الحقيقة الواقعية أن هناك ملايين النساء المسلمات قد انخرطن بالفعل في سوق العمل وفي مختلف المهن وأن هناك ملايين أخريات يبحثن عن فرصة عمل.

بيئة العمل

هذه هي الإشكالية الأولى التي تقابلها المرأة المسلمة عندما تخرج للعمل، التواجد في بيئة فيها مخالفات شرعية بدءا من المواصلات المزدحمة وحتى التواجد في بيئة مختلطة وعلاقات مفتوحة وتفشي الفساد بصور متنوعة في الوسط المحيط.

وفي بعض المجتمعات يتم التضييق على من ترتدي الحجاب الشرعي ويصل الأمر للإيقاف عن العمل في بعض الأحيان وهي مشكلة فادحة خاصة عندما تكون المرأة في حاجة ماسة لهذا العمل.

ولمواجهة هذه المشكلة ينبغي على المرأة السير في ثلاث طرق متكاملة:

الأولى: ترك العمل في حال استحالة الالتزام بالأحكام الشرعية (إنك لن تدع شيئًا لله - عز وجل - إلا بدّلك الله به ما هو خير لك منه) رواه أحمد.

الثانية: بذل الجهد للتوفيق بين العمل وبين الأحكام الشرعية مع تحمل الأعباء المترتبة على هذا التوفيق، كما فعلت ابنتا شعيب عندما اضطرتا للعمل في وسط لا يعمل فيه إلا الرجال فانتحيتا جانبا حتى ينتهي الجميع وتحملتا أن تكونا الأخيرتين في مقابل عدم الزحام والاختلاط كمن تسير مدة طويلة حتى لا تركب وسيلة مواصلات مزدحمة ومن تتحمل بعض التأخير في الترقيات من رؤساء العمل لأنها محجبة وملتزمة.

الثالثة: المطالبة بالتشريع والتقنين لإصلاح هذه الأحوال المعوجة وهذا ما ينبغي على المنظمات النسائية الإسلامية والتيار الإسلامي عموما أن يتبناه فإذا كان عمل المرأة ضرورة من ضرورات العصر الحديث فعلينا أن نجعله وفقا للأحكام التي جاء بها الشرع فنيسر للنساء وسائل مواصلات يتمتعن فيها بالخصوصية.

مشروع عربات السيدات في مترو القاهرة قدم حلا لملايين النساء العاملات، وينبغي تمكين النساء من ارتداء الزي الشرعي بحيث تكون الكفاءة وحدها هي المعيار عند العمل ومن يمتنع عن ذلك يحال للجهات القضائية كما لا بد من من مشروعات دعوية تحذر من الاختلاط في بيئة العمل، فكثير من مشكلات بيئة العمل ناتجة من الأفراد العاملين أنفسهم ومن عدم تمثلهم بالقيم الإسلامية الفاضلة.

الزوجة والراتب

من أكبر المشكلات الواقعية التي تواجه الزوجة العاملة مشكلة الراتب الخاص بها، فمن المعلوم أن كثيرا من الرجال ونتيجة للظروف المعيشية يبحثون عن الزوجة الموظفة ذات الراتب الخاص وهي من المشكلات التي عمت بها البلوى فالبعض يريد الحصول على راتب الزوجة في بداية كل شهر وترك مصروف صغير لها لحاجتها اليومية والبعض يترك بنودا معينة من الميزانية كي تغطيها الزوجة براتبها.

بعض النساء ينفقن طوعا وبعضهن قهرا وقسرا، وأخريات يتشبثن بكامل راتبهن ويرفضن أن ينفقن منه أي شيء على اعتبار أن النفقة هي واجب شرعي على الرجل.

فهل راتب الزوجة ذمة مالية خاصة بها على الزوج ألا يطالب بشيء منه أم أن هذا الراتب أو جزء منه هو تعويض للرجل باعتباره يفتقد بعض الأمور بسبب غياب زوجته خارج المنزل للعمل وكيف يمكن لأصحاب الرؤية الإسلامية أن يقدموا حلا شرعيا يراعي الواقع الاجتماعي الذي قد تصل الخلافات فيه إلى حد الطلاق بسبب هذا المستجد، أعني راتب الزوجة.

في رأيي أنه على أصحاب المشروع الإسلامي أن يمهدوا لعلاج هذه القضية بوضعها في إطار القضية الأكبر والأهم ألا وهي المنظومة القيمية الإسلامية التي اهتزت

بشدة، فلدينا قيمة الاعتدال في النفقة ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٩]، ولدينا قيمة كراهية الإسراف والتبذير ﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٧].

هذه القيم لا بد أن يعاد تفعيلها لأنه في حالة اللهاث المادي المحموم الذي تعيشه كثير من الأسر تتحول الكثير من الكماليات إلى ضروريات وتلعب منظومات خبيثة لاستشراء حمى الاستهلاك والتطلع لدى قطاعات متزايدة من الأسر المسلمة حيث يتم الإمعان في إشعارهم بالفقر، ويفرض عليهم نموذج للحياة العصرية المرفهة بحيث يظلون طيلة حياتهم يسعون للحاق بها ومن هنا تنطلق بوابة الشرور والأطماع.

فعندما يعاد تفعيل قيمة القناعة لدى الرجل لن يتطلع بتطفل للمال الخاص بزوجته وعندما تعود قيمة القناعة لدى المرأة لن تطالب الرجل بما هو فوق طاقته وهذه نقطة مبدئية ضرورية لحل الصراع، أولاً.

النقطة الثانية أن الزوجة العاملة التي يتسبب عملها في نقص ما أو خلل ما في تنظيم شئون الأسرة أو البيت فعليها يقع عبء إصلاح هذا الخلل كمصروفات الحضانة أو شراء بعض الوجبات الجاهزة في بعض الأوقات أو شراء أجهزة مساعدة لها أو دفع أجر عاملة منزلية تساعدها ونحو ذلك من أمور ترتبت على عملها بينما تبقى النفقات الأصلية مسئولية الزوج.

النقطة الثالثة هي ما يمكن أن نطلق عليه قاعدة الإحسان بين الزوجين ولو تحدثت تحديدا عن راتب الزوجة فإنه من الإحسان أن تتنازل عن جزء منه لتدبير أمور المعيشة عن رضى وطيب نفس فعندما كان النبي ﷺ يذكر أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها كان يذكر أنها واسته بمالها، فمن الكرم والإحسان أن تواسي الزوجة زوجها ببعض المال لتطيب حياتهما.

الأمومة المنتهكة

لعل أكبر مشكلة تواجهها المرأة العاملة هي تعارض عملها مع مشاعرها الفطرية في البقاء قرب أطفالها الصغار، وما أقسى مشهد الأم العاملة التي تخرج في ساعات الصباح الباكر وقد اشتد الصقيع وهي تحمل رضيعا صغيرا لديه بضعة شهور لتودعه دار الحضانة ومعه زجاجة الحليب، موقف يتكرر كثيرا جدا للأسف وما ذلك إلا لأنهم لا يمنحونها أكثر من ثلاثة شهور لرعاية الرضيع.

بعض النساء تعمل بنظام العقد المؤقت فليس من حقها الحصول على إجازة دون راتب وبعضهن يعملن في القطاع الخاص الذي لا يتعامل برحمة مع الأمهات وبعضهن يخشين أن تضيع عليهن العلاوة والترقية وبعضهن لديهن أقساط شهرية عليهن الاستمرار في العمل لدفعها كل هذه أعذار معتبرة ولكن، وعلى الرغم من ذلك كله ما أقسى مشهد الرضيع الوحيد في دار الحضانة وقد فقد أمه وهل تغني زجاجة الحليب عنها؟!

بعض النساء يأخذن أطفالا رضعا للعمل خاصة في حال كون الأم تعمل كمعلمة للأطفال وتعيش أوقاتا كارثية فلا هي تستطيع منح الرضيع حقه ولا تؤدي عملها بشكل مرض وهي في حال من الضغط النفسي والجسدي الرهيب.

هذه المسألة لا تصلح لها أنصاف الحلول فالطفولة البريئة منتهكة بشكل فادح ومشاعر الأمومة هي الأخرى منتهكة ومحطمة، وإذا كان عمل المرأة مباحا فإن لذلك شروطا حتى لا ينتقل لدائرة الكراهة أو التحريم، يأتي على رأس هذه الشروط ألا تهدر المرأة أمانتها المسئولة عنها وعلى رأسها أمانة الطفل الذي هو بحاجة لتفرغ أمه له لمدة عام على أقل تقدير حتى أن النبي ﷺ أرجأ إقامة الحد على الغامدية حتى جاءت بطفلها يمشي وفي يده كسرة خبز يأكلها وإلا فثلاث سنوات هي الحد المناسب للطفل للالتحاق بدار الحضانة.

لا بد للأم من أن تفقه أولوياتها جيدا وتعي مسئوليتها التي سيحاسبها عليها المولى عز وجل (والمرأة راعية على بيت زوجها وولده) متفق عليه.

إبراهيم عيسى.. البحث عن الشهرة في طريق الأباطيل والتشيع

أسامة الهتيمي(*) - خاص بالراصد

إن أقل ما توصف به شخصية الكاتب الصحفي المصري إبراهيم عيسى أنها شخصية مثيرة للجدل إذ أنه ومنذ بدايات عمله الصحفي لم يكف عن إثارة الإشكاليات الأدبية والسياسية والدينية من خلال كتاباته التي يبدو أن المشترك الرئيس بينها جميعا هي أنها لا تهدف إلا للإثارة ولفت الانتباه بحثا عن مكان بين صفوف النخبة الثقافية في مصر.. فمثلا وعلى الرغم من أن إبراهيم عيسى قدم خلال هذه البداية روايتين أدبيتين هما «العراة» و «دماء على نهد» إلا أنهما لم يلقيا أي قسط من النجاح كما لم يمنحا الأديب المتخبط أي مكانة بين الأدباء، فكان لزاما عليه أن يبحث عن طريق آخر ربما يتمكن من خلاله أن يسلب الأضواء ويحقق ما ظلت تطمح إليه نفسه منذ أن دبت قدماه أرض القاهرة.

لكن الحقيقة التي لا يمكن أن نتجاهلها هي أن ما قدمه عيسى من روايات والتي يرى البعض أنها ضمن ما يسمى بروايات «البورنو» ساهمت بشكل أو بآخر في أن تقدم كاتبنا على اعتبار أنه كاتب يتستر بحرية الرأي والتعبير إذ أدرك كما أدرك آخرون أن مجرد القفز على القيم والمثل والأخلاق هو جواز المرور الأساسي للدخول إلى دنيا الإعلام المصري التي يسيطر عليها وبكل أسف نخبة علمانية ويسارية أصبح جل همّها ومنتهى أملها استمرار العمل على زعزعة ثوابت الأمة القيمية والثقافية انطلاقا من دعوة «محاربة التخلف والرجعية».

على كلٍ أدرك عيسى أنه لم ينجح كأديب وإن كانت محاولاته الأدبية الفاشلة قد فتحت أمامه الباب وما عليه إلا أن يستغل ما أثير حول رواياته الأدبية في أن يثبت أقدامه في دنيا السياسة فيكون دفاعه عما تضمنته رواياته بداية لأن ينقض على السلطة السياسية التي ووفق تصوراته تحالفت مع المؤسسات الدينية لتمارس حالة من الوصاية على الأدب والفكر وأهل الرأي في البلاد ومن ثم فإن إجهاض كل محاولات التعبير بحرية لا ينفك عن هذا الدور الإقصائي الذي يمارسه تحالف السلطة السياسية والدينية.. ومن هنا فإن نضاله كما هو نضال الآخرين لا بد وأن يتركز حول انتزاع حق التعبير من هذه السلطة الغاشمة.

وعليه فقد تحول إبراهيم عيسى إلى كاتب سياسي من الطراز الأول أخذت تتزايد شهرته يوما بعد يوم حتى أصبح رئيسا لتحرير صحيفة الدستور في إصدارها الأول عام ١٩٩٥ والتي كانت تحمل آنذاك رخصة أجنبية «قبرصية» والتي سرعان ما تم إغلاقها عام ١٩٩٨م لتعاود الصدور مرة أخرى عام ٢٠٠٤م لكنها هذه المرة من خلال رخصة مصرية صادرة عن المجلس الأعلى للصحافة وبرئاسة عيسى أيضا لتنتظم الصحيفة في الصدور أسبوعيا حتى عام ٢٠٠٧ ثم تتحول إلى صحيفة يومية فيما بعد على الرغم من أنها كانت تتضمن حملات صحفية شديدة الانتقاد للسلطة والنظام المصري الأمر الذي كان يفترض أن يثير حفيظة النظام ويحرص على غلقها وإسكات صوتها لكن هذا لم يحدث بل أصبحت الدستور خلال هذه السنوات واحدة من أهم الصحف المصرية حيث حاول عيسى أن تبدو وكأنها الناطق باسم الليبرالية في مصر رغم أن عيسى ولفترة قريبة كان محسوبا على التيار اليساري بما يحمله من أفكار سياسية وبما حاول هو الظهور به متخذا من المناضل اليساري البوليفي «جيفارا» رمزا ومثلا أعلى.

وكان الأكثر غرابة ودافعا للتساؤل هو أن إبراهيم عيسى تمت محاكمته أمام القضاء المصري بتهمة تتعلق بنشر أخبار عن صحة الرئيس المصري المعزول حسني مبارك عام ٢٠٠٨م حيث تمت إدانته والحكم عليه بالحبس لشهرين غير أن الرئيس المعزول فاجأ الجميع وأصدر قرارا بالعفو عنه فيما روجت وكالة الأنباء المصرية أن ذلك إنما يأتي تأكيدا لرعايته لحرية الرأي والتعبير والصحافة وحرصه على أن ينأى بنفسه عن أن تكون له أي خصومة مع أي من أبناء مصر وهو الأمر الذي لم يكن لتستسيغه الأوساط السياسية والثقافية في مصر آنذاك إذ اشتدت الحملات الأمنية التي استهدفت السياسيين والصحفيين والمثقفين في محاولة لكسر حالة الحراك السياسي التي شهدتها البلاد منذ نهايات ٢٠٠٤ عندما تم تأسيس الحركة

(*) كاتب مصري.

المصرية من أجل التغيير «كفاية».

لم يـضيع إبـراهيم عيـسى نجاحـه ككاتـب سياسي فلم يفوت الفرصة في أن يتدرج التدرج الطبيعي وغير المسبوق في كل بلاد الدنيا إذ يتحول الكاتب السياسي وفي غفلة من الزمن إلى مفكر إسلامي يصبح المنهل الذي ينهل منه الناس ويستمدون أفكارهم الدينية الإصلاحية بعيدا عن النزعة التقليدية والمتطرفة لدى فقهاء وعلماء الدين، بل ويصبح كاتبنا الكبير بين يوم وليلة الراوي الأصح لقصص التاريخ الإسلامي وهو أمر ليس بجديد على الساحة المصرية فها هو علاء الأسواني يتحول من أديب إلى مفكر سياسي ثم إلى متحدث عن الإسلام والفكر الإسلامي المستنير ومثله خالد يوسف المخرج السينمائي الذي سمح لنفسه أن يكفّر الإخوان المسلمين وغيرهم من الإسلاميين.

ولعل ما أفتى به إبراهيم عيسى مؤخراً من أن الحجاب ليس من الإسلام وأن آيات الحجاب نزلت فقط بسبب التحرش الجنسي في مكة وأن حديث النبي ﷺ «بني الإسلام على خمس..» لم يرد فيه ركن سادس يؤكد أن الحجاب من أركان الإسلام، وأن الحجاب ليس قضية جوهرية في الإسلام وأن ما قيل عليه الحجاب ليس المقصود منه «الطرحة» فضلا عن قوله إن نساء النبي - ﷺ - تآمروا عليه، وأن سيدنا يوسف – عليه السلام - «نام» مع امرأة العزيز في سرير واحد نماذج فجة تكشف عن مدى جرأة عيسى على أن يقحم نفسه في قضايا ومسائل دينية تحتاج إلى أهل علم وبحث.

عيسى والصحابة

أعتقد أن النتيجة الأبرز في تتبع مسار تطور إبراهيم عيسى هي أنه شخصية تسعى بالدرجة الأولى إلى احتلال مكانة مهما كانت السبل لتحقيق هذا الأمر، ومن ثم فإن ارتداءه لعباءة المفكر الإسلامي لم يكن ليتحقق لو أن الرجل التزم بالخط والمنهج السني في تناول القضايا الفكرية الإسلامية إذ أنه ووفق هذا المنهج سيظل قزما لا يلتفت له حيث لا قدر له ولا قيمة وسط قامات فكرية أخذت من عمرها سنوات وسنوات من البحث والاطلاع والتعلم بل ولم تتوقف للحظة واحدة عن مواصلة تحصيل العلم لتواصل عطاءها بما يتواءم مع الزمان والمكان فمن يكون إبراهيم عيسى إذن وسط هؤلاء ..

إن السبيل الأجدى لعيسى هو أن يطرح من الأفكار ما يمثل قفزا فوق ما يعتبره هو وآخرون كثيرون من المحسوبين على اليسار والليبراليين والعلمانيين بجملتهم أفكارا غير تقليدية تكسر ما يصفونه بحالة الجمود التي يعيشها الفكر الإسلامي دون أن يسمح هؤلاء طبعا بمناقشة هذه الأفكار وعرضها على القرآن الكريم أو ما ثبتت صحته من السنة النبوية أو حتى عرضه على كتب التاريخ الإسلامي مع تعددها إذ التنوير والإصلاح في نظر هؤلاء هو تسليط الضوء على كل شاردة وشاذة آخذين بها من أي مصدر دون التوثق من صحتها أو الاعتبار بصاحبها فالأهم هو كسر الثوابت وزعزعة المسلمات أو التشكيك في كل ما ثبت أنه الأقرب إلى الصواب وفق جهود مضنية لاجتهاد أهل العلم.

ووجد إبراهيم عيسى ضالته في الأفكار الشيعية فلم يتردد في أن يروجها بين المصريين فكانت مدخلا في غاية الأهمية لأن يلفت الأنظار إليه كمفكر إسلامي لا يبارى، مثيرا - بما يطرحه- الكثير من الإشكاليات التي تحقق وكما أكدنا سالفا الغرض الأساسي من كل تحركاته ألا وهو الشهرة وتحقيق المكانة.

وربما كانت أولى ترهات عيسى هو الاتهام الذي وجهه للصحابي الجليل أبي هريرة رضى الله عنه عبر ثلاثة مقالات خصصها للحديث عن الصحابي الجليل كان اثنان منهما تحت عنوان «أبو هريرة الإمام الغامض» بجريدة الميدان ٢٠٠١/١١/٢٠ و٢٠٠١/١٢/١١» وكان ثالثهما تحت عنوان «بزنسة أبي هريرة» بجريدة الدستور بتاريخ ٢٠١٠/٦/٢٢ حيث كال فيها الاتهامات للصحابي الجليل دون هوادة أو مواربة وكأنه يتكلم عن موظف مثلاً بوزارة الري أو الصحة حيث اتهمه باستغلال النفوذ والتكسب من منصبه خلال توليه من قبل الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – لولاية البحرين وهو الاتهام الذي أثار حفيظة الكثير من العلماء الذين ردوا عليه وفندوا دعواه مؤكدين أن عيسى استند فيما كتبه إلى كتاب الكاتب الشيعي عبد الحسين شرف الدين عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وفضلا عن أن هجوم عيسى على الصحابي أبي هريرة هو اتباع لمنهاج الشيعة في التهجم على صحابة رسول الله ﷺ إلا أنه ربما لتحقيق غرض آخر يتلخص في كون الصحابي الجليل هو من أكثر الصحابة رواية للأحاديث النبوية ومن ثم فإن هذا يعد مدخلا أساسيا للطعن في الكثير مما احتوته كتب السنة.

ثم تأتي ترّهات عيسى فيما يتعلق بالصحابي الجليل المغيرة بن شعبة المجاهد البطل والفاتح العظيم وأحد أصحاب الشجرة وصاحب رواية نحو ١٣٦ حديثا والذي اتهمه بلا تحرج بالزنا في مقال له بصحيفة الدستور نشر يوم ٢٠٠٦/١٠/١١م واستند فيه إلى رواية تم ابتسارها وتشويهها بطريقة مغرضة لا تعكس حقيقة ما أوردته كتب السير المعتمدة وهو ما دفع الكثير من المتخصصين إلى الرد والتفنيد والكشف عن المنهج المزيف الذي يتبعه عيسى في سرده وحكاياته المضللة التي تبدو لكل ذي عقل أنها متناقضة وغير عقلانية وأنها ليست إلا للإثارة اتساقا مع كتابات «البورنو» التي بدأ عيسى بها حياته.

ويبدو أن إبراهيم عيسى مغرم أيما غرام بأن يبحث عن الروايات الشاذة خاصة تلك المتعلقة بالسلوكيات والأخلاقيات وكأنه يبتغي التأكيد على أنه «ليس هناك حد أحسن من حد» وفق تعبير أحد الزملاء الصحفيين، فمراد عيسى أن يرسخ لفكرة أن الجميع سواء فيما يخص الخطيئة وهو ما أكده بنفسه في مقال له زعم خلاله أن ضابطا كبيراً بجهاز «أمني سيادي» اتصل به تليفونياً لكي يريه مفاجأة سيُذهل لها وحينما ذهب إبراهيم إلى هناك أخرج له الضابط الكبير شريط فيديو ليرى المفاجأة أن أمن الدولة قد قام بتصوير أحد الشيوخ الكبار جداً والمشهورين وهو مع فتاة في إحدى الشُقق.

ولم تقتصر حملات عيسى على صحابة النبي الكريم عند أبي هريرة أو المغيرة رضي الله عنهما بل امتدت ووفق ما أكد الباحث الشيخ أشرف عبد المقصود إلى غيرهما، حيث أشار إلى أن عيسى بدأ بعثمان ثم الزبير بن العوام ثم عائشة ثم عمرو بن العاص ثم طلحة بن عبيد الله ثم المغيرة بن شعبة ثم معاوية ثم عبد الملك بن مروان ثم يزيد بن معاوية ثم الحجاج بن يوسف الثقفي.

عيسى والتشيع

فرض التساؤل عن تشيع عيسى من عدمه نفسه منذ سنوات وذلك وقت أن روج عيسى عبر وسائل الإعلام التي يعمل بها لأفكاره المتطابقة مع ما يطرحه الشيعة حول الصحابة – رضوان الله عليهم – وبعض المواقف التاريخية وهو ما اضطر عيسى في نهاية المطاف إلى أن يكتب مقالا يرد فيه على هذا التساؤل نافيا بطبيعة الحال أن يكون قد تشيع وأنه ما زال على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان حتى لو تحول المسلمون جميعا إلى المذهب الشيعي.

غير أن المقال لم يخلُ من كثير من العبارات التي تؤكد التهمة ولا تنفيها فقد بدأ مقاله بالتأكيد على أن المذهب الشيعي ليس تهمة كي يتهم بها المسلم مضيفا أنه من السخف أن يتم اعتبار مذهب يعتقده حوالي ١٥٪ من المسلمين تهمة.

ولم يتردد عيسى في أن يؤكد أنه لا يمكنه أن ينتقد أو يهاجم مذهب الشيعة مثقال حبة من خردل فهم على رأسه وعينه معللا ذلك بأن كل صاحب دين وكل صاحب مذهب بل كل ملحد لا دين له ولا مذهب فوق رأسه فهو حر ليقع في قمة التناقض مع نفسه إذ كانت السطور السابقة على ذلك انتقادا لاذعا وهجوما قاسيا على من أسماهم بالوهابيين.

وبعيدا عن الحديث عن مدى صدق نفي عيسى لتشيعه أم أنه مجرد اتباع لمبدأ التقية الذي هو ركن من أركان الإيمان لدى الشيعة فإنه يجدر بنا أن نسرد بعضا من الأمور التي تساهم بشكل أو بآخر في الكشف عن تفاصيل الصورة ومن ذلك:

- الكاتب الشيعي حميد الشاكر كان قد كتب مقالا في أعقاب حملات هجوم عيسى على الصحابة تحت عنوان «إبراهيم عيسى شيعي وإن لم ينتمِ» بتاريخ ٢٠٠٤/٩/٦.
- إبراهيم عيسى ورغم هجومه الشديد على جماعة الإخوان المسلمين والتي يتهمها النظام السياسي في مصر بالاستعانة بعناصر خارجية كحزب الله يعتبر حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله اللبناني نموذجا وقائدا حيث يعلق صورته في مكتبه.
- الجميع يعلم أن حسن نصر الله كان قد استقبل إبراهيم عيسى واحتفى به في إحدى زياراته للبنان.
- ظهور عيسى برداء العزاء الشيعي في برنامج «الطريق إلى كربلاء» التلفزيوني فضلا عن إحيائه لمرويات الشيعة يطرح الكثير من التساؤلات.
- ترديده لما يقول به الشيعة كياسر الحبيب حول ما ورد عن عبد الله بن سبأ وإنكار وجوده.
- رفضه المطلق لنشر مقال للكاتب الصحفي فراج إسماعيل ينتقد فيه إيران خلال رئاسته لتحرير صحيفة الدستور وهي القصة المشهورة بين الإعلاميين المصريين.
- استغلال برنامجه «مدرسة المشاغبين» - والذي

تعرضه حالياً في رمضان قناة أون تي في - في ترويج روايات تحاول النيل من الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ومن ذلك أن فاطمة بنت النبي ﷺ كانت تدعو على أبي بكر الصديق وأنها قالت له إنها تشهد الله أنها غاضبة عليه وساخطة منه.

اتهامه للخليفة معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه- بأنه من دسّ السم للحسن بن علي رضي الله عنه للتخلص منه.

- يضاف إلى ذلك أن عيسى لم يفتأ يهاجم بعض علماء السنة الذي نجحوا في أن يكون لهم بين الناس احترام وتقدير وعلى رأسهم الشيخ محمد متولي الشعراوي الذي خصص له عيسى بعضا من فصول كتابه «أفكار مهددة بالقتل» والذي زعم فيه أن الشيخ الشعراوي - رحمه الله- يمثل مجموعة من الأفكار الرجعية المناهضة للعلم والتقدم وأنه يخدم التخلف حيث قال ما نصه: «لم أرَ شيخا يمثل مجموعة من الأفكار الرجعية المناهضة للعلم والتقدم إلا الشعراوي ولم أصادف حتى الآن على الأقل رجلا يستخدم كل المنح الربانية التى أنعم اللهُ بها عليه فيما يخدم التخلف بمثل ما رأيت الشعراوي».

مظاهر الغلو في أهل البيت عند أهل السنة

سعيد بن حازم السويدي[*]- خاص بالراصد

يظن كثير من المسلمين أن الغلو في أهل البيت ينحصر في الشيعة، ويغفل هؤلاء عن وجود ثقافة الغلو في أهل البيت عند بعض أهل السنة بصور متعددة أيضاً، وهي الظاهرة الخطيرة التي لا يسلط الضوء عليها في الأوساط السنية، وهذا مؤشر سلبي على هشاشة المناعة الفكرية ضد التشيع بينهم.

في هذه الأسطر سنستعرض بعض المظاهر التي تؤكد وجود ثقافة الغلو في أهل البيت عند أهل السنة، من أجل إطلاق الدعوة لضرورة دراسة ومعالجة هذه الظاهرة بطريقة علمية هادئة، وأهمية توعية الجمهور السني بالمعتقد الصحيح في أهل البيت والذي لا مجال للحيدة عنه نحو التطرف في حبهم والغلو في الإعجاب بهم.

١- الطعن في معاوية بن أبي سفيان

من المعلوم أن الخلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما أحدث انقساماً في الأمة في القرن الهجري الأول، وهو انقسام سياسي بالدرجة الأولى إذ لم ينازع أحد في أفضلية علي وأحقيته بالصواب كما هو رأي جمهور أهل السنة.

لقد وضع السلف وعقلاء الأمة الخلاف بين علي ومعاوية في إطاره الصحيح دون شطح أو مبالغة لا سيما أنه أصبح من الماضي المؤلم الذي لا يحسن بالمسلمين نبشه واستذكاره (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تُسألون عما كانوا يعملون) إذ لا توجد أي فائدة مترتبة على الحديث في هذا الموضوع إلا بالقدر الذي اكتفى به السلف وبمنهجهم العاقل الهادئ في التعامل مع مثل هذه القضايا الحساسة.

وإذا كان منهج الشيعة قائما على الغلو في عليّ فليس من المستغرب أن يجعلوا من معاوية شيطاناً رجيماً يُلعن آناء الليل وأطراف النهار، لكن المستغرب أن تسري ثقافة اللعن هذه إلى بعض علماء السنة، بل ويتفنن بعضهم في ذم معاوية مصورا إياه بالفرعون الأكبر وصاحب الخطيئة التي لا تغتفر وكأنه قتل نبياً أو تصدى لدعوته وحارب أتباعه.

إن الحقيقة التاريخية والقواعد الدينية تمنع المسلم العاقل من الانحراف إلى الطعن في معاوية برغم تخطئتنا إياه، لكن ما الذي يدفع بعض السنة إلى هذا اللعن والكلام بطريقة موتورة عند الحديث عن معاوية؟

لا يمكن تبرير هذا الموقف إلا من خلال القول إن الغلو في علي وذريته هو الذي يحملهم على الحديث بنبرة ومنطق شيعي، وذلك أن الشيعي حينما يطعن في معاوية فإنما يطعن فيمن قاتل عليّاً الإمام المعصوم الحائز على مناقب وكرامات وقدرات لم تُمنح للنبيين والملائكة المقربين، فمِن المنطقي أن يكون الاعتقاد في مخالفه (معاوية) يتسم بالحدة والتطرف، وكذلك السني لا يتولد في قلبه كراهية معاوية والرغبة في ذمه إلا بالقدر الذي يزداد فيه منسوب الغلو عنده في علي والحسين.

هذه هي العلاقة الوحيدة التي تفسر الموقف المتشنج من معاوية لدى بعض السنة، أما القول بأن الحب الشرعي لآل البيت هو الذي يدفع للقدح في معاوية فأمر لا يستقيم إلا باتهام أكثر الأمة بأنها لا تحب آل البيت لأنها لا تذم معاوية ولا تلعنه، فاللعن ليس مذهبها، والذم

(*) كاتب عراقي.

ليس طريقتها.

٢- الطعن في الأمويين وذمّهم

تاريخ الدولة الأموية تاريخ زاخر بالأحداث والمواقف العظيمة في نصرة الإسلام، وليس من الصعب تقييم أعمال الأمويين ووضعها في ميزان شرعي يمكن من خلاله معرفة ما لهم وما عليهم، ولكن موقف الطعن في الأمويين وذمهم بالمطلق هو مذهب الشيعة وبعض من تابعهم من أهل السنة.

وهو موقف لا يشير من قريب أو بعيد إلى وجود منهجية تاريخية أو موضوعية أو التزام بالضوابط الدينية أو الأخلاقية في الحُكم على مجموعة من الناس وحقبة من الزمن.

ويزداد الحرج على الطاعنين في الأمويين حينما يعلمون أن معظم الفتوحات والإنجازات العسكرية تمت في عهدهم، فلا يمكن الطعن فيهم من جهة إسلامهم بحال من الأحوال.

فالتذرع بحب آل البيت والتدين بلعن الأمويين وكرههم لا يستوي مع معرفة ما حققوه للإسلام في دولتهم، ومن يصور الخلاف بين الأمويين وآل البيت بأنه خلاف ديني عقدي لا ينجح في الإتيان بدليل واحد على ما جنح إليه.

الطريق الوحيد الذي يمكن من خلال فهم اللهجة الشديدة تجاه الأمويين من بعض أهل السنة على غرار تشبيه زعماء الأمويين بفرعون وهامان، أو بأبي جهل وأُبيّ بن خلف وابن أبي سلول، هو المبالغة في تعظيم آل البيت تعظيماً كتعظيم الأنبياء.

٣- غلو الصوفية في أهل البيت

إن غلو الصوفية في الصالحين كان المدخل إلى الغلو في أهل البيت باعتبارهم يجمعون الصلاح والعبادة، والقرب من النبي ﷺ، يقول علي الكوراني العاملي: (كان من الطبيعي أن يبحث شيوخ التصوف عن شخصيات عارفة لله عابدة ليتخذوها قدوة وأن يجدوا أهل البيت عليهم السلام في طليعتها، ولذلك تجد أكثر أصحاب الطرق الصوفية نسبوا طرقهم إلى أويس القرني رحمه الله ثم إلى أمير المؤمنين وأبنائه المعصومين عليهم السلام، وزعموا أنهم أخذوا منهم أفكارهم في معرفة الله تعالى وعبادته، ولهذا دخل التشيع بمعنى حب أهل البيت عليهم السلام إلى ثقافة الصوفية عموماً، ودخلت مدائح علي عليه السلام في أناشيدهم وأذكارهم وأورادهم)[١].

ويقول الدكتور ناصر القفارى: (والروافض يرون أن البيئات التى ينتشر فيها التصوف تمثّل المناخ أو التربة الصالحة لنشر الرفض، وقد أطلعنى أحد الباحثين العراقيين قديماً على تقرير سرى لخطة نشر المذهب الرافضى في البلاد المصرية، وكان التقرير ينص على أن البيئة المصرية، حسب زعمهم، بيئة صالحة لنشر مذهبهم؛ لوجود وانتشار الطرق الصوفية، وكذلك وجود ما يسمى مشاهد أهل البيت المزعومة، كمشهد الحسين والسيدة زينب، إضافة إلى وجود قبائل الجعافرة في الصعيد)[٢].

وقد ساهمت الثقافة الصوفية والتي تغلو في محبة أهل البيت، في التقارب مع الشيعة وفي إدخال ثقافة شيعية إلى الوسط السني بثوب سني كونها تترضى عن الصحابة وتحترمهم كذلك، ومعلوم أن الفكر الصوفي لا يملك أي حصانة ضد التشيع، بل مواضع الالتقاء معه كثيرة، وهذا ما يسهل تصاعد أفكار الغلو الشيعية في أهل البيت بين أهل السنة.

وينبّه الدكتور ناصر القفاري إلى وجود تيار شيعي يتغلغل في داخل الطرق الصوفية، وأن الموضوع لم يعد تشابها عفويا غير مقصود بين التشيع والتصوف، حيث يقول: (إن من المفاهيم الخاطئة الشائعة التي يجب أن تصحح، هو تصور عامة الناس أن العلاقة بين التشيع والتصوف هي نوع من التشابه غير المقصود، ولا ينبئ عن وجود طائفة قائمة لها كيانها ورجالها ومصادرها وتواصلها السري والعلني مع رموز الشيعة، واعتقاد بعضهم أن العلاقة بين التشيع والتصوف هي من قبيل الغزو الخارجي الشيعي للتصوف فقط، ولا وجود لطائفة باطنية رافضية قائمة تعيش وتقبع داخل الطرق الصوفية من مدة طويلة، ولا تزال هذه الطائفة تتوسع في تدميرها لكيان التصوف، ونقلهم إلى نحلتهم بأنواع الإغراءات وصنوف شتى من التلبيس والتدليس.

ويبدو من خلال الاستقراء والدراسة والنظر أن التيار الشيعي الباطني إذا أنهى أو أكمل عملية تحويل الطريقة

---

(١) كتاب (معرفة الله) ص ٦٤ الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ، دار الهدى – قم.
(٢) مقال (الشيعة المتصوفة)، د. ناصر القفاري، مجلة البيان، عدد (٣٢٠).

الصوفية إلى المسار الشيعي الباطني؛ فإنه يتم حينئذ كشف المستور والخروج عن التقية كما ترى الحال بالنسبة للطريقة الختمية، حيث أفصحت وأعلنت تشيعها بالكامل من خلال ارتباطها اعتقاداً واستدلالاً ومنهجاً ومصيراً بالتشيع، ولذا ترى بعض شيوخ الطريقة الختمية المعاصرين يحتجون بنفس حجج الإمامية، ويطعنون في الصحابة كحال إخوانهم الرافضة، سواء بسواء، ومثل ذلك البكتاشية، حتى عدّها الكوثري من ألقاب الشيعة الإمامية، وكذلك الطريقة العزمية، ثم يتحدث بعض من لا يدرك أبعاد المكر الباطني بأن هذا تشابه، وهذا آخر ما وصلت إليه دراستهم)[1].

٤- اتهام بعض علماء أهل السنة بالنصب

بعض الشخصيات العلمية السنية والتي تنتحل التصوف[2] لا تنفك تتهم عددا من علماء أهل السنة أمثال ابن حزم وابن تيمية وأبي بكر بن العربي المالكي بالنصب نتيجة ردودهم على الشيعة، ورفضهم الموقف المغالي في آل البيت، بالرغم من أن هؤلاء الأئمة وغيرهم عاشوا في فترات تاريخية لم تعرف أي وجود لبدعة النصب التي اقترنت بظروف سياسية معينة.

لذلك فتوجيه الاتهام بالنصب لعلماء سنة لمجرد إبداء رأيهم واجتهادهم الذي لم يخالفهم فيه أحد من فضلاء الأمة، هو شاهد على وجود ثقافة الغلو في أهل البيت عند أهل السنة بل وتسربها إلى طائفة من أهل العلم المتصوفة.

٥- تداول واستخدام مفردة النواصب

لقد سمع الكثير من المسلمين اتهام الشيخ العراقي أحمد الكبيسي لأبناء محافظة الأنبار بأنهم نواصب، ونجد في كلام الشيخ السوري عداب الحمش وأمثاله من الطاعنين في الصحابة استعمال هذه المفردة.

ومعلوم أن بدعة النصب والنواصب ظهرت في ظل ظروف وأجواء سياسية ساهمت في تحويلها إلى معتقد ديني تميزت بها فئة من الناس في زمن بني أمية، وما لبثت أن انقرضت وذهبت، ولم يبق من أثرها شيء.

فالنصب لم يكن سوى ردة فعل تطورت نتيجة الخلاف السياسي بين العلويين والأمويين، ولم يكن منشؤها دينيا كالتشيع وغيره، وبالتالي فإن استخدام هذا المصطلح وإعادة تفعيله بعد اندثاره وموته وذهاب الداعي إلى استخدامه هو محاكاة للمنطق الشيعي الذي يصف أهل السنة بالنواصب، ولا يتصور وجود مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يكون في قلبه شيء على آل البيت، فاتهام المسلمين بالنصب بلا دليل هو صورة من صور الغلو المذموم.

٦- التهويل والمبالغة في قصة استشهاد الحسين

يذهب بعض السنة إلى التهويل في قصة استشهاد الحسين رضي الله عنه، مع أنه قد قتل من خيار الأمة الكثير في زمن النبي ﷺ وبعد وفاته، ولم يكن أحد يحيي ذكرى مقتلهم ويبكي عليهم.

لقد جمع الحسين شرف الشهادة إلى الشرف الكبير الذي ناله في حياته، ولا ينتفع بأي بكاء أو حزن أو نياحة عليه بعد موته، لذلك لم يكن حزن الصحابة عليه متضمناً أي مظهر من مظاهر المبالغة، والتي في حقيقتها عقيدة شيعية وليس حزنا طبيعيا على السبط المقتول رضي الله عنه، وهذا ما تنبه له الإمام الغزالي، يقول المفسر حقي إسماعيل البروسوي: (ومن قرأ يوم عاشوراء وأوائل المحرم مقتل الحسين رضي الله عنه فقد تشبه بالروافض خصوصا إذا كان بألفاظ مخلة بالتعظيم لأجل تحزين السامعين، وفي كراهية القهستاني لو أراد ذكر مقتل الحسين ينبغي أن يذكر أولا مقتل سائر الصحابة لئلا يشابه الروافض) انتهى.

قال حجة الإسلام الغزالي: يحرم على الواعظ وغيره رواية مقتل الحسين وحكاياته وما جرى بين الصحابة من التشاجر والتخاصم فإنه يهيج بغض الصحابة والطعن فيهم وهم أعلام الدين وما وقع بينهم من المنازعات فيحمل على محامل صحيحة ولعل ذلك لخطأ فى الاجتهاد لا لطلب الرياسة والدنيا كما لا يخفى)[3].

وهؤلاء الذين يبالغون في إظهار الحزن على الحسين لا يستذكرون جريمة اغتيال الخليفة عثمان، المقتول في الشهر الحرام في البلد الحرام، وهو الرجل الثالث في الإسلام وصاحب المنزلة الرفيعة عند الرسول ﷺ.

وقتل عثمان أشنع من قتل الحسين، وحدثت بسببه فتن ومشاكل أكبر من تلك التي حصلت بسبب مقتل الحسين، ومع ذلك لا أحد من المتباكين على الحسين

(١) المصدر السابق.

(٢) تراجع بعض هذه الاتهامات في كتاب (النصب والنواصب، دراسة تاريخية عقدية) لبدر بن ناصر العواد.

(٣) روح البيان (٤/ ١٤٢).

يذكر مصيبة الأمة في اغتيال خليفتها الثالث.

إن إظهار الحزن السنوي على الحسين والمبالغة في ذلك لا يمكن تصنيفه في خانة محبة النبي ﷺ وآله والحزن على مصابهم، إنما هو نوع من الغلو فيهم، وجعْل الإسلام يتمحور حول الحسين ومصيبة استشهاده.

هذه بعض مظاهر الغلو في أهل البيت المنتشرة في الأوساط السنية ينبغي العناية بدراستها وغيرها وإيجاد طريقة ملائمة لعلاجها حتى لا تتفاقم وتحرف عقيدة المسلمين وأمنهم الفكري لاسيما في زمن المواجهة المفتوحة مع الشيعة.

إيران والإرهاب.. ممارسة وتوظيفا

بوزيدي يحيى(*) – خاص بالراصد

تقدم إيران نفسها كأحد ضحايا الإرهاب، ومن بين الدول التي يجب إشراكها في محاربته، بل وتتهم دولاً أخرى بدعمه لزعزعة أمن واستقرار المنطقة، وهي بهذا تركب الموجة العالمية لـ «محاربة الإرهاب» الذي أضحى ظاهرة عالمية خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، والحملة الأمريكية التي تلتها على الإرهاب. وقد ساندت إيران العدوان الأمريكي على أفغانستان والعراق.

والمفارقة أن إيران تكاد تكون الدولة الوحيدة في المنطقة التي لم يحصل أن استهدفت من طرف الجماعات الإرهابية والتي تعيث شمالاً ويميناً، باستثناء تفجيرات قرب سفارتها في لبنان والتي لم تسفر عن خسائر معتبرة بشرية ولا حتى مادية!!

ومن جانب آخر نجد أنه وفق المفهوم الإيراني للإرهاب وإسقاطه على الأعمال التي تعتبرها إرهابية، لا يكاد يخلو تاريخ النظام الإيراني منذ ١٩٧٩ من أعمال كثيرة مشابهة يمكن وصفها أيضا بالإرهابية داخليا وخارجيا. خاصة في جوارها العربي الذي كان أكثر المتضررين من الجرائم التي ترعاها إيران في إطار مؤسساتها الرسمية، وبشكل علني. كل هذا يدفعنا إلى طرح سؤال جوهري عن موقع النظام الإيراني من الإرهاب في الإقليم، وكيف نفسر، ليس عدم خسارة إيران من صعود الجماعات الإرهابية في المنطقة، وإنما كونها المستفيد الدائم منه؟

الإرهاب من المنظور الإيراني:

تمحور الجدل حول مفهوم الإرهاب أكاديمياً في تعارض المنظورات الأيديولوجية للظاهرة لاختلاف المشارب الثقافية والدينية، إضافة إلى تناقض المصالح السياسية، وأهم ما يثار حول هذا المفهوم في المجال العربي والإسلامي، هو الموقف من مقاومة الاحتلال الإسرائيلي في فلسطين ولبنان بشكل خاص، وكل أشكال الاحتلال بشكل عام. حيث تعتبر الدوائر الغربية على سبيل المثال حركة حماس وحزب الله إرهابيين في حين هناك إجماع عربي/ إسلامي ويشترك فيه معهم آخرون بأنهما حركتي مقاومة لاحتلال[1]، فالتناقضات هذه محسومة في الدائرة الإسلامية.

لكن بينما التنظيمات المتطرفة في المجال السني مثل القاعدة ومختلف فروعها هناك اتفاق على تصنيفها ضمن دائرة الإرهاب، وغالبا ما كانت الدول العربية السنية هي المتضرر الأول والأكثر وربما الأخير من أعمالها، نجد بالمقابل أن التنظيمات الشيعية الإرهابية، تنظر إيران إليها من زاوية مختلفة، فمِن بين كل الحركات المسلحة والمليشيات الشيعية لم يحدث أن اعتبرت إيران في يوم من الأيام إحداها تنظيما إرهابيا، بل على العكس من ذلك غالب هذه التنظيمات ممولة من طرفها، وجلها ولدت وترعرعت في أحضانها.

ازدواجية التصنيف: إرهاب في الداخل و/أو إرهاب في الخارج

تنطلق إيران من مبدأ دعم هذه الأقليات الشيعية المظلومة والمهضومة حقوقها في الدول السنية، ففي

(*) كاتب جزائري.

(١) تجدر هنا الإشارة إلى أن تورط حزب الله في بعض الأعمال الإرهابية في دول خليجية بالتعاون مع تنظيمات شيعية محلية، وحتى في الداخل اللبناني حيث يتهم أعضاء منه بالتورط في اغتيال رئيس الوزراء السابق رفيق الحريري، وعلاقته بالحوثيين في اليمن، وبحكم علاقة التبعية المطلقة التي تربطه بالنظام الإيراني على أسس دينية شيعية، وما يترتب عليها من مواقف وسلوكات والتي كان آخرها التورط في جرائم بحق الشعب السوري إلى جانب نظام الأسد والمليشيات الشيعية، كل هذا جعل الحزب يدمغ بالإرهاب.

البحرين تزعم إيران أن الأغلبية الشيعية هناك تحكمها عائلة سنية، وأن الحوثيين في اليمن أيضا يعانون من بطش النظام، والأمر نفسه يقاس على الدول الأخرى، ومن واجب إيران دعم المستضعفين وحركات التحرر كما سطر ذلك الخميني.

قد نعتبر هذا التصور سليما، ولكن عندما ننظر لواقع الأقليات داخل إيران ومعاناتها، فإننا نجد مفارقة تكشف حقيقة تناقض المواقف الإيرانية، الأمر الذي يجعلها بين خيارين لا ثالث لهما، إما أنها تمارس الإرهاب بحق الأقليات الموجودة في البلاد كما تتهم الحكومات الأخرى أو أنها تدعم حركات إرهابية. فوفق القانون الإيراني والممارسة الميدانية تنظر إيران لأي تنظيم معارض في الداخل يمثل أقلية من بين الأقليات الكثيرة فيها المهضومة الحقوق بأنه تنظيم إرهابي، وتقوم بشكل مستمر بالكثير من الإعدامات في حق هؤلاء، مع عدم فتح المجال السياسي لهم، فضلا عن النصوص الدستورية التي تحرمهم من المناصب العليا.

في مقدمة هؤلاء العرب الشيعة في إقليم الأحواز الذي استعمرته إيران سنة ١٩٢٥، أو إقليم بلوشستان، وحتى الأكراد. إذ على سبيل المثال لا الحصر وثقت «هيومن رايتس ووتش» خلال تقييمها لقانون العقوبات الإيراني الجديد في ٢٠١٢ إعدام السلطات ٣٠ شخصاً على الأقل منذ يناير ٢٠١٠ بناء على تهم بجرائم الحرابة أو الإفساد في الأرض، جراء صلات تربطهم بتنظيمات مسلحة أو إرهابية. وهناك ٢٨ سجيناً كردياً على الأقل حكم عليهم بالإعدام بناء على اتهامات المساس بالأمن الوطني، والمهم أنه في عدد من هذه القضايا كانت الأدلة التي أدانتهم وحكمت بموجبها السلطات القضائية عليهم بالإعدام مجرد كونهم معارضين سياسيين، وليس لأنهم ارتكبوا أعمال إرهابية[١].

ولو أخذنا مقابل هؤلاء كنموذج الحوثيين في اليمن فقط فإننا نجد المجال السياسي لم يغلق في وجههم في يوم من الأيام حيث كانوا ينشطون في الإطار الاجتماعي من الثمانينات حتى منتصف التسعينات لينتقلوا إلى المجال السياسي، ولكنهم سرعان ما تحولوا للعمل المسلح لأخذ ما يقولون إنه حقوقهم، وخاضوا ست حروب ضد النظام كان آخرها في ٢٠٠٩، وبعد الثورة اليمنية شاركوا في الحوار الوطني وأقروا بنتائجه، وكان لهم ما أرادوا من مطالب سياسية، ولكنهم سرعان ما عادوا للعمل المسلح، وأصبحوا يهددون كيان الدولة، فكيف لجماعة مظلومة تدافع عن نفسها في مناطق محددة أن تكون الآن على مشارف عاصمة الدولة؟ ألا تكفي علاقتها بإيران لنعتها بالجماعة الإرهابية حسب المنطق الإيراني؟ هل تقبل إيران بعُشر أمثال الحوثيين عندها؟

وإذا ما عدنا للشأن الداخلي الإيراني فقبل هذا تعاملت إيران مع التنظيمات السياسية المعارضة التي شاركت الملالي في الثورة بطريقة عنيفة وإرهابية، راح ضحيتها عشرات الآلاف من المعارضين الذين كانت تنشر الصحف يوميا أخبار إعدام العشرات منهم. ومن قام بتلك الجرائم هم الآن يتبوأون مناصب كبيرة في الحكومة الإيرانية التي توصف بالإصلاحية، ومن أبرزهم وزير العدل مصطفى بورمحمدي الذي له ملفٌ حافلٌ «بالإجرام والقتل والتنكيل» بحق عدد كبير من الصحفيين والسياسيين.

وكان المرصد الإيراني لحقوق الإنسان نشر تقريرا تحت عنوان «وزراء الموت» في عام ١٩٨٨ ذكر فيه بالتفصيل دوره في الإعدامات التي طالت آلاف السياسيين في الثمانينات. حيث كان عضوا رئيسياً في الهيئة المشرفة على استنطاق السياسيين ومن ثم صدور أحكام الإعدام بحق الآلاف منهم بين عامي ١٩٨٨ و١٩٩٩. وتتهمه المنظمات الحقوقية بارتكاب اغتيالات طالت عشرات من قيادات الأحزاب والمعارضة خارج إيران في نفس الفترة عندما كان مسؤول القسم التنفيذي للمخابرات الخارجية، وأن كل الاغتيالات كانت تتم بتنسيق كامل معه[٢].

الصندوق الأسود: الميليشيات الشيعية العراقية

تتعدد أشكال الإرهاب الإيراني وتتغير في كل بلد، غير أنها تجد مبررات لها مع ذلك، لكن حالة الميليشيات الشيعية العراقية المقاتلة في سوريا مثل لواء أبي الفضل العباس تمثل النموذج الصارخ للإرهاب الإيراني إذ لا

(١) قانون العقوبات الإيراني المُقترح معيب للغاية، موقع هيومن رايتس ووتش، ٢٠١٢/٠٨/٢٩، على الرابط:
http://www.hrw.org/ar/news/2012/08/28

(٢) نجاح محمد علي، يد ملطخة بالاغتيالات تحمل حقيبة العدل في إيران، ميدل إيست أونلاين، ٢٠١٣/٠٨/١٣، على الرابط:
http://www.middle-east-online.com/?id=160345

يوجد أي مبرر لممارساتها، والخانة الوحيدة التي تصنف فيها هي خانة الإرهاب، والإشكال في هذه الحالة أنها ليست ميليشيات تعمل بشكل منعزل وخارج إرادة الدولة، فهي أولا قادمة من العراق، وعملية التنظيم والتجنيد كانت تتم بشكل علني ولم تحارب أو تواجه، ثم انتقالها من هناك إلى سوريا بموافقة حكومتي الدولتين وكل هذا كان يتم تحت وبتنسيق مباشر وتوجيه من طرف إيران، ما يعني أن السلوك هنا رسمي، وهو ما يستلزم تحمل كل الدول، وفي مقدمتها إيران، تبعات ممارسات هذه المليشيات.

و«حماية الأماكن المقدسة» الذي كان غطاء لعمل هذه المليشيات ودخول حزب الله أيضا لسوريا، بل حتى التدخل الإيراني المباشر في العراق كان تحت نفس الشعار، إذ وصفت وسائل الإعلام الإيرانية مهمة الطيار الذي قتل في العراق بسامراء أنه كان يؤدي واجب حماية الأماكن المقدسة، هذا المبرر لا يعدو أن يكون تبريرا أخلاقيا للطائفة الشيعية ووسيلة دعاية لتجنيد أبناء الطائفة، وفضلا على أنه ممارسة طائفية تساهم في تمزيق الأمة فإنه لا يوجد في قاموس القانون الدولي ما يبرر تجنيد مدنيين في مليشيات للمقاتلة في دول أخرى لمثل هكذا أسباب.

وهذه التنظيمات - بما فيها حزب الله- في الكثير من الأحيان كانت تقارن نفسها بالتنظيمات الإرهابية على غرار «داعش»، وإذا كان سلوك الأخيرة إرهابي بالإجماع فإن سلوك المليشيات الشيعية، ومن ورائها إيران، لا يخرج عن هذا الإطار أيضا.

وإذا سلمنا جدلا بأن الغرب هو المسؤول عن الإرهاب وهو الذي يموله ويستخدمه لتنفيذ مصالحه في المنطقة، فإن إيران أيضا تستعمل الإرهاب الشيعي، ممثلا في المليشيات الشيعية، التي تجند فيها الشيعة من اليمن وأفغانستان والعراق كما سبقت الإشارة لنفس الغرض. ثم تقدم نفسها لهذه الجهة دائما (أي الغرب) بأنها الطرف الذي يجب التعويل عليه في مكافحة الإرهاب.

وهنا يبرز تقاطع المصالح بين هذه الأطراف، حيث لا تشير القوى الغربية اليوم للجماعات الشيعية التكفيرية كجماعات إرهابية إطلاقا، وتحصر التهديد فقط في الإرهاب الذي تمثله الجماعات السنية، ويبدو أن السبب وراء ذلك هو أن نشاط هذه الجماعات الإرهابية اليوم لا يتناول الأراضي والأفراد الغربيين، بينما حين كانت المليشيات الشيعية تضرب مصالح غربية مباشرة كانت تصنف كجماعات إرهابية، في انتهازية وعنصرية صارخة.

يفضح هذا المشهد ما يجرى في اليمن، فقد برر زعيم الحوثيين تقدّمه نحو العاصمة بمحاربة التكفيريين الذين تدعمهم الحكومة، رغم أن الأخيرة هي التي تقاتلهم في الجنوب، وفي نفس الوقت يدعي أن الهدف هو مقاتلة إسرائيل وأمريكا، والجميع يعلم أن الطائرات الأمريكية بدون طيار لسنوات تستهدف فقط تنظيم القاعدة هناك، ولم تستهدف الحوثيين يوما، بل دافعت عنهم، كما أنهم لم يمسوا مصالحها يوما بدورهم.

مكافحة الإرهاب على الطريقة السورية: الإثبات بالنفي

فور انفجار الإقليم السني في العراق صرحت إيران على لسان مساعد رئيس هيئة الأركان الإيرانية، مسعود جزائري، أن بلاده مستعدة لدعم العراق في حربه ضد «الإرهاب» على الطريقة التي تتبعها في سوريا، لافتا إلى أن طهران لن تسمح للإرهابيين بحكم الشعبين السوري والعراقي. وأن «إيران أبلغت المسؤولين العراقيين بأنها مستعدة لتزويدهم بالخبرات الناجحة في الدفاع الشعبي المتنوع وهي نفس إستراتيجيتها الناجحة المستخدمة في سوريا لإبقاء الإرهابيين في وضع الدفاع».

هذا التصريح أكد من اليوم الأول أن إيران ستنتهج نفس السلوك في سوريا، فما يحصل تختصره تحت عنوان واحد هو «الإرهاب»، وهذا بحدّ ذاته إجرام بتعميم الحكم إذ أن كرونولوجيا الأحداث تكشف بما هو مؤكد وثابت أن الثورة السورية استمرت لستة أشهر سلمية، وعملية العسكرة كانت متأخرة وكرد فعل على الخيار الأمني الذي سلكه نظام الأسد، وحتى الجماعات التكفيرية كان دورها متأخراً جداً والمعارضة السورية أصبحت هي نفسها أكثر تضررا منها، بل وللمفارقة اضطرت للدخول في مواجهات معها، ولم يعد زمام المبادرة لنظام الأسد إلا بعدما أخذت تلك التنظيمات المتطرفة تتمدد في الأماكن التي سيطرت عليها فصائل الثورة.

وإضافة إلى هذا فإن مكافحة الإرهاب من خلال «الدفاع الشعبي المتنوع» ما هو إلا استنساخ لتجربة المليشيات الشيعية التي عاد الكثير منها أدراجه إلى العراق كما أكدت الكثير من التقارير، وعملية

التجنيد التي تصدت لها المرجعية ممثلة في علي السيستاني، ومختلف القيادات السياسية التي شكلت ألوية جديدة أو أعادت إحياء مليشياتها كجيش المهدي.

وفي خضم كل هذا يكشف التباس الموقف الإيراني وتخبط إدراكه «للإشكالية الأخلاقية» في سياساته، وشعوره بأنها فعلا وواقعا «أعمال إرهابية»، ومن الأمثلة على ذلك نفي طهران الكثير من الممارسات ثم اعترافها عمليا بها، فبينما نفى حسين أمير عبد اللهيان نائب وزير الخارجية الإيراني إرسال طهران جنودها إلى العراق لدعم القوات الحكومية في حربها ضد داعش وأكد بأنه «ليس لديهم أي جنود أو قوات مسلحة على الأراضي العراقية حاليا». وربط ذلك بالقانون والأنظمة الدوليين ووفقا للاتفاقات الثنائية (بين البلدين) سرعان ما جاءت الأخبار ومن إيران نفسها تتحدث عن مقتل الطيار الإيراني في سامراء وشهادته خلال تأديته واجب حماية الأماكن المقدسة.

لا شك أن إيران تجد صعوبة كبيرة في تفسير وتبرير مواقفها، والمجاهرة بالخطاب الطائفي هو بحكم الاضطرار إذ كانت تمارسه طيلة العقود السابقة بالكثير من «التقية»، كما أنه ظل في إطار غير عابر للدول كما هو عليه الحال الآن، مما لا يمكن أن يصنف السلوك والخطاب الإيراني إلا بالطائفية والإرهاب.

إيران والقاعدة: تقاطع المصالح

بمجرد طرح موضوع علاقة إيران بالإرهاب ممثلا في تنظيم القاعدة يقفز عند البعض سؤال فيه كثير من السخرية والتعجب مفاده كيف لتنظيم متطرف ومتناقض تماما في أفكاره ومعتقداته مع إيران أن يكون حليفا لها أو متعاونا معها في نفس الوقت؟ وهؤلاء ينسون أو يتناسون تلك المقولة الشهيرة في السياسة التي مفادها أيضا: أنه «ليس هناك صديق دائم أو عدو دائم وإنما مصلحة دائمة». وبإطلالة على الأوضاع الإقليمية ومساحات النفوذ والمصالح للقاعدة وإيران فإننا نقف أيضا عند جملة الملاحظات التالية:

١- تحدثت التقارير عن علاقات ربطت إيران بالقاعدة بعد الاحتلال الأمريكي لأفغانستان والعراق، وكيف أصبحت إيران نقطة عبور بين البلدين، ومستقرا للكثير من قيادات القاعدة وعائلاتهم[1]، هذه التقارير جاء تأكيدها لاحقاً عقب انشقاق فرع القاعدة في العراق بزعامة البغدادي مؤخرا عن التنظيم الأم، والرسالة التي وجهها الناطق الرسمي للتنظيم للظواهري، حيث أشار فيها إلى توجيه الأخير لهم بعدم استهداف إيران، فقد اتهم أبو محمد العدناني في ١١ مايو/ أيار ٢٠١٤ عبر رسالة صوتية بعنوان «عذرا أمير القاعدة»، قيادة القاعدة المركزية بالانحراف عن المنهج ونسج علاقات مشبوهة مع إيران، إذ أقر بأن «للقاعدة دينا ثمينا في عنق إيران»، كما أن تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) «لم تضرب في إيران تلبية لطلب القاعدة .. للحفاظ على مصالحها - أي القاعدة – وخطوط إمدادها.

وبغض النظر عن السياق الذي جاءت فيه هذه التصريحات فإنه يؤكد تلك العلاقة بين الطرفين التي لطالما كانت محل استغراب وتكذيب، ومجرد توظيف إيران للقاعدة إدانة لها بممارسة الإرهاب، فليس هناك في العرف الأخلاقي والقانوني مبرر للتعاون مع التنظيمات الإرهابية.

٢- الملاحظة الثانية تنطلق من الأولى وتتمثل في الانشقاق ودلالاته، فهنا ليس الحديث عن اختلاق إيران للقاعدة وإنما فقط توظيفها كحالة موجودة لخدمة مصالحها، والتي كانت تتمثل في مرحلة سابقة في إرهاق الولايات المتحدة الأمريكية في العراق وخلط أوراقها لتثبيت عملائها في السلطة، وقد اضطرت فعلا واشنطن للدخول مع طهران في جولات من المفاوضات المباشرة، وحصلت على ما كانت تريده في النهاية.

وفي مرحلة ثانية وعقب الثورة السورية كانت أيضا في حاجة لمبررات «أخلاقية» للتدخل واستمرار النظام وهذا ما حصل أيضا بعد تمدد تنظيم «داعش» في سورية حيث مع صعوده أصبحت كل أنظار العالم موجهة لخطر التنظيمات المتطرفة و«الإرهاب» وطويت صفحة إسقاط نظام الأسد بشكل شبه كامل، والأخير أيضا وجد في الجبهات التي فتحها التنظيم مع فصائل الثورة الأخرى مساعدة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة له، وخدمات شبه مجانية.

٣- يقف الكثيرون عند التناقض في التصورات

---

(١) في الوقت الذي يقوم فيه النظام بقمع جماعات - مثل «كتائب قاعد في كردستان» و«نوادكان صلاح الدين» - ، إلا أن من يتعاون منهم =

يتعامل معه النظام برفق طالما لم يشكلوا تهديداً داخلياً. وفي المقابل، يتم اعتقال أعضاء «جيش الصحابة» و«أنصار الإسلام»، ممن لا يتعاونون، وتجري محاكمتهم. مهدي خلجي، السلفية كتهديد للأمن القومي الإيراني، على الرابط:
http://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/salafism-as-a-national-security-threat-for-iran

العقدية بين إيران والقاعدة ويجعلون منها مرتكزا لتكذيب أي أطروحة تجمع الطرفين في سلة واحدة، ولو تمعنا جيدا نجد أن ألدّ أعداء تنظيم القاعدة في أيديولوجيتها ليس أمريكا ولا حتى الكيان الصهيوني، وإنما الأنظمة العربية العلمانية والعميلة التي يجب القضاء عليها أولا، وهذا ما نشاهده أيضا في سوريا حيث جعل التنظيم الفصائل التي تحارب الأسد عدوه الأول، وهو يقاتلها ويعتقد أنه لا بد من القضاء عليها ليتمكن من إسقاط الأسد. وإيران تدرك هذه الخلفية لذلك تعمل على توظيفها بما يخدم مصالحها. وهذا ما يعبر عنه الباحث في شؤون الحركات الجهادية حسن أبو هنية بهشاشة الأيديولوجيا وجبروت السياسة، حيث تطغى الأبعاد السياسية على القيم الأيديولوجية[1].

٤- ولأن التنظيم يوظف وليس مختلقا (مع التأكيد على أنه مخترق) فإنه من الصعب جدا توقع سلوكياته، وتبقى دائما هناك احتمالية للخروج عن الخط و«اللامتوقع» من طرف هذه التنظيمات، وهو لا يختلف عن سلوك القاعدة الأم مع الولايات المتحدة الأمريكية عقب نهاية الحرب مع الاتحاد السوفياتي في أفغانستان، لذلك وجدت إيران في سلوك القاعدة الأخير تجاه العراق أمراً مفاجئاً لها، وهذا لربما ما يفسر استنفارها على كل المستويات السياسية والعسكرية وتجنيدها لكل طاقتها لمحاربته. فقد صرّح مسؤولون إيرانيون أنهم يأخذون تهديدات البغدادي على محمل الجد[2]. وتجدر بنا الإشارة هنا إلى أن موقف البغدادي هذا ليس وليد اللحظة، وإنما يعود لأيام قيادة التنظيم من طرف أبي مصعب الزرقاوي، الذي كان له رأي مختلف عن قيادة القاعدة في أفغانستان بخصوص الموقف من إيران[3].

الخلاصة:

تنسب للحرس الثوري الإيراني الكثير من الأعمال الإرهابية، والتي تمارس من خلالها إيران أسلوب الحرب غير النظامية ضد خصومها، داخليا يشمل هذا كل القوى المعارضة من الإصلاحيين كأقرب معارض إلى منظمة مجاهدي خلق وحتى كل التنظيمات الممثلة للأقليات. ومن أهم النشاطات الإرهابية الدولية الإيرانية خارجياً تفجير الحجاج في مكة المكرمة عامي ١٩٨٧ و١٩٨٩، ومحاولة اغتيال أمير الكويت الشيخ جابر الأحمد سنة ١٩٨٥، ومحاولة اغتيال السفير السعودي في واشنطن قبل ثلاث سنوات، وغيره من الدبلوماسيين السعوديين في بلدان مختلفة، فضلا عن الأعمال الإرهابية والتفجيرات التي تقوم بها التنظيمات الشيعية في مختلف دول الخليج ولبنان.

وحتى إذا سلمنا جدلا بكل التأويلات والقراءات لتلك الأحداث، فإن ما لا يمكن تبريره هو دور المليشيات الشيعية التكفيرية في سوريا وجرائمها الإرهابية، والتي أصبحت «شركات أمنية» إيرانية على غرار شركة (بلاك ووتر) تلك التي استعملتها الولايات المتحدة الأمريكية في ما أسمته حربها على الإرهاب. فالمتتبع للخطاب الإيراني حول مكافحة الإرهاب يجد أن المستهدف به هو فقط تلك التنظيمات السنية، أما الدائرة الشيعية فهي تبقى خارج هذه التهمة.

أما علاقة إيران بالقاعدة والتي تأكدت من اتجاهات عديدة وفي سياقات مختلفة فإنها تبين كيف احتضنت إيران أكبر فصيل سني متطرف ووجهته نحو خصومها، في المرحلة التي كان التنظيم مطاردا فيها في كل أنحاء العالم، أي بعد الاحتلال الأمريكي لأفغانستان، وهذا يبين قدرة إيران على المناورة واللعب بكل الأوراق المتاحة أو يمكن أن تتاح بيدها، والمدى الذي يمكن أن تذهب إليه في ذلك.

فلم يمنعها خلافها العميق معه من التعامل معه وتوظيفه بما يخدم مصالحها حين التقيا معاً، فإذا نظرنا لعلاقة إيران بالإرهاب والقاعدة في المقام الأول بعين «جيوسياسية» نجد أنه كلما صعد دور القاعدة في منطقة ما تناسب ذلك طرديا مع النفوذ الإيراني، ففي العراق برز تنظيم القاعدة مع سيطرة إيران من خلال الشيعة على العراق تقريبا، وفي اليمن صعود القاعدة مع تمدد الحوثيين الذين أصبحوا على بعد كيلومترات من العاصمة صنعاء، وفي سوريا بينما كان الجميع يحسب أيام نظام الأسد المتبقية، جاء صعود داعش ليطوي الملف بشكل شبه نهائي، بل وأصبح الحديث عن

---

(١) حسن أبو هنيّة، رجال بن لادن والظواهري في إيران، عربي ٢١، بتاريخ ٢٥ /٠٥/ ٢٠١٤، على الرابط:

http://arabi21.com/Story/750932

(٢) محمد أبو رمان، القاعدة وإيران: على أعتاب مرحلة جديدة، الغد الأردنية ٢٠٠٧/٠٧/٢١، على الرابط:

http://cutt.us/FIUI

(٣) لتفاصيل أكثر، انظر: حسن أبو هنيّة، المرجع نفسه.

أيام الثورة المعدودة.

والذين ينكرون علاقة إيران بتنظيم القاعدة هم أنفسهم الذين يعتبرون أن ما تفعله إيران في سوريا هو جزء من المقاومة والممانعة، وأن تنظيما متطرفا مثل لواء أبي الفضل العباس ليس بالتنظيم الإرهابي. كما أنهم لا يلتفتون إطلاقا لعلاقتها بتنظيمات مثل الحوثيين في اليمن وغيرها من القوى الشيعية في البحرين والكويت، وحتى علاقتها بالمالكي تدخل في إطار منافسة الولايات المتحدة الأمريكية، ولا تعني لهم جرائم المالكي الإرهابية بحق أهل السنة والجماعة وما قام به هناك مما اضطر العشائر السنية إلى حمل السلاح ضده بعد يأسها من الحلول السياسية.

مؤتمر عمّان لقوى الثورة السنية

عبد الهادي علي(*) - خاص بالراصد

بتاريخ ١٦ تموز ٢٠١٤م عقد في العاصمة الأردنية عمّان ملتقى أو مؤتمر دعيت إليه القوى السنية العراقية، وحضره أكثر من ٣٠٠ شخصية من شتى الأطياف والمشارب، الغرض منه دعم الثورة وتكوين معارضة عراقية سنية، وعقد المؤتمر ليومين أحدهما تحضيري تشاوري والآخر ختامي، وما يميز هذا المؤتمر عن غيره أنه حضره من كان يرفض الحضور من قبل في أي مؤتمر، ومن كان يرفض أن يلتقي بالآخر، وهذا بحد ذاته يعد نجاحا للمؤتمر، ويحسب للقائمين عليه.

والشيء الجديد في المؤتمر: أنه عقد في دولة عربية فقد كانت المؤتمرات من قبل تعقد في تركيا أو دول أوروبية؛ فالدول العربية ابتعدت منذ احتلال العراق سنة ٢٠٠٣ عن القضية العراقية وبعضها مع الأسف استجاب للمحتل الأمريكي في مطالبه.

المؤتمر كان مؤتمرا سنيا، فالمدعوون كأفراد كلّهم كانوا من العرب السنة ورفضت اللجنة المنسقة حضور أي شخص غير سني[1]، والهيئات والتيارات من جميع التوجهات التي شاركت فيه هي مكونات وجهات سُنية فقط، وغاية المؤتمر رعاية الثورة في العراق وهي ثورة سُنية.

الخطوة الجديدة التي حدثت في المؤتمر أن هناك قوى سنية كانت ترفض كل طرح ومقترح يقدم من غيرها، لكنها بدلت موقفها، وقبل أيام من انعقاد المؤتمر أشادت بفكرة اللقاء والتشاور، بل بعضها تبنى المؤتمر كما كتب ذلك الدكتور محمد بشار الفيضي ممثل هيئة علماء المسلمين.

الحضور البعثي كان متميزا، فلأول مرة يُدعى حزب البعث رسميا إلى مؤتمر سياسي بخصوص العراق منذ سقوط نظام حزب البعث، وأكثر ممثليه قدم من خارج الأردن وليس من داخله.

أما فصائل المقاومة الإسلامية فقد حضر جلّها وحضرت شخصيات لم يسبق لها المشاركة العلنية لأنها تفضل أن تعمل من وراء الستار، كل هذا يؤكد أنه كان مؤتمرا غير عادي.

المؤتمر كان مفتوحا لكل الشخصيات والهيئات السنية باستثناء:

السياسيين السنة الحاليين ممن شارك في العملية السياسية الحالية، والصحوات (وأكثرهم شيوخ عشائر)، وبعض الأثرياء وتجار المال السنة، وفي اليوم الأول تم إخراج بعض من حضر المؤتمر من هذه الأصناف.

كان أكبر أهداف المؤتمر هو دعم الثورة العراقية، وتحديد الموقف من العملية السياسية العراقية الحالية في العراق، وكان يراد للمؤتمر أن يخلص إلى تشكيل معارضة عراقية ضد الحكم القائم في العراق، ولكن تم ترحيل البت في ذلك إلى مؤتمر آخر أوسع يعقد فيما بعد.

أما التنديد بسياسات المالكي والطائفية والاحتلال الإيراني للعراق فكان واضحا من خلال الكلمات التي ألقيت.

اليوم التحضيري للمؤتمر:

شارك في اليوم التحضيري ممثلون عن كل التوجهات المشاركة، وألقيت كلمات وخطب، وكعادة حزب البعث فقد توزع البعثيون تحت عدة مسميات كي يبدو حجمهم كبيرا وتمثيلهم واسعا.

أعطيت الكلمة الأولى للدكتور الشيخ عبد الملك السعدي، وأستهلها بكلام عن الخميني وتصدير الثورة، ومحاولة السيطرة على العراق، وأن ما حصل اليوم هو

(*) كاتب عراقي.

(1) تجاوزا حضرت بعض الشخصيات الشيعية تحت غطاء حزب البعث وبعض المراسلين الإعلاميين.

جزء من هذا المخطط، لكن أخوه عبد الحكيم السعدي عقّب عليه بكلمة أساء لنفسه وللمؤتمر، قال فيها: إنه يرفض ذكر كلمة السُنّة وأنه إذا ذكر في المؤتمر السنة فإنه سينسحب ويعود إلى تركيا، وهو رغم كونه محسوبا على علماء العراق بخلفيته الصوفية، إلا أنه يعتبر أيضاً ممثلا لحزب البعث وفكره!!

وتوالت عدة كلمات تعتبر الثورة ثورة عراقية لكل العراقيين وليس للسنة وأنها ستحرر العراق كله، وذلك من شخصيات ذات توجهات بعثية وقومية وبعض العسكريين وممثلي العشائر ومقربين وأعضاء في هيئة علماء المسلمين.

بينما كانت كلمات ممثلي المقاومة العراقية، وجلهم أصحاب توجهات إسلامية سلفية، وكلمات الحراك الشعبي (الإخوان المسلمين) والحراك السني (توجه سلفي) كلمات تشيد بالثورة السنية والمحافظات الثائرة الست (وهي محافظات سنية) وأن الثورة تريد حقوق أهل السنة.

هذا التباين في التوجهات هو صراع قديم بين توجهات الحكومة البعثية السابقة وتوابعها ويضاف لها هيئة علماء المسلمين، وتوجه إسلامي سني تمثله الفصائل الإسلامية بشقيها السلفي والإخوان، أما النخب الفردية فهي موزعة بين الجهتين.

لكن الذين حضروا اتفقوا في المشاورات الجانبية قبيل المؤتمر أن تؤجل جميع المسائل الخلافية لمرحلة قادمة، وعلى رأسها مسألة الإقليم السني، وتم التوافق على رفض العملية السياسية الحالية وليس الولاية الثالثة للمالكي فحسب، وعلى توصيف الذي يجري في العراق بأنه ثورة ضد الاحتلال الإيراني، وإلى عدم التعرض لذكر داعش، وإلى رفض تشكيل صحوات جديدة، في رسالة للعالم بأن السنة يرفضون أن يكونوا قوة لضرب داعش كما حصل في سوريا، دون أن يكون هناك حل لقضيتهم الأساسية.

وأهم منذ ذلك توافق الجميع أنه لابد من نجاح المؤتمر لأن الحاضنة الأردنية يجب أن تستمر، وضمان إستمراريتها هو نجاح المؤتمر أو الملتقى الأول.

طموحات متباينة:

وبينما يطمح حزب البعث وهيئة علماء المسلمين والتابعون لهما إلى تحرير العراق بالكامل وأنه هو المطلوب، دون مراعاة للمنطقة التي يتواجد أكثرهم بها وهي إقليم كردستان، وأن الكرد حكومة وشعبا يرفضون أن يتخلوا عن الإقليم وهو يكاد يكون قرارا لا رجعة فيه عندهم ... يطمح فريق آخر إلى تحرير بغداد أو إسقاط الحكومة والوصول إلى توافق مع الشيعة للعيش المشترك وفق معادلة جديدة وحكومة جديدة بين المكونات الثلاثة الأساسية في العراق (السنة والشيعة والكرد).

هذا التباين بدا واضحا من خلال الكلمات المطروحة، وفي كواليس اللجنة التي شُكلت لصياغة البيان الختامي للمؤتمر، حيث كاد هذا التباين يفشل المؤتمر، بسبب إصرار هيئة العلماء وممثلها د. بشار الفيضي ود. مثنى حارث الضاري، وممثل جيش الطريقة النقشبندية (ممثل مقاومة حزب البعث) على عدم ذكر كلمة (السنة) ومعاناتهم وما تعرضوا له وبين ذكر المحافظات الست الثائرة، وكون العراق كله ثائرا في البيان، وبين ممثل الفصائل الدكتور أحمد الدباش الذي كان يصر على ذكرها.

وانتهى الأمر إلى حالة توافقية غريبة؛ فقد قرئ البيان في المؤتمر دون ذكر السنة بدون حضور وسائل الإعلام، وأعيدت قراءته أمام وسائل الإعلام بذكر السنة ومعاناتهم! وهذا يؤكد الانطباع عن اختلاف المناهج السنية لرؤية المعضلة العراقية.

المؤتمر نجح بنتائجه العامة وحقق هدفه وهو جمع فرقاء السنة المختلفين والمتنازعين، على قواسم مشتركة فضفاضة في خطوة تمهيدية للتحضير لمؤتمر آخر أكثر شمولا، والذي نتأمل أن تصدر من خلاله قرارات عملية لتفرز حالة أشد تطورا من اللقاء والمؤتمر الأول.

القضية السنية
في فكر التوجهات السنية العراقية

عبد العزيز بن صالح المحمود(*) – خاص بالراصد

مدخل:

في ١٩ من شهر رمضان سنة ١٤٣٥هـ، الموافق ١٦ تموز ٢٠١٤م انتهى ملتقى في العاصمة الأردنية عمّان حول ثورة أهل السنة في العراق، متبنيا الثورة الجارية بالعراق ضد الحكومة الصفوية الشيعية، وقد كنتُ متابعا لهذا المؤتمر وتفاصيله من خلال أخوة كثر شاركوا فيه، ولا أريد

(*) كاتب مصري.

الدخول في تفاصيل المؤتمر، ولكن الذي يهمني هو: أين كان موضع القضية السُنية في عقول المجتمعين، علما أن الحضور مثّل كل ألوان الطيف السُني في العراق تقريبا.

المؤتمر أو الملتقى لم يحضره غير السُنة. هكذا كانت الدعوات بداية، وإن سرّب حزب البعث العربي العراقي بعض الشخصيات الشيعية البعثية في آخر جلسة ممن يقيم في عمان (الأردن). لذلك كان المناقشون في الجلسة التحضيرية كلّهم من العرب السُنّة.

الحضور جاء من المناطق السنية من المحافظات الست (بغداد – نينوى – الأنبار- صلاح الدين- ديالى – كركوك) وبعض سنة المناطق الجنوبية والوسطى.

أما تركيبتهم وانتماءاتهم فيمكن تقسيمها إلى:

- التوجهات الإسلامية: التيار السلفي، جماعة الإخوان المسلمين، التيار الصوفي، التيار العلمائي.
- التيار العلماني: حزب البعث، ونخب علمانية مستقلة، ووطنية وقومية وناصرية، وربما عدد قليل من الليبراليين بحكم أن الوجود الليبرالي في العراق ضعيف.
- المقاومة العراقية: غلب عليها التيار السلفي، وقليل تابع للبعث، وآخر تابع لهيئة علماء المسلمين.
- ممثلي العشائر: الذين توزعوا بين التيار الوطني والبعثي والقومي.
- العسكريين (الجيش السابق): وتوزّعوا بين البعثية والقومية والوطنية وقليل منهم إسلامي.

كان هناك صراع واضح بين التوجه الذي يتبنى الحل من خلال رؤية سنية وبين التيار الوطني القومي، الذي يفضل حلا شموليا للقضية العراقية ببعد علماني، علما أن الجميع اتفقوا على عدم الكلام في قضية الإقليم السني.

توزع التوجهات العراقية حول القضية السنية ومبرراته:

- تيار يعتبر قضية العراق الحالية هي وطن سُلب واحتل من قبل الأمريكان ومن ثم الإيرانيين، ومن قبل حكومة تتبع لإيران، وأن الحل الوطني يجب أن يكون الحل الوحيد ولا تذكر القضية السُنيّة لا من قريب ولا من بعيد، ويعتقدون أن ذكر القضية السنية ومعاناة السُنّة هو دعوة مبطنة للفيدرالية أو الإقليم، وأن الدعوة إلى الإقليم دعوة لتقسيم العراق، واستجابة للمخططات الغربية ودعوة بايدن، هذا هو دافع ومنطلق الرافضين للكلام عن معاناة السنة والتوجه الطائفي ضدهم.

كما أن رفضهم ازداد عندما تبنى هذا الطرح الحزب الإسلامي، الممثل السياسي في العراق لجماعة الإخوان المسلمين العراقية، وهذا التوجه يعتبر الحزب الإسلامي جزءا من المخطط الغربي في تثبيت الاحتلال والسعي للتقسيم، ويعتبرون أن الحزب ساهم بذلك منذ سنة ٢٠٠٢ في مؤتمر لندن عندما وقّع رئيسه إياد السامرائي مع المعارضة الكردية والعراقية على الموافقة على غزو العراق من قبل أمريكا وبريطانيا، وأنهم ساهموا بعد ذلك في قبول المحاصصة السياسية المفروضة منذ تأسيس الدولة العراقية الجديدة وإعطاء العرب السنة ٥ حصص من ٢٥ حصة للعراق، وقد استلم الحزب الإسلامي تلك الحصة من خلال أمينه العام الدكتور محسن عبد الحميد.

ولذلك فهم يخوّنون جماعة الإخوان بعامة والحزب الإسلامي ويعتقدون أنهم ينفذون الأجندة الغربية في العراق بقبول فكرة الإقليم تمهيدا للتقسيم.

ويتبنى هذا الرأي؛ كل من التوجهات التالية:

١- حزب البعث العربي الاشتراكي (علماني).

٢- هيئة علماء المسلمين (وطني إسلامي).

٣- مجموعة من العلماء من أمثال آل السعدي[1] وعلى رأسهم الدكتور عبد الملك السعدي، وهو توجه (مذهبي) صوفي، لهم صلة قوية بحزب البعث لليوم، ولهم مكانة في محافظة الأنبار.

٤- فصائل مسلحة تابعة لحزب البعث، مثل جيش الطريقة النقشبندية.

٥- فصائل مسلحة مثل كتائب ثورة العشرين التابعة لهيئة علماء المسلمين.

٦- بعض الفصائل الصغيرة المناطقية التي لها صلة بالهيئة دعما ماليا، أو من حزب البعث.

٧- التوجهات الناصرية القومية، وهي قد بالغت في رفض الهوية السنية لدرجة تأييد إيران وحزب الله (خارج العراق) أما عراقيا فتعتبر الخطر الأمريكي والكردي أخطر من الإيراني والشيعي. وهذه لا تملك على الأرض أي وجود مسلح.

---

(١) عائلة أصلها من مدينة سامراء هاجرت إلى مدينة الأنبار (الرمادي) واستقرت بها وهم أخوة أكثرهم طلبة علم وأساتذة شريعة وعلماء، برزوا في ثمانينات القرن الماضي وكانت لهم صلة وطيدة بحزب البعث العربي إبان حكمه، منهم عبد الملك السعدي، وإخوانه: عبد الحكيم، وعبد الرزاق، وعبد العليم وغيرهم. وهم شافعية المذهب، كانت لهم مدارس دينية ودعم قوي من قبل حكومة البعث.

٨- بعض التوجهات العشائرية؛ وهي إما كونها تابعة للتوجهات السابقة، أو لأنها ترى أن العراق العربي متكون من عشائر وهي منقسمة شيعيا وسنيا، وأن العشائرية هي التي توحّد النسيج العراقي، الذي مزقته التوجهات الدينية، فهي توجه يشبه التوجه الوطني.

٩- نخب وتوجهات وطنية وعلمانية أو ليبرالية تنظر إلى الدين نظرة دونية أو نظرة جزئية، أو على أنه مخرب للنسيج المجتمعي.

وتحاول كثير من هذه التوجهات تفسير جرائم إيران والشيعة باعتبار أنه توجه صفوي وإيراني قومي، وليس توجها مذهبيا (شيعيا) ويبررون ذلك بأن العراق عاش أكثر من ألف سنة وفيه شيعة ولم يحصل ما حصل اليوم من اقتتال، وأن العراق الجديد الذي تأسس سنة ١٩٢١م لم يحصل فيه اقتتال سني شيعي إلا بعد أن دخل الاستعمار إلى البلد سنة ٢٠٠٣ وأوجد هذا الشرخ المجتمعي في العراق.

- وتيار يتبنى القضية السنية ويدافع عنها، وهؤلاء يرون أن العراق بلد سني منذ أربعة عشر قرنا، وأن كل الدول التي عرفها العراق الإسلامي هي دول سنية، واستطاعوا أن يتعايشوا مع الشيعة بسبب حسن قيادة السنة للبلاد وعدم شعورهم بالنقص بالأقلية أو الدونية أو المظلومية، وكانوا يقودون البلاد ويمنعون أي ظهور للطائفية بشكلها الحالي ويطفئون أي نار للفتنة بين السنة والشيعة.

وحتى بعد تشكيل العراق سنة ١٩٢١ حكم السنة ومنعوا ظهور الطائفية وأن الوطن لم يتماسك إلا بوجودهم وهيمنتهم على الحكم وقيادته له، بعكس الحال حين سيطر الشيعة.

كما يرون أيضا أن الوطنية الحقّة تحتاج إلى انتماء تاريخي عميق للبلد وهذا متوفر عند السنة وحدهم، وغير متوفر عند الشيعة؛ فالسنة بناة العراق منذ أن بنيت الكوفة والبصرة في عهد الخليفة الراشد عمر، وواسط على يد الحجاج (الأمويين)، وبغداد على يد أبي جعفر المنصور وهارون الرشيد، والمتعصم الذي بنى سامراء (العباسيين)، وكل مدن العراق وتاريخه، وثلاثة من علماء المذاهب السنية (أبو حنيفة – الشافعي- أحمد بن حنبل) هم من العراق.

ومدن العراق، حتى الجنوبية، بناها السنة، فالناصرية بناها ناصر السعدون، والعراق بعد سنة ١٩٢١ بناه الهاشميون وقيادات عراقية سنية لغاية ٢٠٠٣.

ولا يمتلك الشيعي أي رصيد في هذا البلد سوى قبور أئمة المذهب الذين هم أصلا أئمة معتبرون عند السنة أيضا، ولكن ماذا بنوا في العراق؟ حضاريا؟ أين هي بقايا تاريخهم سوى مشاركتهم ومساعدتهم للمحتل في سقوط بغداد على يد المغول سنة ٦٥٦هـ، ومساعدتهم الدولة الصفوية مرتين (القرن العاشر للهجرة)، وخياناتهم سنة ٢٠٠٣م بمساعدة الأمريكان والإيرانيين.

فالوطنية الحقة يمتلكها أهل السنة، نعم يمكن أن يشارك في ذلك شرفاء من الشيعة والعشائر ولكن تحت قيادة سنية.

ولذلك لا يستطيع أي حاكم شيعي أن يحكم العراق ولا يخربه؛ لأنه ينطلق من نظرة دونية وشعور بالنقص وروح الانتقام، وهذا ما لا يملكه السني الذي يشعر بأنه سليل حضارة عميقة، وأن الشعور الأبوي بحماية كل أبناء البلاد يتوفر لديه، وأنه إذا ظلم أو همش فإنه يكون عادلا في ظلمه إذ يساوي بين الجميع!

وقد أدرك هذا كثير من البعثيين وأفراد هيئة علماء المسلمين؛ ويعترفون بهذا في مجالسهم الخاصة، فرئيس الهيئة الدكتور الشيخ حارث الضاري مثلا قال مرارا في مجالسه الخاصة: «قيادة العراق لا تصلح إلا للسنة»، لكنه في تنظيره العلني وظهوره الإعلامي يكابر، وصدق الله العظيم القائل: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ﴿١٤﴾﴾ [النمل].

وهذا التيار يضم في صفوفه:

١- التوجهات السلفية بجميع اختلافاتها.

٢- بعض عناصر الإخوان المسلمين.

٣- بعض الصوفية.

٤- بعض رموز العشائر.

٥- أكثر التوجهات المقاتلة والمجاهدة.

٦- نخب فكرية وقومية وعسكرية.

٧- أغلب العوام في الشارع السني يحملون هذا الهمّ.

الواقع اليوم وبعد ما حصل في ٢٠٠٣:

بعد الاحتلال غُيرت المعادلة من قبل المحتل، وأُقصي السنة عن دفة الحكم، وتتابعت ثلاث حكومات شيعية، واليوم ستحل الرابعة، وقد أذلت السنة وقتلتهم وعملت على تغيير ديمغرافية العراق والتخطيط لتشييعه

بالكامل، وغيرت المناهج، وهيمنت على مفاصل الحياة المدنية والعسكرية؛ ولأول مرة يطلب سنة العراق أن يكونوا إقليمًا سنيًا كي يتخلصوا من الحكم الشيعي لظلمه، وحتى هذا رفض الشيعة منحهم إياه، بعد أن كان السنة لغاية سنة ٢٠٠٨ يرفضون رفضا قاطعا ذلك ويعيبون على الدستور العراقي احتواءه على فكرة الأقاليم.

وحصل لأول مرة تحت قيادة الحكم الشيعي المدعوم من إيران شرخ اجتماعي عراقي لا يمكن أن يرتق بسهولة، فالشارع الشيعي - خلال السنين العشر الماضية- تم تعبئته من قبل المرجعيات والقيادات الشيعية الدينية والسياسية طائفيا ضد السُنّة، ومارسوا ضد السنة أشد أنواع التنكيل من قتل واغتصاب وتهجير، والظلم والإقصاء والإذلال، ولم يعد المجتمع الشيعي في الجنوب والوسط يقبل الحكم السني بأي شكل من الأشكال، وتولد شعور سني كبير بالظلم أدى إلى ثورة عارمة.

وأصبح التعايش الآن في ظل هذا الظرف صعبا وشبه مستحيل. حتى لو عاد السنة لقيادة الحكم من جديد فسيثور الشيعة من جهة أخرى للحصول على مجتمع مستقل، أو خصوصية شيعية.

لذلك فمحاولة تشبيه الوضع بعد ٢٠٠٣ بما قبله أمر صعب بسبب سياسة إيران والأحزاب الشيعية الدينية، ومع الدعم الأمريكي والغربي والصهيوني للطائفية لتدمير المجتمع المسلم في جميع أنحاء العالم الإسلامي.

لذلك تعد فكرة وطروحات الهيئة وحزب البعث وغيرهم خيالية غير حقيقية وغير قابلة للتطبيق إلا بالشروط الآتية:

١- أنه لا توجد إيران (الجمهورية الإسلامية).

٢- ولا توجد رغبة غربية وصهيونية بتدمير العراق بالطائفية.

٣- أن يتنازل جزء من المجتمع السني، وهم الأكراد، عن إقليمهم ليعود العراق مثلما كان قبل ١٩٩١م[1]، وهذا أمر يرفضه الأكراد مجتمعا وحكومة.

٤- أن نتخلص من كل الأحزاب الشيعية الدينية ونغير المراجع الشيعة من إيرانيين إلى عرب.

وهذا شيء مستحيل ضمن الوقت المنظور وشروط تعجيزية خيالية غير واقعية، ومع هذا لا يزال أصحاب هذه التوجهات يحلمون بحصولها حاليا.

لقد عملت إيران في أواخر عهد الدولة العثمانية على تشييع جنوب العراق في غفلة من الدولة العثمانية، وقد فصّلت ذلك في كتابي **(جهود علماء العراق في الرد على الشيعة)**[2]، وعندما سقطت الدولة العثمانية وتكوّن العراق الجديد عمل الشيعة على إظهار مظلوميتهم لسنين مطالبين بوضع خاص لهم، لكن التوجهات الوطنية والقومية تجاوزت المشكلة وتصورت أنّ فكرها قادر على حل ذلك، لكن ما حصل بعد الاحتلال نسف كل هذه النظريات، فقد أصبح المجتمع الشيعي يؤمن بخصوصيته في مناهجه ودينه ومراجعه، بل تطور ذلك إلى الرغبة في حكم العراق وتشييعه وتغيير ديمغرافيته.

ولذلك فالتفكير في عودة العراق لما قبل ٢٠٠٣م أمر مستحيل وفق الظروف الدولية والإقليمية، ولابد من حل يحفظ وحدة العراق؛ أي حل ضمن قوانين إدارية دقيقة تحفظ لكل جهة خصوصياتها كمرحلة مؤقتة لفك الاشتباك بين المكونات لتجاوز المرحلة الحالية.

الثورية ستقسم العراق:

إن أصحاب الحلول الثورية الساعين لإسقاط العملية السياسية الحالية والوصول لبغداد بعد ثورة ٩ حزيران، وبدء عملية سياسية جديدة، سيجعلون الجانب الشيعي وبدعم من إيران يشعل ثورة وانتفاضة مضادة وتحركا معاكسا، ربما يكون عسكريا، والأكراد لن يقبلوا بأي وضع ينزع منهم ما كسبوه من الإقليم، مما سيدخل العراق في دوامة جديدة؛ كما لن يقبل لا الشيعة ولا الأكراد بعودة التيار الوطني البعثي أو القومي من جديد، وستتولد حركات مقاومة عنيفة ودموية، وسيدفع العالم للتدخل من جديد بالعراق وربما إلى تقسيم العراق إلى دول كردية وسنية وشيعية.

لذلك أحلام البعث والهيئة وبعض العمائم السنية هي في حقيقتها من يدعم مشروع التقسيم، رغم رفضه له في الظاهر.

الحل لهذه المعضلة:

إن الحل السني الحقيقي اليوم يتمثل في أنّ لكل

(١) لم أقل في ٢٠٠٣ لأن الأكراد انفصلوا فعليا بإقليم منذ الحظر الجوي بعد دخول العراق للكويت سنة ١٩٩٠.

(٢) نشر في سبعة مقالات في هذه المجلة الغراء.

مكون تاريخه ومناهجه ودينه ورموزه، ولابد من حلول إدارية ذكية تحل المشلكة وترضي كل الأطراف، هذا ما طرحه أصحاب المشروع السني في المؤتمر، وخلاصته بقاء العراق موحدا غير مقسم، لكن الأخذ بعين الاعتبار أن لكل مكون خصوصيته، ويتفق على طريقة إدارية لذلك، مع إجراء تعداد سكاني لمعرفة حقيقة حجم كل مكون.

أما الشعارات الوطنية والعنتريات والهتافات فتزيد نار العراق حطبا من حيث شعر التيار الوطني أو القومي أو الهيئة أو العلمائية أو من حيث لا يشعرون.

السودان... من الغلو الخُليفي إلى الدولة الإسلامية في مصر والسودان (دامس)

محمد خليفة صديق(*)- خاص بالراصد

مقدمة: ظل السودان عبر تاريخه الطويل مشتهراً بالتسامح وخالياً نسبياً من حوادث الغلو والعنف ذات الطابع الديني وسفك الدماء، كما أن معظم الحوادث التي وقعت بالبلاد في فترات ومراحل متتالية تبين أن لها امتدادات وارتباطات إقليمية ودولية، وأن الشأن المحلي الديني عبر هذه الوقائع ظل موصولا بالبعد الخارجي.

ويرى كثير من المراقبين للشأن السوداني أن بوادر ظهور الغلو في السودان تزامنت مع مرحلة نهاية الجهاد الأفغاني، ومثّل دخول أسامة بن لادن ومعه بعض مجاهدي الأفغان العرب سبباً في علو موجة العنف، حيث فتح السودان أبوابه آنذاك لكل هؤلاء وغيرهم، بجانب تداعيات حرب الخليج الثانية، ورجوع كثير من الأسر السودانية لبلدهم السودان بعد نهاية رحلة اغترابهم بدول المهجر، خاصة من دولتي الإمارات العربية المتحدة والسعودية، فبعض هذه الأسر كانت ذات خلفية وجذور دينية أقرب لمنهج الحركة الإسلامية السودانية الرافضة لمبدأ التدخل الخارجي والأجنبي بالخليج العربي، فكلّفها هذا الموقف ثمنا باهظا تمثّل في إبعاد وترحيل تلك الأسر للسودان بصورة نهائية، حيث أصبح بعض طلابها فيما بعد رصيدا جماهيريا لتيار العنف لاحقا، وكان يطلق عليهم (طلاب الشهادة العربية)، بجانب قرار إبعاد وترحيل دعاة سودانيين غير مرغوب في وجودهم بتلك الدول.

بدأت الظاهرة التكفيرية في السودان تطلّ هنا وهناك، لكنها لم تكن ذات أثر فاعل على ساحة العمل الدعوي، فكان التكفير يظهر بلونية هتافية كلامية كعنف (لفظي) ينتهي بانتهاء المؤثر، لكن لم يدر بخلد هؤلاء مستقبلا أن العنف اللفظي سينتقل ويتطور لفقه قاتل، يكون فيه العنف والقتل وسيلة لحسم الصراعات بين المتنازعين، وتصويب أنواع الأسلحة كافة إلى صدور الأبرياء والعزل والمدنيين.

سنتتبع من خلال هذه الدراسة مسار تيار الغلو في السودان تاريخياً، كما سنوضح أبرز رموزه، وبعضاً من رؤاه الفكرية والتنظيمية، وسرداً لأبرز جرائمه العنيفة في السودان، وصولاً الى سيناريوهات مستقبله، وإمكانية وفرص قيام تنظيمات مؤثرة له، **مثل ما أطلق عليه أخيراً الدولة الإسلامية في مصر والسودان (دامس).**

تاريخ الغلو في السودان:

أول ظهور حديث لفكر التكفير في الساحة السودانية الحديثة كان على يد رجل يدعى أبو الحسن علي السماني في حقبة السبعينات من القرن الماضي، الذي ألف وطبع كتابا جامعاً لمعتقدات مجموعته، والتي كانت قريبة جدا من أفكار جماعة التكفير والهجرة المصرية، وقد أسماه (أصنام وعاكفون)، إلا أن الرجل سرعان ما تراجع عن أفكاره التكفيرية، وأخرج كتابا آخر أطلق عليه (التحذير من مجازفة التكفير)، أوضح فيه أن التكفير والتفكير ضدان لا يجتمعان.

ومثّلت فترة الثمانينيات عهداً لانتعاش الفكر التكفيري، حيث بدأوا في التمدد أفقيا ورأسيا، فكونوا خلايا ومجموعات تكفيرية، ظهرت في تشكيلات ومجموعات صغيرة في مناطق متفرقة بالبلاد مثل منطقة (أبوقوتة) بولاية الجزيرة بوسط السودان ومنطقة (الفاو) بولاية القضارف بشرق السودان، ومناطق الدمازين وما حولها في ولاية النيل الأزرق جنوب شرق السودان، ثم ظهر أفراد في مدن الدويم وكوستي بولاية النيل الأبيض بوسط السودان، كما ظهر بعض التكفيريين في العاصمة الخرطوم، واستوطن بعضهم في أحياء أم درمان (الفتيحاب – أم بدة – الثورات)

(*) كاتب سوداني.

والكلاكلات، كما ظهروا في الولاية الشمالية في بعض قرى ديار المحس.

وحتى ذلك الحين خلت الساحة السودانية من أعمال القتل أو العنف الجسدي والتصفيات وثقافة الاغتيال، رغم قربها من مصر، وكان تيار الغلو السوداني يعتمد على الجلوس في الحلقات العلمية للنقاش، واشتهروا كذلك بإقامة المناظرات لإظهار صحة حجتهم، والانتصار لوجهة نظرهم، ونشر أفكارهم في الساحات العامة أو في مواقع تجمعاتهم الخاصة بهم.

يعزي بعض المراقبين تزايد تيار الغلو في السودان إلى جملة من العوامل والظروف، ساهمت في ارتفاع وتيرته، منها: انتشار وتمدد المذهب الشيعي وتزايد النفوذ الإيراني بالخليج العربي، ومحاولات إيران المستميتة لتصدير فكرها المذهبي لخارج بلدها خاصة للسودان، والذى ينظر إليه كدولة مقر ومعبر للفكر الشيعي، ثم تغلغله في بعض المناطق بالبلاد، ووجود علاقات إستراتيجية قوية ظهرت بين السودان وإيران في شكل أقرب للمحور، بجانب وجود علاقة أخرى بين السودان وحزب الله اللبناني، وانتشار المراكز الثقافية والمؤسسات الإيرانية الموزعة بدقة وعناية فائقة في عدد من المواقع بالعاصمة الخرطوم.

كما ساهمت مشاركة كثير من السودانيين في الجهاد الأفغاني في وجود أرضية للفكر الجهادي، بجانب توجُّه بعضهم للقتال في البلقان والبوسنة والهرسك لاحقاً، ثم بعد تطورات الأوضاع في القرن الأفريقي، ومشاركة عناصر سودانية في الحروب التي قادتها حركة الجهاد الإسلامي الإريتري وحركة الشباب المجاهدين بالصومال.

كما هيأت أزمة دارفور (٢٠٠٣م) واتفاقية سلام نيفاشا الخاصة بالجنوب (٢٠٠٥م) ظروفاً مواتية لتمكين تيار العنف من الإعلان عن نفسه عبر عمليات تلت تدفق المنظمات والقوات الأجنبية لدارفور وجنوب كردفان والجنوب السوداني، وتزايد الدور الغربي واهتمامه بمجريات الأحداث المتسارعة بالسودان، وقدوم بعض الجيوش التابعة للأمم المتحدة بالبلاد فظهرت فتاوى في اتجاهين:

❖ الأولى: تتعلق بتطورات الأوضاع في السودان بعد مشاركة الحركة الشعبية في الحكومة المركزية بالخرطوم بعد توقيع اتفاقية السلام الشامل ومشاركة الحركة الشعبية الجنوبية ذات الخلفيات النصرانية في الحكم، فصدرت فتوى تكفّر من انضم للحركة الشعبية، ثم تلى ذلك تكفير المنتمين لقطاع الشمال التابع للحركة الشعبية.

❖ الثانية: تتعلق بالوضع في دارفور، حيث صدرت فتوى تكفّر وتحرّم من يقوم بتأجير منزله أو داره للمنظمات الأجنبية في الخرطوم ودارفور، خاصة بعد ارتفاع إيجارات المباني وأسعار العقارات، حيث تدفع المنظمات استحقاقاتها المادية بالعملة الأجنبية (الدولار)، فحظرت بعض الجماعات هذه المعاملة، واعتبرتها تدخل في دائرة التحريم، ذلك لأنَّ كثيرين من مواطني مدن دارفور مثل: نيالا – الفاشر – الجنينة وزالنجي قاموا بتأجير منازلهم للمنظمات الأجنبية، فصدرت فتوى تُحرِّم ذلك وتُكفِّر من يؤجر داره لتكون مقراً لهذه المنظمات.

تبع ذلك ما تردد عن تنامي نشاط النصارى والمبشرين بالديانة المسيحية في مناطق دارفور، فهذه التطورات أسهمت بشكل مباشر في اتجاه تطوير تيار العنف لأدواتهم، وسعيه لإيجاد وسائل تكافئ التمدد الغربي بالسودان في مستوياته المدنية والعسكرية.

ملامح فكر الغلو في السودان وأبرز قادته:

اشتهرت المجموعات التى تعتنق فكر الغلو بأنها لا تصلي في المساجد التي تعتبرها (مساجد ضرار) بنيت من مال الزور والسحت والربا، وتقيم صلاة الجماعة بين أفرادها، كما أنهم يرفضون أن يتقدمهم في الصلاة (كافر) أو (منافق معلوم النفاق) أو (زنديق) بحسب رؤيتهم. فالأصل عندهم اعتزال الناس ومجتمعاتهم وهجر الشرك وأهله كنوع من أبواب (الولاء والبراء)، ويعتمدون في منهجهم على قاعدتين في التكفير: (من لم يحكم بما أنزل الله) و (عبادة غير الله)، فالأولى تمثل شرك الحاكمية، والثانية تعكس شرك العقيدة (قولي وعملي).

ظهر ذلك جليا في البدايات الأولى لدخول جماعة التكفير والهجرة في عام ١٩٦٧م ومن بين قادتها المشهورين (معروف عدلان – الطاهر شبشة – عبد الله ودعشانا – إبراهيم محمد إبراهيم العجان – المهندس علي محمد الحسن – إدريس الوسيلة – علي عدلان – محمد عثمان الباشا- محمد النور – الطاهر خوجلي – سعيد نصر وغيرهم).

ثم تطور ذلك الفكر، وبدأ التكفير يأخذ عدة

أشكال مع ظهور التحديات السياسية بالبلاد ونتيجة للتقلبات التي مرّ بها السودان خلال العشرين عاما الماضية على نحو يهدد الأمن والسلام الاجتماعي بشكل لافت للأنظار، ولم يَسلم من تداعياتها حتى من هم في الصف الإسلامي، فضلا عن القوى العلمانية، ونتج ذلك لاختلاط التكفير الوافد مع تكفيريي الداخل، نتج عن ذلك التكفير المصحوب بالعنف، فتم تكفير الدكتور حسن الترابي والصحفي محمد طه محمد أحمد، وطالبوا بإنزال حكم الردة عليهما عبر المحاكم رغم عدم اعترافهم بالتحاكم إليها، ثم تكفير الحزب الشيوعي والإلحاح بحلّه وحظر نشاطه باعتبار أن قادته ملاحدة، ثم أخيرا تكفير الإمام الصادق المهدي رئيس الوزراء السوداني السابق ورئيس حزب الأمة القومي والمطالبة باستتابته.

تطلق بعض مجموعات التكفيريين على نفسها اسم جماعة المسلمين، ومن أبرز مؤسساتها منظمة الكوثر الخيرية، التي يقودها الصادق حسن عثمان (أبو الدرداء)، ، والذى يرى أن التكفير بالنسبة لهم حكم شرعي، وفقا لقواعد ظاهرة ومعلومة، فعندهم (من لم يُكفر الكافر أو شك في كفره فهو كافر)، وأنهم متفقون في إطلاق أحكام التكفير على الحكام والمجتمع والأفراد، فالشيوعيون عندهم (كفار)، وكذا البعثيون، وكل العلمانيين واليساريين، بل ذهبوا لأبعد من ذلك فكفروا حتى الإخوان المسلمين، والحركة الإسلامية، وعندهم أن أنصار السنة أشد كفرا من الشيوعيين، كما يكفّرون عددا من رموز المجتمع السوداني مثل د. حسن الترابي والصادق المهدي ومحمد عثمان الميرغني، حيث يرون أن هؤلاء ارتضوا الارتباط بالأمم المتحدة التي هي بديل الخلافة الراشدة، وتقدموا لطلب العضوية فيها واحتكموا للقوانين الدولية، وشرّعوا شرعا دون شرع الله تعالى، فهم موغلون في الكفر.

وأبو الدرداء اشتهر بالبيان الذي أصدره لإهدار دم عدد من الكتاب والصحفيين والسياسيين السودانيين في عام ٢٠٠٥م في مقدمتهم الدكتور فاروق كدودة، والكاتب الصحفي الحاج وراق، ووكيل نيابة الجرائم الموجهة ضد الدولة مولانا محمد فريد، والقاضي مولانا محمد سر الختم غرباوي، ورجل الأعمال القبطي إيلي حداد والكاتب الطاهر حسن التوم.

ومن أبرز رموزهم كذلك إبراهيم محمد إبراهيم الشهير بإبراهيم العجّان، ومعروف عدلان وهو أمير التكفيريين الحالي بولاية الجزيرة، وشقيقه علي عدلان، وهما اللذان اعتزلا وكفرا أهالي قريتهما التي تسمى (الشيخ معروف) بمنطقة أبوقوته بالجزيرة، وقاما بتشييد مسجد بعيد عن القرية يمارسان فيه الشعائر الدينية، بحجة أن مسجد القرية هو مسجد ضرار.

وبحسب بعض قادتهم فإنهم يهدفون لإقامة دولة إسلامية في السودان ليست ذات طابع ديمقراطي أو ديكتاتوري، ولا تبنى على المواطنة وإنما على العقيدة الإسلامية، سيقومون فيها بهدم الكنائس والقباب والأضرحة والخمارات وبيوت الدعارة والسفارات، كما أنهم يهدفون لطرد الكفار من الأمريكان والألمان والبريطانيين وغيرهم، أما فيما يتعلق بالكفار السودانيين فيتوجب عليهم دفع الجزية، وفيما يتعلق بالنصارى فلهم خيار من ثلاثة: الإسلام، أو الجزية بموجب الشروط العمرية حيث لن يرفع كتاب ولا صليب، وسيحلق لهم ليميزوا عن المسلمين.

ومن طليعة الشيوخ الذين اشتهروا حديثاً وينسبون لهذا الفكر، والذين شكّلوا مرجعية ورمزية له (أبو أسامة) الشيخ مساعد بشير السديرة، و(أبو البخاري) سعيد نصر، و(أبو عبد الله) صادق عبد الله عبد الرحمن ولثلاثتهم معاهد شرعية يلتحق بها شبابهم وطلابهم، وقد اكتسب الشيخ مساعد السديرة شهرة وجاذبية خاصة بعد توقيفه في مطار القاهرة بعد اختتامه لرحلة علاجية هناك في عام ٢٠٠٩م، واعتقل لقرابة شهرين، كما تعرض لعمليات تعذيب، ليخرج الرجل بعدها بطلاً في نظر محبيه ومريديه، الذين يقدرون بالمئات حسب مراقبين داخل وخارج العاصمة الخرطوم، بل وحتى خارج السودان، لكون الرجل يعتبر من أهل الباع الكبير في مجال الحديث وعلم الرواية والإسناد وله إجازات معتمدة ومعتبرة.

أبرز جرائم وتهديدات تيار الغلو بالسودان:

١- حادثة أبوقوتة:

قائد هذه الحادثة هو معروف عدلان وهو أمير التكفيريين بولاية الجزيرة، وشقيقه علي عدلان، اللذان سبق الحديث عنهما قبل قليل.

وقد وقعت أحداث قرية الشيخ معروف في أغسطس ١٩٨٨م بأحد مساجد القرية بين الخلية التكفيرية التي يتزعمها (علي عدلان) وشقيقه (معروف)، حيث هاجما أهل المنطقة وشيوخ الصوفية ولم يسلم من الهجوم حتى شيخ القرية الذي يتبع للطريقة السمانية، فحدث هجوم وصدام عنيف بالأسلحة البيضاء، واشتباك أدى لمقتل مؤذن مسجد القرية بعد طعنه بسيف وجرح ٢ من المصلين، وتمت محاكمة التكفيريين بالسجن لمدة ١٠ سنوات.

٢- حادثة كمبو عشرة:

نفذ هذه الحادثة عدد من الشباب أطلقوا على أنفسهم اسم (الجبهة الإسلامية المسلحة) في نهاية العام ١٩٩٣، بمنطقة كمبو عشرة جوار مدينة ود مدني بوسط السودان، وقد سارت هذه المجموعة التى يربو عددها على العشرين فردا، معظمهم من الطلاب، على الأقدام من الخرطوم حتى ود مدني التى تبعد عن الخرطوم أكثر من ٢٠٠ كلم، وقد كفّر هؤلاء الشباب الذين كانوا معهم، وقرروا التوجه إلى أي مكان، يقيمون فيه وهجر الكفر والشرك، فتحركوا بأرجلهم حتى وصلوا لولاية الجزيرة، ومنطقة (كمبو عشرة)، وكان أحدهم يحمل بندقية، بينما كان بعضهم يرى أن حمل البندقية نفسها حرام، لأنه لا يجوز ضرب النار على الأحياء، لأنه لا يعذب بالنار إلا رب النار.

وقد استضاف سكان منطقة (كمبو عشرة) هؤلاء الشباب والصبيان، والغريب أنهم بدأوا في دعوة الأهالي للانضمام إليهم وقبول أفكارهم، بعدها أبلغ بعضهم السلطات بود مدني، فجاءت قوة من الشرطة، حاصرت المنطقة، وأمرت هؤلاء الشباب بضرورة الاستماع والانصياع لهم والاستجابة لتعليماتهم، ولكن هؤلاء الشباب يعتقدون أن طاعة الشرطة كفر، ولا يمكن الاستجابة لأوامر العسكر لأنهم طاغوت، فحدث اشتباك بينهم وبين وقوات الشرطة، التي تم زيادة عدد أفرادها بقوة إضافية، فقتل أغلب الشباب، وجرح عدد من عناصر الشرطة وبعض أهالي المنطقة. وقد تحفظ جهاز الأمن على الشباب الذين نجوا من الحادثة، وعقد لهم برنامج توعية وجلسات بينهم وبعض الشيوخ لمناقشتهم في أفكارهم، وتم إطلاق سراحهم تدريجيا.

٣- حادثة مسجد الثورة بأم درمان:

من أشهر وأهم جرائم تيار الغلو في السودان المجزرة الدموية التى ارتكبها هؤلاء في ٤ فبراير من عام ١٩٩٤م حيث قتلوا المصلين في صلاة الجمعة بمسجد (أنصار السنة) بمنطقة الثورة/ الحارة الأولي بمدينة أم درمان، ونفذ ذلك الهجوم المسلح أحد معاوني أسامة بن لادن، ويدعى محمد عبد الله عبد الرحمن الخليفي (ليبي الجنسية) مع ثلاثة آخرين، حيث أوقع الهجوم ١٦ قتيلاً، وجرح ما يزيد عن الثلاثين مصلياً، وكانت الحادثة هي الأولي من نوعها ذات طابع يحمل جينات غلو ديني، ومنذ ذلك التاريخ بدأ سجل السودان والمشهد الديني والخارطة الدعوية فيه تعاني من ممارسات وأعمال عنيفة يقوم بها هؤلاء.

وقائد الهجوم الخليفي هو أحد أفراد طاقم التأمين والحراسة لزعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن، وعاونه ثلاثة آخرون هم: عبدالباقي يوسف، وياسر محمد علي اللذان قتلا خلال المواجهة مع الشرطة بعد الهجوم، وثالثهما هو محمد الماحي الذي حُكم عليه بالسجن المؤبّد، بينما جرح الخليفي الذي تمّ الحكم عليه بالإعدام شنقاً حتى الموت، وشُنق بسجن كوبر بالخرطوم.

وكشفت التحريات آنذاك وجود بودرة (تي إن تي) في حوزة المعتدين، ومواد لتصنيع قنابل يدوية حارقة، مما عضد دعوى علاقة المهاجمين وارتباطهم مع أسامة بن لادن، لأن شركة الهجرة التى يملكها بن لادن بالسودان كانت المنشأة الوحيدة التي تعمل في رصف الطرق، وتلجأ لاستخدام مادة (تي إن تي) لتفجير الصخور وتفتيت الجبال في عملها بطريق التحدي (الخرطوم – شندي - عطبرة)، وكان غالبية من يعملون في الطريق من الأفغان العرب.

٤- حادثة مسجد الجرّافة بأم درمان:

تعد حادثة إطلاق النار على المصلين بمسجد أبي بكر الصديق بحي الجرّافة شمالي مدينة أم درمان، والتى كانت بتاريخ ٩ ديسمبر ٢٠٠٠م، أثناء أدائهم لصلاة التراويح، أكبر حوادث العنف والغلو، حيث قتل فيها (٢٤) مواطناً، من بينهم أطفال، وجرح ما يزيد عن الأربعين، وتم قتل منفذ العملية وهو عباس الباقر خلال تبادل إطلاق النار بينه وقوات الشرطة، بعد أن رفض الاستسلام للقوة المكلفة بالقبض عليه.

عمل عباس الباقر من قبل في صفوف الدفاع الشعبي، وشارك في العمليات العسكرية بجنوب السودان، وشارك

في كتائب تحرير منطقة كبويتا بشرق الاستوائية بجنوب السودان، ومنها سافر إلى ليبيا، ثم عاد للسودان، واستقر بمدينة ودمدني بوسط السودان، وتم اعتقاله على خلفية تحرشه ببعض قيادات جماعة أنصار السنة هناك وتهديده لهم بالقتل، وتم التحفظ عليه من قبل الشرطة باعتباره شخصية تمارس نشاطاً هداماً ومدمراً، وبعد ترحيله من مدينة ودمدني للخرطوم؛ تمّ إطلاق سراحه بعد أن تخلى عن جماعة التكفير والهجرة، وكان يسكن مع شقيقه إسماعيل في منزل يجاور المسجد الذي حدثت فيه المجزرة.

ورجح البعض آنذاك أن الحادث لم ينفذه عباس الباقر بمفرده وذلك لكثرة القتلى والجرحى، وظهر في وقت لاحق احتمال أن يكون معه معاونون ساعدوه في ارتكاب المجزرة، بعد أن رجح أحد رجال الشرطة الذين تعاملوا مع الحادث - وقتها - بأن الجناة أكثر من ثلاثة يرتدون جلابيب بيضاء عليها سترات واقية من الرصاص، غير أن الناطق الرسمي باسم قوات الشرطة اللواء عثمان يعقوب أرجع الأمر إلى أنَّ الجاني استخدم التكتيك العسكري، وغيّر من موقعه أكثر من مرة أثناء إطلاق النيران، كما أنه استبدل خزانة مدفعه الرشاش أكثر من مرة، وقال إمام المسجد الشيخ بشير إبراهيم محيي الدين إن الجاني سبق وأن كفّر في خطبته الحكومة، فتم اعتقاله وحبسه، ثم الإفراج عنه بعد كتابة تعهُّد، وقد رفضت أسرة عباس الباقر استلام جثمانه لعدم رضاها عن توجهات ابنها التكفيرية وسلوكه العنيف ونشاطه الهدام.

٥- حادثة تفجيرات خلية السلمة ٢٠٠٧م:

في أغسطس ٢٠٠٧ تم اكتشاف خلية تكفيرية مكونة من شباب اتصلوا بأناس داخل وخارج السودان، وبدأوا في صناعة العبوات الناسفة لاستخدامها في مرحلة معينة ضد مقار الأمم المتحدة وسفارات بعض الدول الأجنبية والأوروبية وأمريكا، أما سبب اكتشاف الخلية فهو عملية انفجار غير مقصودة لأسطوانة حديدية معبأة بالبارود وجاهزة للانفجار، كانت بحوزة الخلية بالمنزل الذى كان يأويهم بضاحية السلمة جنوب الخرطوم، مما أحبط المخطط وتم كشف المجموعة واعتقالها.

وحسب التحريات كانت الخلية تنوي تنفيذ عدد من الأعمال الانتقامية والاعتداء على منشآت تابعة للأمم المتحدة، ومواقع بعض المنظمات الأجنبية وسفارات الدول الغربية، وكانت تستهدف كذلك قادة سياسيين ومقار بعض البعثات الدبلوماسية ومواقع حيوية تتبع للمنظمات الأجنبية، وقد ضبطت بحوزة الخلية متفجرات وعبوات ناسفة جاهزة للاستعمال، وتركيبات كيميائية مكونة من مواد قابلة للاشتعال من بودرة (تي إن تي) ومسحوق النتروجلسرين، وحوض من مواد يتم تحضيرها لتكون متفجرات تستخدم لهذه العمليات العسكرية، وقاد تلك الخلية د. أسامة أحمد عبد السلام الذى يحمل الدكتوراة في الكيمياء، وقد تراوح عدد أفراد خلية السلمة ما بين (٢٥ ـ ٣٥) عنصرًا، حيث هرب عدد منهم بعد الانفجار، وقبضت الشرطة التي طوقت موقع الانفجار على الموجودين من أفراد المجموعة.

٦- تنظيم القاعدة في بلاد النيلين:

وفي أكتوبر ٢٠٠٨ هدد بيان «تم توزيعه في نطاق محدود» على شبكة الإنترنت من قبل تنظيم يحمل اسم «القاعدة في بلاد النيلين»، «باستهداف الأمريكيين في الأراضي السودانية»، وهو ما حدا بالولايات المتحدة إلى تحذير رعاياها من السفر إلى السودان، والمقيمين فيه من التحرك وسط العاصمة وفي مناطق بعينها، وقالت رسالة على موقع السفارة الأمريكية على شبكة الإنترنت: إن جماعة «القاعدة في بلاد النيلين» تبنت في بيانها اغتيال مسؤول المعونة الأمريكي جون غرانفيل وسائقه.

وفي فبراير من عام ٢٠١٢ كشف الرئيس السوداني عمر البشير عن أن الحكومة نجحت فى تفكيك تنظيم ديني نشأ باسم «القاعدة في بلاد النيلين»، وأضاف في حديث تلفزيوني أن السلطات اكتشفت مجموعة تكفيرية من الشباب تمت تغذيتهم بالفكر العنيف، وتدريبهم في العراق والصومال ليكونوا نواة لتنظيم «القاعدة في بلاد النيلين»، مبيناً أن السلطات علمت أنهم بدأوا في تصنيع متفجرات وصواريخ باسم «الظواهري»، وأن الرئيس البشير والنائب الأول علي عثمان محمد طه، ومدير جهاز الأمن والمخابرات الفريق أول صلاح قوش من الشخصيات المستهدفة من هذا التنظيم.

٧- اغتيال جون غرانفيل وسائقه السوداني عام ٢٠٠٨م:

اغتالت مجموعة من التكفيريين أثناء احتفالات رأس السنة عام ٢٠٠٨، الدبلوماسي الأمريكي والموظف

بوكالة المعونة الأمريكية جون غرانفيل وسائقه السوداني عبدالرحمن عباس، بعد خروجه من أحد الاحتفالات، وهما يستقلان سيارتهما، بحي الرياض عند تقاطع شارع الشهيد عبيد ختم، مع شارع البروفيسور عبد الله الطيب. وذلك برصاص أربعة من المهاجمين.

وبعد مطاردات ألقت الشرطة القبض على المجموعة، وتم إيداعهم سجن كوبر بالخرطوم، ومن ثم تم الحكم عليهم بالإعدام، حيث تمكنوا بعد ذلك من الفرار من السجن، عشية مباراة قمة بين الهلال والمريخ العام ٢٠١٠م، بطريقة دراماتيكية، وقد تمكنت الشرطة من القبض على أحدهم بعد ذلك وهو عبد الرؤوف أبوزيد محمد حمزة، وقيل إن مهند عثمان يوسف أحد أفراد المجموعة لقي حتفه بالصومال.

وقال أفراد تلك المجموعة بعد القبض عليهم إنهم خرجوا في تلك الليلة فقط يبحثون عن الكفار في شوارع الخرطوم، وعندما عثروا على الدبلوماسي وسائقه أطلقوا عليهما النار من بنادقهم دون أن يدروا من هم الذين بداخل السيارة، ولكنهم عرفوا فقط أنهم «خواجات كفار».

٨- خلية الدندر:

كشفت السلطات الأمنية السودانية عن وجود خلية جهادية بمنطقة السبيرة داخل حظيرة الدندر في الحدود بين ولايتي سنار والقضارف، وتضم الخلية أكثر من ٦٠ شابا تقوم بالتدريب العسكري، والإعداد للهجرة للقتال في بعض البلدان التي يدور فيها قتال له تداعيات ومضاعفات ذات أبعاد إقليمية ودولية مثل الصراع والمعارك الدائرة في الصومال ومالي وسوريا والعراق، وأطلقت المجموعة على نفسها اسم (رجال حول الرسول).

وقد هاجمت السلطات الأمنية معسكر المجموعة، حيث دارت معركة قالت بعض المصادر إنها استمرت من الثانية عشرة ظهراً وحتى الثامنة مساء، وأسفرت عن سقوط ٢٥ من أفراد المجموعة بين قتيل وجريح وأسير، بينما قتل ٢ وأصيب ٤ من السلطات الأمنية.

ووجد مع المجموعة بعد انجلاء المعركة متفجرات وعبوات ناسفة وأسلحة أوتوماتيكية رشاشة وأخرى ثقيلة، بجانب قنابل وأجهزة كمبيوتر ولاب توب، تستخدم لغرض التواصل مع خلايا عسكرية جهادية خارج البلاد، وقد حصلت المجموعة على السلاح بعد مهاجمتها لمعسكر (قلقو) لقوات الحياة البرية داخل حظيرة الدندر، حيث طردت المجموعة الحراس الموجودين، واستولت على العديد من الأسلحة بينها مدفع قرنوف، استخدم في تدمير برج تابع لإحدى شركات الاتصال، ولم تجد تلك المجموعة مقاومة تذكر إذ جرت العادة إخلاء المعسكر من معظم القوات خلال فترة الخريف.

ولم يظهر من أسماء المعتقلين الذين يزيدون عن الأربعين، إلا قلة قليلة برز منها العقل المدبِّر للخلية الدكتور أسامة أحمد عبد السلام والذى كان موقوفاً في أحداث السلمة، ويسكن حي الرياض شرق الخرطوم، وأحد ضحايا المواجهة المسلحة بين القوات الحكومية والمجموعة المتطرفة ويسمى محمد الحسن مبارك من أبناء الثورة، وآخر يدعى عمر عبد الله من أبناء شندي ويسكن حي الحاج يوسف بالخرطوم، وعمرو السوداني وهو صهر الشيخ أبي عبد الله صادق عبد الله عبد الرحمن.

٩- أهل الصيحة:

آخر تقليعات الفكر التكفيري إقدام مجموعة من التكفيريين على بيع منازلهم وعقاراتهم بالخرطوم وهجر العاصمة القومية، بل وهاجر بعضهم للأراضي المقدسة للاستقرار بالحرمين الشريفين، حيث يرون أن ظهور علامات وأمارات الساعة الكبرى بات وشيكاً، بعد ظهور كل علاماتها الصغرى، ويعتقد هؤلاء أن القيامة لم يتبق لها إلا ظهور الدابة والمسيح الدجال والنفخ في الصور، وأطلقوا على جماعتهم اسم (أهل الصيحة) بسبب قرب الصيحة والنفخ في الصور، وهم الآن في مرحلة ترقب لهذه الصيحة، فهجروا الخرطوم واستقر المقام ببعضهم في بادية البطانة وكردفان.

كما يرى هؤلاء أن النفخة ستبدأ من الخرطوم نتيجة لـ (ظهور الفساد في البر والبحر)، ففي الوقت الذي يتكاثر المواطنون بزحفهم نحو الخرطوم بدأت هذه الجماعات في هجرة عكسية من الخرطوم إلى الأقاليم، باعتبار أن الناس لا محالة (هالكون) وأن الأفضل لهم أن تقوم الساعة وتقبض أرواحهم في البادية، بعيدا عن مواطن الفساد.

دامس بين الحقيقة والخيال:

دامس هو اسم لتنظيم جهادى جديد انتشر خلال الأيام القليلة الماضية، مثيرا أسئلة عديدة عن ماهيته ومموليه والداعمين له ومعناه اللغوي، ولم يتفق المراقبون

حتى الآن على معنى الاسم، هل هو: «الدولة الإسلامية في المغرب الإسلامي» أو «الدولة الإسلامية في مصر والسودان»؟.

وظهر اسم (دامس) في بعض التقارير المصرية التي أشارت لتشكيل تنظيم إرهابي جديد يتولى منطقة وادي النيل «مصر والسودان»، وقالت تلك المصادر إن تقارير استخبارية حذرت من تصاعد حركة التجمعات الإرهابية سواء على الحدود المصرية، أو في المناطق الملاصقة للحدود الجزائرية الجنوبية والتونسية، وباتجاه ليبيا والسودان، وأن هناك أجهزة استخبارات أجنبية تقف وراء تأسيس وتمويل تنظيم إرهابي يستهدف مصر، يحمل اسم «دامس»، وهو الملف الذي حمله الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي إلى الجزائر والسودان، لبحث سبل التنسيق والتعاون الأمني لإجهاض تحركات تلك التنظيمات.

وقالت مصادر أمنية مصرية إن الأجهزة السيادية قدرت عدد المسلحين في تنظيم «دامس» بنحو أربعة آلاف عنصر سيعملون لشن هجمات في مصر والسودان، وكشفت المصادر عن وجود عدد من عناصر تنظيم الدولة الإسلامية في مصر والسودان «دامس» على الحدود المصرية السودانية، وأن هذه العناصر قد تتحرك إلى داخل مصر والسودان، استجابة للتهديدات التي أعلنها المتحدث باسم تنظيم «داعش» بالدخول إلى الدول الجنوبية كمصر والسودان، واستهداف المسيحيين والعلمانيين وقتل رجال الجيش.

وقال اللواء أحمد خيرت الخبير الأمني إن تنظيم «دامس» يسعى للسيطرة على مصر والسودان وإقامة دولة إسلامية، وقال حمدي العومي، القيادي الجهادي بالجماعة الإسلامية إن عناصر تنظيم الدولة الإسلامية بمصر والسودان «دامس» تابعون لتنظيم القاعدة، وإن الولايات المتحدة الأمريكية هي التي تولت عملية تدريبهم وتمويلهم، وغالبيتهم مكثوا فترات طويلة داخل السجون الأمريكية، كالجهادي «إبراهيم البكري» والجهادي « العناني أبو محمد» الذين خرجوا من السجون الأمريكية في مطلع عام ٢٠٠٦.

ويرى العومي أن أمريكا وإسرائيل تمول تلك التنظيمات الإرهابية لضرب الدول العربية وتفتيتها وإحداث صراعات وحروب أهلية، وضرب الجيوش العربية كما حدث مع الجيش العراقي والجيش السوري، وبالتالي فلم يتبق أمامهم سوى الجيش المصري.. وأضاف «العومي»: الشواهد أمامنا تقول إن أمريكا وإسرائيل تسيطران على دولة جنوب السودان، لذا كان من السهل جدا لهم تدشين تنظيم الدولة الإسلامية في مصر والسودان، أو ما يسمى بـ «دامس».

وبحسب مراقبين فإن ما يقال عن تنظيم دولة الإسلام في مصر والسودان (دامس) هو مجرد كلمة نحتتها مخابرات دولة ما بغرض تجميع معلومات، أو بغرض إرباك قواعد الجهاديين، أو لأسباب أخرى، بينما يرى آخرون أن فكرة «افتتاح» فرع لـ «داعش» في المغرب العربي، قابلة للتجسيد بالنظر إلى وجود مقاتلين لتنظيم داعش من دول تونس والمغرب والجزائر وليبيا، فضلاً عن انتشار تنظيم داعش على مواقع التواصل الاجتماعي كـ «علامة» تجد شعبية كبيرة لدى المتأثرين بأفكار الغلو، خصوصاً لدى فئة الشباب والمراهقين، وهي الفئة التي تستعمل بإفراط مواقع التواصل الاجتماعي، كما رصدت بعض الجهات الأمنية في منطقة المغرب العربي حركة ذهاب وعودة لعدد من المسلحين الذين توجهوا للقتال في سوريا والعراق، بدافع الجهاد، فوجدوا أنفسهم في قبضة تنظيم «داعش».

كما لم يصدر حتى الآن أي إعلان رسمي من تنظيم داعش في المواقع الجهادية التابعة له عن تدشين ذراع مغاربية له، كما لا يوجد في موقعي تويتر وفيسبوك أي إشارات من التنظيم على ميلاد تنظيم «دامس».

وعن علاقة السودانيين بتنظيم (داعش) الأم لـ (دامس)، تشير بعض المعلومات عن علاقات بين عدد من الشباب السوداني وتنظيم داعش، حيث قتل الشاب السوداني مازن محمد عبد اللطيف (١٩) عاماً، وكنيته أبو البراء المهاجر إثر سقوط مقذوفة على مجموعة كان يقودها لاقتحام معسكر تابع لجيش نوري المالكي في العراق، حيث لقي مازن مصرعه متأثرا بجراحه في حي الأندلس بمدينة الرمادي بالعراق في مايو ٢٠١٤م.

ويروي صدام يوسف (أبو يوسف السوداني) الذي يقاتل الآن ضمن جنود تنظيم الدولة الإسلامية بالعراق والشام (داعش) تفاصيل مقتل المنشد أبي البراء المهاجر مازن محمد عبد اللطيف، مشيرا إلى أن الشاب الذي ولد في ٧ – ٥- ١٩٩٥م وقتل في يوم ٧- ٥- ٢٠١٤م كان

أميرا لسرية كاملة، وقد ولد بحي الثورة بأم درمان، ودرس في جامعة العلوم والتقانة، وسافر في العام ٢٠١٣م متسللا لسوريا، وتلقى مازن تدريبات عسكرية وجرعات قتالية عالية مكنته من خوض عدد من المعارك الحربية تحت لواء تنظيم الدولة الإسلامية بالعراق والشام (داعش)، ومكث داخل معسكرات المجاهدين في سوريا قرابة عام شارك في العديد من التحركات والعمليات، ثم انتقل للقتال إلى العراق، قبيل مقتله في الغارة المذكورة. ويعد مازن أصغر أمير عسكري يقود سرية كاملة لمواجهة جيش حكومي منظم بالعراق، بجانب أن الشاب القتيل كان منشداً وقام بإصدار تسجيل صوتي ضم عدداً من قصائد الملاحم من بينها (تقدم أخيّ) و(أماه لو أبصرتنا).

كما أن مازن هو شقيق كل من (مؤيد محمد عبد اللطيف) و(منتصر محمد عبد اللطيف) عضوي خلية الدندر، التي تم تفكيكها في نوفمبر من عام ٢٠١٢م، وتزخر صفحة مازن عبد اللطيف على فيس بوك، التي تحمل اسماً حركياً مستعاراً وهو كنية (أبو البراء المهاجر)؛ بالعديد من المشاركات والمداخلات المهتمة بالجهاد وقتال الكفار ومواجهة الشيعة وقوات حزب الله اللبناني والحرس الثوري الإيراني وجيش المالكي، وكان يخصص غالبية كتاباته عن قضية الدولة الإسلامية بالعراق والشام (داعش) ويدافع عنها حتى فارق الحياة، ويضع شعار الدولة الإسلامية كخلفية في صفحته الشخصية.

وقد أوردت مصادر جهادية من قبل نبأ مقتل أبي حمزة القناص الذي سافر متسللاً من السودان عن طريق سيناء حتى وصل للعراق وتدرب على فنون القتال، مستفيداً من دورات الألغام والقنص حتى سُمي بـ (أبي حمزة القناص)، وشارك في عدد من المعارك في العراق في مناطق (الرمانة – الربط – الكرابلة – حصيبة)، وقتل في معركة القائم ضد القوات الأمريكية ودفن في مقبرة البوحردان بالقرب من القائم بالعراق.

يعزي بعض المراقبين ما ورد على لسان جهات محسوبة على المخابرات المصرية حول تنظيم «دامس» أنها متأثرة بما يحدث في العالم الإسلامي، ومصر تعتبر نفسها مهددة بالجهاديين، فهي تجاور غزة وكذلك ليبيا وغير بعيدة عن العراق وسوريا، ورغم أن السودان سبق أن احتضن تنظيمات جهادية كان الجانب الإعلامي فيها أكبر من الوجود التنظيمي الفعلي، مثل تنظيم القاعدة في أرض النيلين والخلايا التي تنشط بين الحين والآخر، مثل خلية الدندر وغيرها.

ويستبعد هؤلاء المراقبون أن يكون هنالك تنسيق بين التنظيمات الجهادية في السودان ومصر، فالحدود بين البلدين صحراوية مكشوفة، يمكن مراقبتها على عكس الحدود بين العراق وسوريا، ويرون أن ما تثيره المخابرات المصرية في هذا التوقيت هو تخوف واستباق، لأنها تعتقد أن يكون هنالك تنسيق بين تنظيم الإخوان المسلمين المنحل في مصر، مع تنظيم الإخوان الحاكم في السودان، لذلك فهم يتخوفون أن يكون السودان محطة انطلاقة للإخوان تهدد أمن واستقرار مصر.

ولم يستبعد آخرون أن يظهر تنظيم جهادي مشترك بين مصر وليبيا، فالجماعات الإسلامية تنشط في الشرق الليبي، ويمكن أن تنسق مع الجماعات الإسلامية في سيناء وغرب مصر بشكل ما، فيما يرى آخرون أن توقيت الكشف عن تنظيم (دامس) المشترك بين مصر والسودان، الهدف منه إيصال رسالة قوية للحكومة السودانية لتساهلها الذي تبديه مع الجهاديين، وضرورة إبدائها بعض الحسم والقوة تجاه هذه التنظيمات.

مراجع:

١- **الهادي محمد الأمين، الأبعاد الإقليمية والدولية للصراع الديني في السودان وتأثيراته على البلدان الإفريقية، مقال موجو على الرابط:**
http://www.sudaneseonline.com/board/7/msg/1391550066.html

٢- **دامس في وادي النيل، مقال منشور بتاريخ: الاثنين، ٢٠١٤/٧/٠٧م، على موقع جريدة العرب اليوم الإلكترونية: http://alarabalyawm.net.**

٣- **حوار مع محمود عبد الجبار رئيس تنظيم اتحاد قوى المسلمين (أقم)، موجود على الرابط: http://www.hurriyatsudan.com/?p=7800.**

٤- **جمال الشريف، السلفية في السودان: انقسام بين التسليم والصدام، تقرير لمركز الجزيرة للدراسات، موجود على الرابط:**
http://studies.aljazeera.net/reports/2012/06/201261893435505791.htm.

٥- محمد عبد العزيز، السلفية الجهادية في السودان.. هل خرجت القاعدة إلى الشارع؟، صحيفة السوداني، الخرطوم، بتاريخ: ٠٩ - ١٠ – ٢٠١٢م.







الإسلاميون ومراكز البحث الأمريكية

بلال التليدي

عرض: أسامة شحادة(*)– خاص بالراصد

يطل علينا الأستاذ بلال التليدي، الباحث المغربي المتخصص في الحركات الإسلامية في كتاب جديد ومتميز صدر له عن مركز نماء للبحوث والدراسات مطلع عام ٢٠١٤م، بعنوان (الإسلاميون ومراكز الدراسات الأمريكية دراسة في أزمة النموذج المعرفي حالة معهد واشنطن ومعهد كارنيجي).

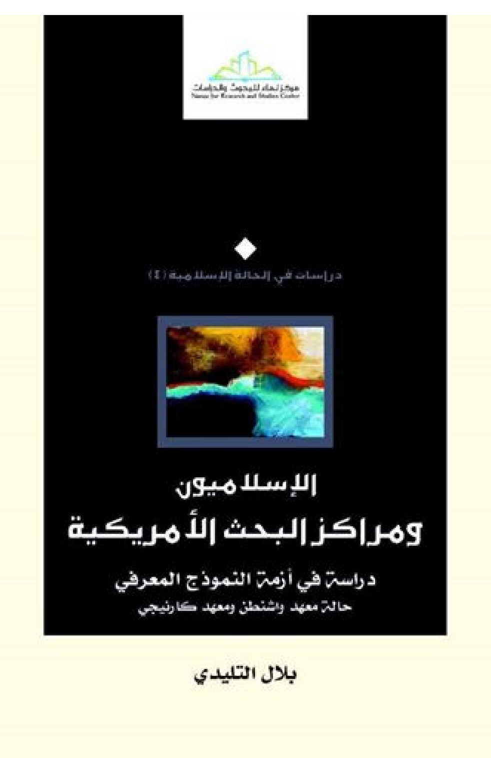
يقع الكتاب في ٣٦٠ صفحة من القطع المتوسط، وجاء في ثلاثة فصول، هي:

مراكز الأبحاث الأمريكية والإسلاميون: الإطار الوصفي.

مراكز الأبحاث الأمريكية والإسلاميون: التوجهات، المقولات والحجج، المسارات والتحولات.

مراكز الأبحاث الأمريكية والإسلاميون: أزمة النموذج المعرفي.

والكتاب يأتي في مرحلة مفصلية في تاريخ الحركات الإسلامية وخاصة بعد مرحلة الثورة المضادة للربيع العربي، حيث يناقش موقف السياسات الأمريكية عبر تحليل توصيات وأبحاث مراكز الدراسات من قضية مشاركة الإسلاميين السياسية.



وركزت الدراسة على إبراز مدرستين متعارضتين من هذه القضية، مدرسة مركز واشنطن الرافضة لمشاركة الإسلاميين السياسية وخاصة في السلطة، ومدرسة معهد كارنيجي التي تشجع على هذه المشاركة للإسلاميين.

وجاء اختيار هذين المركزين لما لهما من نشاط بحثي ضخم في المنطقة وتركيز على دور الإسلاميين السياسي ولقوة تأثيرهما على صانع القرار الأمريكي، وفي كل مدرسة هناك مراكز أخرى لكن لحصر الدراسة وعدم تشعبها تم الاقتصار على عينة ممثلة لكل مدرسة.

(*) كاتب أردني.

الخلاصة المهمة التي يخرج بها القارئ أن تباين هاتين المدرستين ينبع من التنافس على تحقيق المصلحة العليا لأمريكا، وليس حباً بالعدالة أو إيماناً بالحق وإخلاصاً لنشر الديمقراطية، ولذلك إن انعدم تحقيق المصلحة الأمريكية أو كان هناك ضعف في تحقيق تلك المصالح من خلال رؤية أي مركز فإنه لا يتوانى عن تغيير رؤيته لأنها ليست قضية مبادئ وقيم.

الفصل الأول والذي بلغ ثلثي الكتاب هو عبارة عن تتبع ورصد وصفي لإنتاج هذين المركزين في الموضوع من عام إعلان مبادرة تعزيز الديمقراطية في الشرق الأوسط سنة ٢٠٠٢ وحتى سنة ٢٠١٣.

وقد استعرض التليدي ٣٠ مادة من إنتاج معهد واشنطن بين مقالة وشهادة وورقة بحثية وأغلبها من إنتاج المدير التنفيذي للمركز وكبير الباحثين فيه أيضاً روبرت ساتلوف، لكونه المتخصص بذلك في المعهد بشكل رئيسي، وذلك لتقديم صورة متكاملة عن إنتاج المعهد والرؤية المعادية للإسلاميين التي يعمل على أن تتبناها الإدارة الأمريكية.

وفي نفس الفصل قام التليدي باستعراض ٢٨ مادة من إنتاج معهد كارنيجي بين ورقة ومقالة ساهم فيها عدد من خبراء المركز وهم: مارينا أوتاري، وناثان براون، وعمرو حمزاوي، وجرهام فولر، لتوضيح كامل الرؤية التي يدافع عنها معهد كارنيجي بالتفريق بين الإسلاميين المعتدلين والراديكاليين، وضرورة مشاركة المعتدلين في العملية السياسية.

أما الفصل الثاني والذي خصصه المؤلف لفحص التوجهات، والمقولات والحجج، والمسارات والتحولات، فهو بمثابة توضيح وشرح لرؤية كل مركز / مدرسة من موضوع مشاركة الإسلاميين في السلطة، وذلك بتحديد المنطلقات التي ينطلق منها كل فريق، وهل حدث تحول أو تطور في هذه الرؤية.

بخصوص معهد واشنطن فرؤيته تنطلق من أن المصلحة الأمريكية لم تعد في الاستقرار في المنطقة العربية من خلال دعم الأنظمة الاستبدادية، لأنها أصبحت عاجزة عن توفير الاستقرار، وأن البديل عن ذلك هو دعم التغيير والديمقراطية في العالم العربي، ولكن معهد واشنطن متنبه لإمكانية بروز وصعود الإسلاميين من خلال الديمقراطية، لذلك فهو يطرح ديمقراطية الاستثناء أو التمييز ضدهم.

وذلك لأنه يرفض (خرافة) وجود إسلاميين معتدلين والتي يروجها مركز كارنيجي، ويرى أنهم خطر على الديمقراطية والمصالح الأمريكية، وأن قبولهم بالمشاركة السياسية نوع من الخداع، والتعامل الأفضل معهم هو عرقلة مشاركتهم السياسية ومنعهم من الوصول للسلطة ابتداء، والعمل بشكل سلمي على انهيارهم في حالة وصولهم للسلطة!

وللوصول لهذه الغاية، فإن على أمريكا دعم المسار الديمقراطي، وتعزيز الحلفاء الطبيعيين لأمريكا وتنشئة حلفاء جدد، ومحاربة الإرهاب لمنع وصول الإسلاميين للسلطة.

ولكن نجاح الإسلاميين في الانتخابات المتعددة، ووصول محمد مرسي لرئاسة مصر، جعل مركز واشنطن يهمل الدعوة لتعزيز الديمقراطية، ويركز دعوته للإدارة الأمريكية على ضرورة إسقاط الإسلاميين ودعم خصومهم! ويشارك مركز راند معهد واشنطن في جزء كبير من رؤيته هذه.

ثم يورد المؤلف ١٨ مقولة وحجة يستند إليها معهد واشنطن في تبرير موقفه الرافض لمشاركة الإسلاميين السياسية وهي جوهر محتوى المواد التي أنتجها المركز/ المدرسة في الفصل الأول.

أما بخصوص مركز كارنيجي فهو على النقيض من رؤية معهد واشنطن، فهو يرى ضرورة إشراك الإسلاميين المعتدلين في العملية السياسية في المنطقة العربية من أجل المحافظة على

المصالح العليا الأمريكية، وهو يرفض خيار الاستقرار عبر الاستمرار في دعم الأنظمة المستبدة القائمة، أو خيار الديمقراطية التمييزية ضد الإسلاميين، وذلك أن الضغط على الأنظمة لم يجدِ نفعاً في الإصلاح السياسي، بل اعتبر تدخلاً في شؤونهم الداخلية، وفي نفس الوقت فإن القوى العلمانية عاجزة ولا قوة لها في الشارع، وليس هناك من حل لتجنب التطرف وزعزعة الاستقرار إلا بقبول إدماج الإسلاميين المعتدلين في العملية السياسية والذين هم القوة السياسية الحيوية في المنطقة.

فمعهد كارنيجي مشغول بالانتقال الديمقراطي الذي يخدم المصالح الأمريكية، ولا يعرض مكتسباتها للخطر، ولكن بسبب تقبل معهد كارنيجي لمشاركة الإسلاميين أصبح له علاقات أوثق معهم مما أتاح له دراسة أطيافهم بشكل أشمل وأدق ومن قرب.

وتقوم رؤية معهد كارنيجي على أن القوى السياسية في المنطقة ثلاث: الأنظمة، المعارضة العلمانية المدنية وهي هامشية التأثير، القوى الإسلامية وهي صاحبة القوة في الشارع، وأن الأنظمة تستغل ضعف القوى العلمانية لتجعلها في صفها في مقابل الإسلاميين، مما يديم حالة الاستبداد والفساد، ولذلك يقترح المعهد دعم الإسلاميين المعتدلين وإقامة جسور بينهم وبين العلمانيين ليصبح هناك ضغط مزدوج على السلطة، مما يجبرها على انتهاج سلوك تصحيح المسار السياسي.

ويرى المعهد أن الاستمرار في دعم الأنظمة المستبدة سيجعل الإسلاميين في طليعة المعارضة ورأس حربة في معاداة الإمبريالية والأنظمة القائمة، وستتصاعد الهوية الإسلامية بينهم، ويحدث تقارب بينهم وبين القوى القومية واليسارية، ويقلل من اتجاه الإسلاميين للاعتدال ويزيد نفوذ التيارات الراديكالية.

ولذلك يركز معهد كارنيجي على تطوير الإسلاميين نحو (الاعتدال) من خلال تحديد مناطق رمادية في فكر وسلوك الإسلاميين حددها في ست قضايا ثم وسعها أكثر، لتتطور وتتوافق مع المنظومة الغربية، ومما يساعد على تطور الإسلاميين، ويرى المركز ضرورة تعزيز قوة وحضور الأحزاب العلمانية لتنافس الإسلاميين بما يضغط عليهم لسلوك مسار (الاعتدال).

ويضرب المعهد المثل بالتجربة التركية وأن التعنت واللجوء إلى الانقلابات ضد الإسلاميين لم يخدم السياسة الأمريكية في تركيا، بينما القبول بمشاركة الإسلاميين نهض بتركيا وجعلها على مسار بناء مؤسسات ديمقراطية حقيقية.

وهذه الرؤية لا تقتصر على معهد كارنيجي، بل يشاركه فيها معهد بروكنغز ومعهد السلام الأمريكي، ومن أوروبا: معهد العلاقات الدولية والحوار الخارجي في مدريد، ومركز دراسات السياسة العامة ببريطانيا، ولكن الانقلاب على العملية السياسية ومرسي في مصر، جعل مركز كارنيجي يحول اهتمامه لقضايا أخرى مثل التربية والتعليم وحقوق الأقليات.

ثم يستعرض التليدي ٩ حجج تقوم عليها هذه الرؤية، هي محاور المواد التي أنتجها معهد كارنيجي وتم استعراضها في الفصل الأول.

الفصل الثالث والأهم بحسب المؤلف، يعالج أزمة النموذج المعرفي في تناول المراكز الأمريكية لموضوع الإسلاميين، حيث وجد التليدى أن المعهدين برغم تناقض طرحيهما إلا أنهما انطلقا من أطروحة سابقة على البحث، وكان الهدف من البحث تعزيزها وإثباتها!

وأن قضية الديمقراطية ليست مبدئية عند المركزين، بل كان لاعتبار الديناميه السياسية وما فرضه الواقع وتحصين المصالح الأمريكية القول الفصل، فمعهد واشنطن تخلى عن فكرة تعزيز الديمقراطية واهتم بمحاربة الإسلاميين، ومعهد كارنيجي تحول لاهتمامات أخرى بعيدة عن

الديمقراطية.

لقد كان النموذج الغربي للديمقراطية وتحقيق المصالح الأمريكية والغربية هو السقف والمعيار لقياس الديمقراطية واعتدال الإسلاميين، مما جعل هذه المراكز تولد ثلاثة مفاهيم جديدة للديمقراطية، وهي:

١- الديمقراطية التمييزية، والتي تقوم على أن الاسلاميين عدو للديمقراطية ولا مكان لهم فيها، وفي الحقيقة هي محاولة لمنع تأسيس الديمقراطية على نموذج ثقافي مباين للحضارة الغربية.

٢- الديمقراطية الإرشادية، وهي تقوم على ضرورة توافق الإسلاميين مع المعايير والقيم الليبرالية في اللعبة السياسية ليتم قبولهم فيها، والعجيب أن هذه المعايير غير ثابتة بل دائمة الاتساع.

٣- الديمقراطية التدخلية، وهي تعني أنه عند عدم تحمل مخاطر الديمقراطية تقوم الإدارة الأمريكية بإفهام السلطات بالأهداف المطلوب تحقيقها.

إن من المشاكل التي تعاني منها مراكز الأبحاث الأمريكية تجاه الإسلاميين نقص وعدم كفاءة أدوات التحليل، بسبب محاولة دراسة الإسلام والإسلاميين بحسب نموذج الحضارة الغربية، فتقاس الحركات الإسلامية على الأحزاب المسيحية، والأنظمة السلطوية بالأنظمة الديمقراطية، والعملية الديمقراطية العربية بالغربية مع البون الشاسع بينهما، وهكذا.

وفي الخاتمة ينبه المؤلف على خطورة الاستنتاج أن الدراسات الغربية عديمة الجدوى أو أنها دراسات سطحية، برغم السلبيات التي كشفتها الدراسة، بل يجب الاهتمام بها مع التيقظ لعيوبها والاستفادة من أدواتها الإجرائية.

وأما عن سؤال: كيف يمكن تقويم دراسات المراكز الغربية عن الإسلام والإسلاميين؟ يأتي الجواب من ثلاث زوايا: الزاوية المعرفية بالاعتماد على الفكر الإسلامي في تفسير مواقف وسلوك الإسلاميين، والتي تشمل علاقة الدين بالسياسة.

ومن الزاوية النظرية تحديد الغرض من الدراسة، هل هو تطويع الإسلاميين للمصالح الغربية، أم نشر الديمقراطية بغض النظر عن مدى توافقها مع المصالح الغربية.

ومن الزاوية المنهجية لا بد من عدم الاقتصار على آليات محدودة مثل المقابلة والملاحظة السلوكية واللقاءات ذات الغرض المحدد، والشفافية في الإفصاح عن الوسائل المستخدمة وطريقة تحويلها إلى مؤشرات صالحة لتوليد خلاصات، وإخضاع المسلّمات إلى عملية اختبار ضمن النسق الثقافي والسياسي الذي يحكم العملية السياسية في البلاد العربية.

وهذه القراءة لهذه الدراسة لا تغني عن قراءة الأصل والاستفادة من تفاصيلها الكثيرة ومعلوماتها الغزيرة لكل مهتم بالحركات الإسلامية السياسية.





هل ظهر البغدادي؟

قالوا: ظهر البغدادي كما تحديتم، فهلاّ بايعتم؟

ونقول: الظهور المعتبر شرعًا والذي وقع عليه التحدي: قبل طلب البيعة، حتى يُعرف للناس ويُعلم، ثم تكون البيعة عن معرفة وقبول!

- الظهور المقصود: ظهور الحاكم المتمكن في حياة الناس ومرافق الدولة، وليس الظهور المحدود المصطنع وقتًا وكيفيةً.
- الظهور لشخص البغدادي ومعرفة اسمه وشخصه وحده دون بقية أركان دولته بالكامل ليس له أي معنى، فالدولة لا تقوم على فرد أو أفراد، بل على كامل جهاز الدولة.
- هذا الظهور شرط من الشروط لمعرفة شخص البغدادي، والأهم من ذلك بقية الشروط ومنها:

معرفة (الحال)، فما حال هذا الرجل؟ ومن زكّاه من أهل العلم والمجاهدين؟ فكم شخص معروف باسمه ونسبه قال عنه أهل العلم: مجهول الحال، فسقط!

عماد الدين خيتي –

موقع نور سورية ٢٠١٤/٧/١٧

حقيقة جهاد داعش

قالوا: نشر موقع «وورلدبولتين» التركي المعروف مخططا توضيحيا لتوزع المعارك بين الأطراف المشاركة في الحرب داخل سوريا، وكشف الرسم التوضيحي عن أن تنظيم «دولة العراق والشام» خاض ٥٦٪ من معاركه مع الفصائل الثورية والجهادية التي تعلن مناوءتها لنظام بشار الأسد، فيما لم تشكل معارك التنظيم مع النظام الذي ينعته بـ«النصيري» سوى ١٢٪.

موقع نور سورية

٢٠١٤/٧/٢١

تزكية إسرائيلية لداعش!

قالوا: بعنوان «داعش غير معنية بقتال اليهود»، قالت صحيفة هاآرتس «الإسرائيلية»، إن هناك قائمة طويلة بالقادة العرب الذين وضعهم تنظيم «داعش» السني كأهداف له، ومن بينهم الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي، ورئيس الوزراء العراقي نوري المالكي، والملك السعودي، عبدالله بن عبدالعزيز، والعاهل الأردني، عبدالله الثاني، وأيضًا قيادات بارزة بجماعة الإخوان المسلمين، أما اليهود وإسرائيل فليسوا على رأس هذه القائمة. وأضافت «في الوقت الذي تضرب فيه إسرائيل قطاع غزة، شيء رائع أن نعرف أن هناك على الأقل تنظيم إسلامي واحد لم يسارع بتهديد إسرائيل، وهو تنظيم داعش».

المصريون – ٢٠١٤/٧/١٤

أساطير عن داعش

قالوا: الأسطورة الثالثة هي أن نظام بشار الأسد في سوريا هو العدو اللدود لـ«داعش». وأعلنت حكومة الأسد في سوريا أنها في حرب مع الإرهابيين، بينما تظهر «داعش» نفسها بوصفها حامية المسلمين السنة في سوريا من النظم «الملحدة» مثل نظام الأسد. لكن المجموعتين تعارضان المعارضة المعتدلة، وبإضعاف المعارضة المعتدلة يضعف الأسد التهديد الأكبر طويل المدى ضد حكومته. وكانت حكومة الأسد أحجمت عن العمليات

العسكرية في بعض المناطق التي يسيطر عليها «داعش»، بينما واصل الطيران الحربي السوري قصف مناطق المعارضة المعتدلة التي تقاتل تنظيم داعش وتشتري النفط منه. بالفعل، لو لم يكن تنظيم داعش موجودا لصنعه الأسد، وقد فعل ذلك بصورة من الصور. وبمرور الوقت، أدت خطاباته وتكتيكاته إلى حدوث رد فعل عنيف بين المسلمين السنة، الذين غيروا النزاع مع بروز جماعات مثل «داعش». ويجد السوريون أنفسهم بصورة متزايدة أمام خيارين: إما نظام الأسد وإما المتطرفين. لكن يبدو أن ذلك التكتيك أخذ في التلاشي مع تقدم الدولة الإسلامية في العراق.

دانيال بيمان –

الشرق الأوسط ٢٠١٤/٧/٨

داعش و"عقيدة" الستالايت!

قالوا: مناصرو داعش يتهموننا بأننا نسمع عن داعش ولكن لا نسمع منها، ويقولون: «هذه عقيدة الدولة الإسلامية في العراق والشام وحتى لا يبقى لكذاب عذر، أو لمحب شبهة». فها نحن ننقل ما يصدره تنظيم داعش ويقرّ به ويتفاخر به محبّوه!

جاء في البيان المذكور في البند التاسع عشر: «نرى تحريم كل ما يدعو إلى الفاحشة ويعين عليها كجهاز الستالايت، ونوجب على المرأة وجوباً شرعيًا ستر وجهها والبعد عن السفور والاختلاط ولزوم العفة والطهر».

نقول باختصار ردّا على هذا الكلام الفظيع والمتهافت في آنٍ معًا:

أولا: منذ متى كان تحريم الستالايت وإيجاب ستر وجه المرأة من «العقيدة» حتى يوضع ذلك تحت باب «هذه عقيدتنا»؟! إنما يدلّ ذلك على ضعف علم قيادة هذا التنظيم المنحرف إلى درجة وقوعهم بما لا يقع فيه طالب العلم المبتدئ من المغالطات، فما بالك بالأتباع؟!

ثانيا: جهاز الستلايت «وسيلة» تنقل النافع والخبيث، والذي يقرّر محتواها هو المستخدم نفسه، كمن يقرأ الكتب؛ يستطيع أن يقرأ الكتب التي تحوي المنكرات، ويستطيع أن يقرأ الكتب النافعة، فلأيّ شيء يحرّم تنظيم داعش الستلايت بهذا الحسم والاختزال؟!

ثم أليس من الأولى تحريم «الإنترنت» باعتباره أكثر انفلاتًا من الستلايت بأضعاف مضاعفة دون شكّ، ويحوي من الفواحش والمنكرات ما الله به عليم؟ فلماذا لم يذكره البغدادي في بيانه وهو أولى بالتحريم بناء على ما يقوله؟ ولماذا نرى أنّ أعضاء داعش ومناصريها يكثرون من استخدام الإنترنت، بل يمارسون فيه نشاطا إعلاميًا جبّارا للترويج لتنظيمهم، رغم أنه «مما يدعو إلى الفاحشة» بناء على معيار بيان «هذه عقيدتنا»؟ أم إنّ الإنترنت جائز لأنّه يخدم عملية الترويج للتنظيم؟!

شريف محمد جابر –

موقع نور سورية ٢٠١٤/٧/١٢

عصف مأكول وجرف صامد: في الدلالات السياسية لجولة جديدة بين إسرائيل وحماس

طارق عثمان– موقع مركز نماء ٢٠١٤/٧/٢٠

مقدمة

منذ صلح وستفاليا[١] كان ينظر إلى الدولة القومية الحديثة بوصفها الوحدة السياسية الوحيدة، التي يتمحور حولها الفعل السياسي البشري في كليته. ولكن الحال قد تغير منذ أن صرنا نحيا في عالم ما بعد حديث؛ لقد أنزلت الدولة الحديثة بما هي أداة احتكار مطلق للقوة من على عرشها؛ لقد أصاب ليفياثان هوبز [٢] الوهن إذن، ولم يعد الفعل السياسي حكرًا على الدولة التنين. فثمة نمط جديد من الفاعلين قد بزغ لينافسها في حق تملك القوة، إنه ما بات يعرف في الأدبيات السياسية بـ«الفاعلين من غير الدول» [٣] (NSAs) actors non-state. فما هو كنه هذا الفاعل يا ترى؟

الحق أنه ليس ثمة تعريف مجمع عليه للفاعلين من غير الدول، ربما يرجع ذلك في جزء منه لحداثة الاهتمام النظري به في حقل العلوم السياسية والعلاقات الدولية تحديدًا. وفي جزء ثانٍ إلى تعدد أشكال هذا الفاعل بحسب المعايير التي يمكن تصنيفه على أساسها. وربما في جزء أخير إلى كون التعاطي مع الفاعلين من غير الدول كان مشوبًا بتحيزات أيديولوجية خاصة بعد أحداث ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ [٤].

ولكن بمقدور المرء على أية حال أن يستخلص بعض السمات الرئيسة التي تحدد بدرجة أو بأخرى كنه الفاعلين من غير الدول:

- كيان منظم يمتلك هيكل للقيادة؛
- يحظى بقدر كبير من الاستقلالية عن سيادة الدولة:
- يمثل ويعبر عن جماعة معينة إثنية أو هويّاتية أو أيديولوجية؛
- له أهداف سياسية معينة يسعى لتحقيقها؛
- يملك القوة (صلبة أو ناعمة) التي تؤهله لتحقيق هذه الأهداف؛
- ومن ثم هو يؤثر على سياسة الدولة، وقد يمتد للتأثير على السياسة الدولية نفسها.

إنطلاقًا من هذه السمات يتم تقسيم الفاعلين من غير الدول على أساس معايير عدة ولكن أهمها معيارين:

(١) التسليح: وعلى أساسه ينقسم الفاعلين من غير الدول إلى: فاعلين من غير الدول عنيفين VNSAs أو مسلحين ANSAs. وفاعلين من غير الدول سلميين أو غير مسلحين.

(٢) نطاق الفعل: وعلى أساسه ينقسم الفاعلين من غير الدول إلى: فاعلين محليين؛ أي أن نطاق عملهم لا يمتد خارج الدولة. وفاعلين دوليين؛ أي أن نطاق عملهم يمتد إلى خارج الدولة.

وبناءًا عليه يدخل تحت مسمى الفاعلين من غير الدول الكثير من الكيانات، ولعل أهمها:

❖ الشركات متعددة الجنسيات أو قل العابرة للقوميات [٥] multinational corporations (فاعل دولي غير مسلح)

❖ شركات الأمن الخاصة [٦] (فاعل دولي مسلح)

❖ حركات التمرد والانفصال [٧] (فاعل محلي مسلح)

❖ المنظمات الدولية غير الحكومية [٨] (فاعل دولي غير مسلح)

❖ المنظمات غير الحكومية ومنظمات المجتمع المدني (فاعل محلي غير مسلح)

❖ التنظيمات الإسلامية الجهادية أو حركات المقاومة: وهي بحسب معيار التقسيم الأول فاعل مسلح. ولكنها بحسب المعيار الثاني تنقسم إلى فاعلين دوليين مثل: تنظيم القاعدة. وفاعلين محليين مثل: حزب الله في لبنان، وحركة حماس في فلسطين.

هذا هو الإطار التحليلي الذي يمكننا أن ننظر من خلاله لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)، إذ هي فاعل من غير الدول مسلح ومحلي، تتوفر فيه كل السمات المميزة لهذا التصنيف؛ فهي مستقلة بدرجة كافية تمامًا عن سلطة الدولة (السلطة الفلسطينية أو إسرائيل)، تمتلك بنية تنظيمية صلبة، وتمثل جماعة معينة؛ وهي كل من يرفض الاحتلال الإسرائيلي ويدعو لمقاومته بالسلاح، وتمتلك هدف سياسي واضح تتغيا تحقيقه وهو تحرير الأرض الفلسطينية، وتملك من القوة (الصلبة في المقام الأول) ما يمكنها من السعي وراء هدفها، وهي من ثم فاعل مؤثر على الساحة السياسية الفلسطينية، بل تأثيرها ربما يمتد لمجمل الساحة السياسية الإقليمية. تمتلك حماس إذن كفاعل سياسي برنامجًا لسياستها الخارجية مع دول الإقليم وغيرها، كما تملك برنامجًا عسكريًا موجهًا حصرًا ضد المحتل الإسرائيلي.

في هذه الورقة سننظر في ديناميكيات هذين البرنامجين من خلال جولة الصراع الجديدة التي اندلعت بين حركة حماس وإسرائيل في شهر يوليو ٢٠١٤ [٩]، والتي جاءت بعد مرور عامين على آخر جولة بينهما [١٠]. ولن يكون همنا في واقع الأمر رصد التفاعلات العسكرية في هذه الجولة، وإنما سننشغل بالتفتيش عن الدلالات السياسية المختلفة لها.

الداخل الفلسطيني: أزمة معممة

ما هو السياق السياسي الفلسطيني الذي اندلعت فيه هذه الجولة بين إسرائيل وحماس؟ لو عدنا خطوات للوراء قبل اندلاع هذه الجولة؛ سنجد أنفسنا أمام حدث المصالحة بين حركتي فتح وحماس في شهر إبريل ٢٠١٤ [١١]، والحال أن هذه المصالحة تنبئنا عن مدى الأزمة التي تعصف بكل من فتح وحماس، كيف ذلك؟ ربما لم يأمل الفلسطينيون في شيء ويأسوا من تحققه مثل المصالحة الفلسطينية بين حركتي فتح وحماس، ثمة محاولات فاشلة يتلوها محاولات أكثر فشلًا، وعبر وساطات متنوعة، مصرية حينًا وقطرية حينًا آخر، ولكن بلا جدوى، ربما كانت الخلافات بين الفريقين أكثر جذرية من أن تسمح بإجراء مصالحة حقيقية بينهما. فما الذي تغير إذن حتى يخرجا علينا باتفاق مصالحة قد تم توقيعه بلا صخب أو وساطات معلنة؟ إنها الأزمة التي جعلت الأرض تميد من تحت أقدامهما، بحيث لم يكن ثمة خلاص منها إلا باللجوء إلى المصالحة؛ فمن ناحية «فتح» كان الوضع كالآتي: الشيء الوحيد الذي تحاول السلطة الفلسطينية شرعنة وجودها به: هو إحراز أي تقدم في المفاوضات مع إسرائيل ضمن المسار العام لعملية سلام إسرائيلية فلسطينية، هي قد ماتت بالفعل [١٢]. والحال أن السلطة الفلسطينية قد وجدت نفسها في طريق مسدود؛ فالإستيطان مستمر على قدم وساق، والحكومة الإسرائيلية تبدي تعنتًا مخيفًا، ولا تنوي تقديم أية تنازلات، حتى مع ضغط إدارة أوباما عليها. لا أمل إذن في تحقيق أي إنجاز في عملية التفاوض، ليس ثمة مخرج في واقع الأمر سوى تحريك مياة الصلح

الراكدة مع حركة حماس.

أما فيما يخص الأخيرة: فبعد الإطاحة بحكم جماعة الإخوان المسلمين في مصر، ومجيء رجل عسكري يُكن لها قدرًا غير يسير من البغض، ضاع السند الذي كانت تعول عليه الحركة، خاصة بعدما تدهورت علاقتها مع طهران بسبب موقفها من الثورة السورية [١٣]. ثمة أزمة مركبة إذن تعصف بحماس، هذا هو وجهها السياسي. أما عن وجهها الاقتصادي، فتحت الحصار المضروب على القطاع، وبعدما دمر الجنرالات في القاهرة الكثير من الأنفاق الحدودية الواقعة بين مصر وغزة، وانخفاض الدعم المالي الإيراني، صارت حكومة غزة عاجزة عن دفع أجور موظفيها، الذين يقدر عددهم ب٤٣ ألف موظف، وتدهورت الخدمات الصحية وخدمات الكهرباء في القطاع، ليس ثمة طريق إذن لحلحلة هذا الوضع المأساوي سوى تحريك مياه الصلح الراكدة مع حركة فتح.

بالفعل تم التوقيع على اتفاق الصلح، والذي يقضي بتشكيل حكومة وحدة وطنية من الخبراء اللامنتمين لكلا الحركتين، لتدير شؤون كل من الضفة والقطاع، إلى أن تجرى الانتخابات التشريعية والرئاسية فيما بعد، ومع أن بنود المصالحة لم تدخل حيز التنفيذ بعد، ولم تتعرض لكثير من التفاصيل التي يكمن فيها الشيطان على الدوام كما يقال، إلا أنها قد أثارت حنق الولايات المتحدة، لقد عدتها بمثابة خيانة من السلطة الفلسطينية لمسار عملية السلام. أما إسرائيل فقد اعتبرت الاتفاق بالرغم من تواضع الآثار العملية التي يمكن أن تترتب عليه، جرم لا يغتفر من قبل السلطة الفلسطينية، وقررت فرض عقوبات عليها (حجب نفقاتها على حكومة عباس)، والتوقف عن المضي قدما في سبيل المفاوضات، الذي كان غير مجديًا على أية حال. ومنذ ذلك الحين وإسرائيل غاضبة تمامًا.

لقد كان حدث المصالحة هو النقطة التي نبتت فيها جذور هذه الجولة الأخيرة من القتال بين إسرائيل وحماس، وما كان اختطاف الثلاثة مراهقين وقتلهم إلا تكئة اتخذتها إسرائيل لتنفيذ مآربها؛ لقد أرادت أن تهدم اتفاق المصالحة من القواعد، وتعيد عقارب الساعة إلى لحظة ٢٠١٢؛ فبمجرد ظهور جثث اليهود الثلاثة قامت باعتقال معظم أعضاء حماس الذين حررتهم قبل فترة بموجب صفقة شاليط في ٢٠١١، ثم راحت تقصف حماس جوًا وبحرًا لتعيد إلى الأذهان عدوان ٢٠١٢. ما الذي تريده إسرائيل حقًا من هذه الجولة؟ وماذا يمكن لحماس هي الأخرى أن تحصل عليه من ورائها؟

عدوان ومقاومة: مراوحة المكان

ما الذي كانت تريده إسرائيل تحديدًا عندما راحت تقصف غزة، ثم القيام بمهاجمتها بريًا؟ هل تريد إسرائيل أن تزيل حماس من الوجود؟ لو اتفقنا أن استيقاظ إسرائيل يومًا ما لتجد الأرض قد خلت من حماس هو أمنية عزيزة عليها؛ فإنه لا يسعنا أبدًا القول بأنها جعلت من تحقيق هذه الأمنية هدف عدوانها الأخير، لماذا؟ واقع الأمر أن تدمير سلاح حماس كلية سيحتاج إلى معركة دموية طويلة الأمد وغير مضمونة النتائج؛ سوف تستعدي إسرائيل العالم عليها أكثر، والأهم أنها ستتكبد خسائر فادحة جراء اجتياحها الكامل للقطاع، ستخسر الكثير من جنودها، وبالتالي ستخسر الغطاء الشعبي لحربها. وفوق ذلك لا تضمن أبدًا أنها قد تخلصت من حماس، ولن تكون لها حاجة في صافرات الإنذار، لأن الصواريخ لن تطلق عليها من غزة بعد اليوم. فحتى لو دمرت إسرائيل البنية التحتية لمؤسسات حماس، فستظل الحركة فاعلًا بقوة في السياسات الفلسطينية، ويمكنها أن تقوم بعملياتها ضد إسرائيل كما كانت تفعل بدون تلك البنية حتى انسحاب إسرائيل منها في ٢٠٠٥. علاوة على ذلك؛ ستجد إسرائيل نفسها - في اليوم الذي يلي سحقها المفترض لحماس - أمام وضع لا

تحسد عليه؛ فها هي أصبحت مرة ثانية في وضع المحتل المباشر الذي تحرص بأشد الحرص أن تتجنب كلفته الباهظة؛ ستكون مضطرة وقتها أن تبحث عن قيادة فلسطينية للقطاع تحظى بقدر من الرضا الشعبي، وذاك في عداد المحال، وإن لم تجده سوف تترك القطاع بلا حكومة ، مما سيجعلها مرتع خصب للجهاديين أو حتى لدولة «داعش» الجديدة، وهؤلاء هم آخر من تود إسرائيل أن تراهم على حدودها، كبديل عن حماس.

ما الذي تتقصده إسرائيل إذن من هذه الجولة؟ كل ما دون القضاء على حماس، وأهمه:

أولًا؛ السعي قدر المستطاع لتدمير الأنفاق التي بنتها غزة لتصل من خلالها للعمق الإسرائيلي، إنها أنفاق متعددة المداخل والمخارج، وواسعة لدرجة تسمح بمرور شاحنة، القصف الجوي لن يضمن تدمير كل مداخل الأنفاق، ومن ثم عملية برية محدودة يمكنها أن تضمن تدميرها بدرجة أكثر.

ثانيًا؛ تدمير أكبر قدر ممكن من مخازن الأسلحة والصواريخ.

ثالثًا؛ مزيد من الضحايا المدنيين والذي ربما يساهم في رفع الغطاء الشعبي عن الحركة.

رابعًا؛ إسرائيل تطمع في أن تتسبب هذه العملية في خنق المصالحة الفلسطينية في مهدها،

هذا هو مقصد إسرائيل من العدوان، فكيف هو الأمر بالنسبة لحماس؟ قطعًا حماس تبادل إسرائيل نفس الشعور وتود أن لو صارت إسرائيل أثرًا بعد عين. لكن إذا كانت إسرائيل لا تتحمل تبعات القضاء على حماس، فإن حماس عاجزة بالفعل عن تدمير إسرائيل. في ماذا تطمع إذن حركة المقاومة؟ بداية حماس لم ترد أن تخوض معركة جديدة مع إسرائيل، هي قد أجبرت على الدخول فيها. لقد رأت أن إسرائيل قد عزمت على شن هجوم عليها بعد ظهور الجثث الثلاث، بغض النظر عن إطلاق حماس للصواريخ من عدمه، لم يكن ثمة بُد إذن من القتال. ولكن إذا كانت حماس قد انخرطت في هذا القتال رغمًا عنها، لماذا ردت بكل عنف على القصف الإسرائيلي؟ ولماذا تبدي قدرًا رهيبًا من التعنت أمام محاولات وقف إطلاق النار؟ خاصة إذا كانت هي موقنة من عدم قدرتها على تحقيق النصر في نهاية المطاف.

يمكن فهم ديناميكيات سلوك الحركة في هذه الجولة كالآتي: الحركة متيقنة من أن إطلاق النار سيتوقف يومًا ما، ولكنها تريد أن تضمن حصولها على أكبر قدر من المكاسب عندما يحدث ذلك، كيف سيتأتى لها ذلك؟ إنها سياسة السير نحو حافة الهاوية؛ حماس نعم لن تنتصر على الجيش الإسرائيلي ولكنها ستحاول إنهاكه ما استطاعت إلى ذلك سبيلًا (ستزيد حدة هذا الإنهاك حال اجتياح الجيش الإسرائيلي غزة وخوضه حرب عصابات مع الحركة)، ثم هي ستكثف القصف الصاروخي (والذي يصل لأول مرة إلى العمق الإسرائيلي) مما سيربك المجتمع الإسرائيلي ويلقي في قلوب الإسرائيليين الرعب، هذا هو الهدف الرئيسي من القصف الصاروخي في واقع الأمر [١٤]. كل هذا سيزيد من كلفة العدوان الإسرائيلي ومن ثمة حينها وحينها فقط سوف تكون إسرائيل مرغمة على وقف إطلاق النار بحسب الكثير مما تمليه حماس من شروط، بدون هذا التصعيد من قبل حماس لن تكون إسرائيل مضطرة لمراعاة شروط حماس عند أي اتفاق لوقف إطلاق النار. ومما يشجع الحركة أكثر على سياستها هذه، كونها ليس لديها الكثير لتخسره بالفعل؛ فالأوضاع الإنسانية في غزة توشك أن تكون في الحضيض؛ ثمة نقص حاد في الأدوية والكهرباء والبنزين وغيرها من الحاجات، أيضًا هي عاجزة عن دفع رواتب موظفيها.

ولكن ما هي الشروط التي ترغب حماس في إملائها عند أي اتفاق لوقف إطلاق النار؟ هي ببساطة تطمع في تحقيق أقصى ما يمكنها من مكاسب تجعل الحياة في غزة طبيعية: أي رفع الحصار وفتح المعابر للسماح بدخول أغراض البناء والسلع المختلفة والمواد الغذائية للقطاع، خاصة معبر

رفح مع مصر (بعدما دمرت الأخيرة الأنفاق التي كانت تنقل عبرها السلع الضرورية لغزة) ثم هي تريد إطلاق سراح معتقليها لدى إسرائيل. وأن توقف الأخيرة حملات الاغتيال النوعية لقادتها العسكريين. الأمر يشبه كثيرًا ما حصلت عليه من موافقتها على وقف إطلاق النار في ٢٠١٢ والذي تم برعاية مصرية حينئذ [١٥]. ولكن يا ترى برعاية من يمكن لحماس أن تحصل هذه المرة على اتفاقية كتلك؟

من حجارة السجيل للعصف المأكول: أين تقف القاهرة؟

ربما كانت مشكلة حماس السياسية الأكبر هو افتقادها لظهير سياسي عربي قوي يوفر لها غطاءًا سياسيًا. لا أحد يجرؤ على معاداة إسرائيل والولايات المتحدة التي تعامل حماس بوصفها كيان إرهابي. كانت الحركة في واقع الأمر تعول على إيران وحليفتها سوريا، لتوفير هذا الغطاء بقدر أو بأخر؛ سوريا كانت تأوي مكاتب وقيادات الحركة، وإيران توفر لها المال والسلاح، ولكن جاءت رياح الربيع العربي بما لا تشتهي سفن حماس، وكان عليها أن تكون في صف الثورة السورية ضد الأسد، ومن ثم أغضبت منها طهران بشدة، وكادت العلاقات بينهما أن تدهور تمامًا. ولكن كان ثمة ضوء في نهاية النفق بالنسبة لحماس؛ فربما كان في وصول جماعة الأخوان المسلمين للحكم في مصر عوضا لها عن كل خسارة، فهل حقا حدث هذا؟ بادي الرأي كان رحيل نظام مبارك المعادي للحركة ومجيء الإخوان للسلطة مكانه، يظهر كأنه نقلة جذرية تمامًا في علاقة حماس بمصر، ولكن عند التحقيق لم يمثل ذلك فرقا مذهلًا في واقع الأمر، لقد كانت عملية عمود الغمام أو قل حجارة السجيل بلغة حماس أول اختبار لمدى التغيير الذي يمكن لجماعة الإخوان أن تحدثه في طبيعة السياسات المصرية تجاه حماس؛ لم يكن بمقدور الرئيس مرسي (وحماس على يقين من ذلك) أن تقف بجانب حماس ضد إسرائيل كما ينبغي أن يحدث، لم يكن بوسع مصر الجديدة المثقلة بمشاكل إقتصادية وسياسية مريرة أن تناصب الولايات المتحدة العداء، وهي التي بذلت جهدًا مضنيًا لإقناعها بأن مصر لن تمس اتفاقية كامب ديفيد بسوء. إن آخر ما كانت تحتاجه مصر وقتها أن تناصب أحدًا العداء، حتى لو كان ذلك من أجل حماس. ما الذي أعطته مصر لحماس إذن؟ في مستوى ظاهري، بالغت مصر في نكيرها على إسرائيل، وأرسلت رئيس وزرائها لغزة وهي تحت القصف كآية على الدعم المطلق. ومعبر رفح كان بالفعل مفتوحًا، وقيادات حماس تتحرك بحرية في أرجاء القاهرة. أما بصورة جوهرية فلم تقدم مصر لحماس الكثير، هل زودتها بالسلاح للانخراط مزيدًا في قتال إسرائيل على سبيل المثال؟ أو هددت إسرائيل وأرغمتها على وقف العدوان وإلا ستخسر مصر وللأبد؟ لا ما فعلت هذا ولا ذلك وما كان ذلك بمكنتها أصلًا. أي فرق جوهري بالنسبة لحماس قد شكله وجود الإخوان في السلطة في مصر ما بعد مبارك؟ لقد استطاعت مصر أن تنجز اتفاقًا لوقف إطلاق النار ليس مفصلًا على رغبات إسرائيل تمامًا وإنما كان أيضًا منصفًا لحماس بدرجة أو بأخرى.

هذا هو موقف القاهرة وقتها، فكيف هو الآن بعدما أطيح بالإخوان من السلطة وجاء الجنرال السيسي من بعدهم؟ ثمة تقارير تؤكد وجود رئيس المخابرات المصري في تل أبيب في الليلة التي سبقت بداية العدوان الإسرائيلي على غزة [١٦]، ألا يذكرنا ذلك بلحظة ٢٠٠٨/٢٠٠٩ حين كانت تسيبي ليفني وزيرة الخارجية الإسرائيلية وقتها تقف في شرم الشيخ بجوار وزير خارجية مبارك في اليوم الذي سبق عملية «الرصاص المصبوب» على غزة؟ لقد عادت سياسات مصر تجاه غزة إذن إلى سابق عهدها، وبدى التحول (والذي لم يكن جوهريًا بصورة جذرية) الذي أحدثه الإخوان المسلمين في

هــذه الـسياسات قــد ضــاع تمامًــا بمجـئ السيـسـي إلى الحكــم مــن بعــدهم. تعاملــت القــاهرة بــادئ الأمــر بـبرود شـديد مـع العـدوان، ويكـأن الأمـر لا يعنيهـا في شـيء. ثـم بعـد ذلـك تـشجعت وزارة الخارجيـة وقامـت بإصـدار بيـان يطالـب بوقـف إطـلاق النـار، ويؤكـد وقـوف مـصر بجانـب الفلـسطينين، ثـم بيـان مـشابه علـى لـسان متحـدث باسـم الرئاسـة قـد صـدر ليـذكر مــا ذكــره ســابقه، فقــط ســيعلن أن مــصر ســوف ترســل مــواد غذائيــة وطبيــة كمــساعدات عاجلــة لـشعب غـزة. يلاحـظ أن الـتغيرات الخطابيـة الـتي كـان الـرئيس محمـد مرسـي قـد طعّـم بهـا الموقـف المـصري تجـاه العـدوان علـى غـزة قـد أزالهـا السيـسي وأعـاد الأمـور لمـا كانـت عليـه. علـى حـين غـرة مـن أمرنـا سـتعلن القــاهرة عــن مبادرتهــا لوقــف إطــلاق النــار (والـتي كانـت بـضغط مـن واشـنطن فيمـا يبـدو) والـتي سـتعلن إســرائيل موافقتهــا عليهــا بــسرعة مريبــة، في حـين أن حمــاس ســتنفي بــادئ الأمــر أنــه تم توجيــه خطــاب رسمــي لهــا بالمبــادرة، ثــم بعــد ذلــك ســتعلن بوضـوح رفـضها التـام لمـا جـاء فيهـا. أيـة مبـادرة هدنـة بـين طـرفين هــذه الــتي لا ينبـئ الوسـيط فيهـا واحـد منهمـا عنهـا شـيئا؟ إنهـا مبـادرة تلائـم واحـدًا منهمـا تمامًا وتظلم الآخر بلا شك.

قـدمت القـاهرة مبـادرة تـضمن لإسـرائيل مـا تريـده: وقـف إطـلاق الـصورايخ مـن غـزة، ولكنهـا في المقابـل لا تــضمن لحمــاس أي شــيء، فقــط وقــف العــدوان عليهـا دونمـا حـديث عـن رفـع الحـصار وفـتح المعـابر وإطـلاق سـراح المعـتقلين لـدى إسـرائيل. إنهـا صـيغة كــان علــى حمــاس أن ترفــضها قطعــا، ثــم تــسير بإســرائيل نحــو حافــة الهاويــة، كيمــا تحــصل علــى اتفاقيــة أكثــر عــدلا. يمكننــا أن نفهــم المبــادرة المـصرية بمعرفتنـا أيـن تقـف القـاهرة تحديـدًا هـذه المـرة؟ إن القـاهرة تعامـل حمـاس بوصـفها جـزء مـن جماعــة الإخــوان «الإرهابيــة» لا بوصــفها جــزءًا مــن الـشعب الفلـسطيني في غـزة والـذي يقـدر بمليـون ونــصف نفــس في واحــدة مــن أكثــر البقــاع كثافــة ســكانية في العــالم، محاصــرون تمامًــا مــن قبــل إســرائيل وتقتــل فــيهم ليــل نهــار، لا تــراهم القــاهرة الــتي يحكمهــا الجنــرالات هكــذا، وعليــه فإنهــا لا تنظـر لإسـرائيل كمعتـدي يجـب رده عـن غيـه، ولا لحمــاس وشــعب غــزة مــن خلفهــم كـضحية يجـب نـصرها، القـاهرة تقـف بجـوار تـل أبيـب هـذه المـرة، وودت أن لو سحقت الأخيرة حماس وقضي الأمر.

مـن الـذي بقـي لحمـاس إذن بعـد خـسران القـاهرة؟ بالنـسبة للـسلطة الفلـسطينية والـتي كـان ينتظـر منهـا بعـد توقيـع المـصالحة أن تغـير موقفهـا تجـاه غـزة، فقـد خيبـت آمـال حمـاس تمامًـا؛ فهـا هـو عبـاس يـتكلم بكـلام بـارد (كعادتـه دومًـا في مثـل هـذا الـسياق) يـساوي فيـه بـين إسـرائيل وحمـاس، قائلًـا أنـه لا يعنيـه مـن ينتـصر، فقـط يـود أن تنتهـي المجـزرة. ولا يـزال التنـسيق الأمـني مـع إسـرائيل علـى مـا هـو عليـه في الـضفة. ربمـا سـيكون هـذا الموقـف مـن الـسلطة أول مسمار في نعش المصالحة بينها وبين حماس.

بقــي لحمــاس إذن كــل مــن تركيــا وقطــر، وحـدهما يمكـن أن يحـلا محـل القـاهرة كوسـيط أكثـر عـدلًا يمكنـه أن ينجـز اتفاقًـا لوقـف إطـلاق النـار لا يـبخس حمـاس حقهـا. والحـال أن إسـرائيل تـؤثر قطعًـا القـاهرة علـى كـل مـن الدوحـة وأنقـرة، هـي تـرى أن أي اتفـاق لوقـف إطـلاق النـار تتوسـط فيـه القـاهرة سـيكون في صـالحها أكثـر مـن ذاك الـذي تتوســط فيــه تركيــا أو قطــر؛ فعلاقــة إســرائيل بتركيــا توشــك أن تكــون في الحــضيض، وقطــر تدعم الحركة صراحة وتأوي قادتها.

خاتمـة

اســتغلت إســرائيل حادثــة مقتــل الإســرائيليين الثلاثــة وهجمــت عــل غــزة بغــرض تــدمير الأنفــاق وأكــبر قــدر مــن مخــزون صــواريخ حمــاس. ردت الأخـيرة بقـصف عنيـف وصـل لعمـق إسـرائيل هـذه المـرة وشـل الحيـاة في مـدنها بطريقـة شـبه تامـة. هـذه حـرب لـيس فيهـا ثمـة منتـصر، وكـلا الطرفـان موقنـان بـذلك، كلاهمـا يأمـل أيـضًا أن يـتم وقفهـا في أسـرع وقـت، ومـا التـصعيد إلا بغـرض حـرص كـل منهمـا علــى الوصــول إلى اتفاقيــة لوقــف القتــال تكــون في

صالحه؛ إسرائيل تطمع في اتفاقية لا تعطي حماس أي شيء، بينما حماس تطمع في اتفاقية تعيد الحياة إلى طبيعتها في غزة على الأقل كاتفاقية ٢٠١٢. وتكمن المشكلة في غياب وسيط مناسب لإنجاز اتفاقية يقبل بها الطرفان. مصر هي الخيار الأول، ولكن ليس من المرجح بحسب موقفها من العدوان حتى اللحظة أن تنجح في ذلك، ربما تحت ضغط من واشنطن وسعيًا منها للحفاظ على دورها التاريخي في هذه القضية، تلين ولو قليلًا تجاه حماس وتقدم لها اتفاقية معقولة. بالنسبة لتركيا؛ فهي وسيط مستبعد نظرًا لقتامة علاقتها بإسرائيل راهنًا. وتبقى قطر وسيط محتمل بشدة، يمكنه أن ينجز اتفاقية مقبولة في إطار دولي برعاية الأمم المتحدة وواشنطن. وإلى حين التمكن من إنجاز اتفاقية هذه الاتفاقية، من المرجح أن تستمر إسرائيل في عدونها على القطاع، وتستمر حماس في المقاومة.

---

[1] نسبة إلى مقاطعة وستفاليا الألمانية، وهو الصلح الذي تم في ١٦٤٨ لينهي الحروب المريرة المعروفة بحرب الثلاثين عام والتي دارت بين ممالك الامبراطورية الرومانية، ويؤرخ به لتأسيس مبدأ سيادة الدولة.

[2] توماس هوبز (١٥٨٨- ١٦٧٩) الفيلسوف الإنجليزي الشهير، وكتابه الليفياثان أو التنين الذي ينظر فيه لسلطة الدولة المطلقة، مشبها إياها بالليفياثان وهو حيوان بحري أسطوري مخيف ذكر في الكتاب المقدس.

[3] للمزيد عما سأذكره راجع: William Wallace, Daphne Josselin (editors), non-state actors in world politics, Palgrave Macmillan, 2012

[4] حيث تم استخدام مصطلح الإرهاب بتعميم فظيع، وتم التعاطي مع الكثير من الفاعلين من غير الدول بوصفهم جماعات إرهابية.

[5] للمزيد عنها راجع: سعيد، محمد السيد، الشركات عابرة القومية ومستقبل الظاهرة القومية، سلسلة عالم المعرفة، عدد ١٠٧، نوفمبر ١٩٨٦.

[6] وهم شكل حداثي للمرتزقة، لعل أشهرهم شركة بلاك ووتر الأمريكية.

[7] وهي منتشرة في كثير من دول العالم، مثل نمور التاميل وإيتا وحزب العمال الكردستاني، وغيرهما.

[8] مثل الأمم المتحدة، ومجلس الأمن. مع لفت النظر إلى أن تلك المؤسسات تسيطر عليها القوى العظمة بطريقة تكاد تنسف سمة الاستقلالية وهي السمة الأهم للفاعل من غير الدول.

[9] اندلعت هذه الجولة على إثر اختطاف ثلاثة مراهقين إسرائلين في الضفة الغربية، بعدما فتشت عنهم إسرائيل باستماته وقلبت الضفة رأسا على عقب، واعتقلت جل أعضاء حماس بها، فشلت في العثور عليهم. بعدها تم إظهار جثث المختطفين الثلاثة، تم قتل طفل فلسطيني آخر كرد انتقامي، وبادرت إسرائيل بتحميل حركة حماس المسؤولية عن العملية، بالرغم من كونها ولا غيرها من الفصائل الفلسطينية أعلن مسئوليته عنها. شنت إسرائيل حرب جوية بدءا من ٨ يوليو قتلت ما يقارب من ٢٥٠ فلسطينيحتى الآن، وقابلتها حماس بقصف صاروخي كثيف طال هذه المرة تل أبيب نفسها، لقد أطلق من غزة ما يقرب من ١٧٠٠ صاروخ ولكنها لم تسفر إلا عن قتل مدني إسرائيلي واحد، وفي ١٧ يوليو قامت إسرائيل بتدشين عملية غزو بري للقطاع ومازالت مستمرة حتى كتابة هذه الورقة. وللمزيد راجع: العدوان الإسرائيلي الجديد على غزة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، تقدير موقف، ١٠ يوليو ٢٠١٤.

[10] وهي عملية عمود الغمام أو حجارة السجيل كما سمتها حماس، في نوفمبر٢٠١٢.

[11] للمزيد عنه راجع: المصالحة الفلسطينية: دوافعها وآفاقها، المركز العربي للأبحاث ودراسة

السياسات، تقدير موقف، ٢٨ إبريل ٢٠١٤.

[12] للمزيد عنها راجع: ثياب الإمبراطور الخفية: الفلسطنيون ونهاية عملية السلام، مجموعة الأزمات الدولية، مايو ٢٠١٢.

[13] عن موقف حماس من ثورتي مصر وتونس راجع: ضوء في نهاية النفق: حماس والانتفاضة العربية، مجموعة الأزمات الدولية، أغسطس، ٢٠١٢.

[14] فحوالي ١٧٠٠ صاروخ قد أطلقوا من غزة حتى الآن قد أسفروا عن مقتل مدني إسرائيلي واحد!

[15] للمزيد عنه راجع: إسرائيل وحماس: النار ووقف إطلاق النار في الشرق الأوسط الجديد، مجموعة الأزمات الدولية، نوفمبر ٢٠١٢

[16] العدوان الإسرائيلي الجديد على غزة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، تقدير موقف، ١٠ يوليو ٢٠١٤

بدعة في فقه الجهاد

د. بندر الشويقي - صفحته على تويتر ٢٠١٤/٧/٢٠

«المجاهدون داخل فلسطين - وفقهم الله جميعا - يعانون مشكلاتٍ عظيمةً في جهادهم لأعداء الإسلام فيصبرون عليها، رغم أن عدوَّهم وعدوَّ الدين الإسلاميِّ يضربهم بقوته وأسلحته، وبكل ما يستطيع من صنوف الدمار، وهم - بحمد الله - صامدون وصابرون على مواصلة الجهاد في سبيل الله ... لم يضعفوا، ولم تلن شكيمتهم ولكنهم في أشد الضرورة إلى دعم إخوانهم المسلمين ومساعدتهم بالنفوس والأموال في قتال عدوِّهم عدوِّ الإسلام والمسلمين وتطهير بلادهم من رجس الكفرة وأذنابهم من اليهود».

تلك قطعةٌ من كلامٍ للشيخ الإمام عبدالعزيز بن بازٍ -رحمه الله- في بيان أصدره عام (١٤١٠هـ)، ونشره بمجلة البحوث الإسلامية حاثاً على دعم الانتفاضة الفلسطينية الأولى.

في تلك الانتفاضة لم يكن الفلسطينيون يملكون صواريخ كالتي معهم الآن، حتى البنادق لم تكن شائعةً بأيديهم كما هو الحال اليوم، كانت آلتهم الرئيسة (الحجارة)، أما جنودهم، فقد اشتهر حينها عبر وسائل الإعلام مصطلح: (أطفال الحجارة)، بسبب كثرة الأطفال المشاركين في المواجهات مع العدوِّ وهم لا يملكون بأيديهم سلاحاً سوى الحجر والمقلاع، يواجهون بهما الدبابة والمدفع والطائرة.

كانت الأخبار تنقل لنا - بانتظامٍ، وكلَّ يومٍ - سقوط عددٍ من الأطفال والنساء والرجال، ممن نحتسبهم شهداء عند الله، وصار من المشاهد المعتادة التي نراها عبر الصحف والشاشات منظر الأمِّ الفلسطينيةِ الثكلى، تحتضن فقيدها وتبكيه، غير أنها تتوعد بالويل والثبور لمن قتله، في ثباتٍ يهزُّ القلوبَ مثلما يدميها.

استمرت الانتفاضة أكثر من أربع سنواتٍ، سقط -بل ارتفع إن شاء اللهُ- فيها من الفلسطينيين أكثر من (١٣٠٠) شهيدٍ، زيادةً على التشريد والهدم الذي كان يلحق المنازل؛ إذ كان الصهاينة يعمدون إلى هدم بيوت الأسر التي يشارك أبناؤها في الانتفاضة.

هدأت تلك الانتفاضة عام (١٤١٢هـ)، غير أنها عادت فاشتعلت من جديدٍ بعد حوالي عشر سنواتٍ، إثر دخول الهالك شارون باحة المسجد الأقصى، واشتباك جنوده مع المصلين الذين حاولوا منعه، فانطلقت بعد ذلك شرارة انتفاضةٍ ثانيةٍ استمرت خمس سنواتٍ أخرى.

كانت المواجهات في الانتفاضة الثانية أشدَّ عنفاً من الأولى؛ قتل اليهود فيها حوالي (٤٥٠٠) من الفلسطينيين، زيادة على حوالي خمسين ألف جريحٍ. واجتاح اليهود خلال تلك السنوات غزة والضفة عدَّة مراتٍ، في ظل ثباتٍ واستبسالٍ عظيمينِ من أهل فلسطينَ.

كانت هذه -وما زالت- حال الفلسطينيين مع اليهود. وكان المسلمون عامةً، وأهل العلم خاصةً في طول العالم الإسلاميِّ وعرضه -على اختلاف مشاربهم- يناصرونهم ويقفون معهم.

كانت الفتاوى تصدر، والتبرعات تجمع، والندوات والمؤتمرات تعقد بمشاركة أكابر العلماء، وتخرج التوصيات المنادية بمناصرة الفلسطينيين ودعم صمودهم. وخطاب الشيخ ابن باز -رحمه الله- الذي نقلته مطلع كلامي كان واحداً من مظاهر التأييد والنصرة التي كانت الموقف الشرعيَّ البدهيَّ الذي لا يُنتظَرُ من عالم بدين الله غيره. ولم نكن نسمع خلافاً في هذا، إلا موقفاً متحفظاً من الشيخ الألبانيِّ -رحمه الله- في اجتهادٍ هو فيه مأجورٌ إن شاء الله.

لم يقتصر الأمرُ على العلماء، بل حتى على المستوى الرسميِّ كان الموقف لا يحمل سوى التأييد والدعم العلني. والمتابعُ يتذكر حين طلبت بريطانيا تغيير سفير المملكة بلندن عام (١٤٢٣هـ)، بسبب قصيدةٍ قالها في مدح امرأةٍ فلسطينيةٌ نفذت عمليةً ضد الصهاينة، فتمَّ تغيير السفير الذي أبى أن يغير موقفه، فكانت تلك من مآثره التي يذكرُ بها.

لم تكن تلك المواقف قاصرةً على فلسطينَ، بل قد تربينا صغاراً وكبرنا ونحن نسمع ألسنة أكابر أهل العلم تلهج بالدعاء والتأييد والانتصار للمجاهدين في أفغانستان، وفي كشمير، وفي الفلبين، وفي إرتيريا، وفي كل بقعةٍ يهبُّ فيها المسلمون لمنازلة عدوٍّ وطئ أرضهم.

هذا ما أدركناه وما عاصرناه وعاينَّاهُ. وأكثر منه ذاك التاريخ الطويل الذي قرأناه وسمعنا به عن مواقف أهل العلم السالفين في حقبة ما سُمي بالاستعمار، وتأييدهم حركات الجهاد الشعبية ضعيفة العتاد، التي كانت تستهدف طرد المحتلِّ الأقوى عدةً وعتاداً.

في الشرق كانَ المسلمون بالهند -وعلى رأسهم أهل الحديث- ، كانوا بتسليحهم المتواضع يصارعونَ الإنجليز بجيوشهم الجرارة؛ التي كانت القوة الأولى في العالم آنذاك.

وفي الغرب كان الليبيون يقاتلون الطليانَ.

والجزائريون والمغاربة يقاتلون الفرنسيينَ.

وكذا كان الحالُ في مصر، وفي الشام، وفي السودانِ.

كانت حروباً غير متكافئة إطلاقاً من جهة العدد والعتاد، قتل فيها الملايين من المسلمين -أكثر من ستة ملايين في الجزائر فقط- ، دون أن يصدَّهم ذلك عن الاستمرار في مجاهدة ومدافعة العدوِّ بما يتاحُ لهم من أدواتٍ.

قد يصالحون أحياناً ويهادنونَ، لكن لم يكن في علمائهم من يطلق القولَ بتحريم مقاتلة العدوِّ في ذلك الوقت بحجة قوته وضعف تسليح المسلمين كما نسمعه اليومَ من بعض الناسِ كلما هبَّ المسلمون مدافعين عدواً غاشماً معتدياً.

كان من أعظم جناياتِ الاتجاهات العصرانية إنكارها مفهوم (جهاد الطلب)، واليوم نرى من يتجه -باسم السُّنة والسلفية- إلى تقريراتٍ تنتهي عملياً إلى إسقاطِ (جهاد الدفع) في زماننا بحجَّة الشفقة على دماء المسلمين العاجزين عن مقاومة عدوٍّ أعلى تسليحاً منهم.

تشتعل المواجهة مع الصهاينة، ويستبسل الفلسطينيون في الثبات والمواجهة ومجاهدة العدوِّ، فينالونَ منه وينالُ منهم، ويحتسبونَ شهداءهم وجرحاهم، ويقف معهم إخوانهم في سائر أقطار الأرض بالدعاء والتأييد، وبالألم أيضاً. وفي خضم هذه النازلة يبرز صوتٌ نشازٌ لا يرى في هذه المعركة إلا مغامرةً صبيانيةً لحركيين يخالفون طريقة أهل العلم، ويتاجرون بدماء الفلسطينيين!

اللهم عفوك وغفرانك .. أولئك الذين يقالُ عنهم: (متاجرين بدماء الفلسطينيين)، هم أنفسهم الذين يقفون على خطِّ المواجهةِ مع العدوِّ، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر، ومنهم من فقد أهله

وولده، ومنهم من هدمت داره على من فيها، ثم يقالُ عنه –بعد ذلك– : متاجراً بدماء الفلسطينيين!

وليت هذا الموقف الغريب اقتصر على الوضع في غزة، بل أصحابه يجعلونه رأياً يعمُّ سائر بقاع الإسلام. فكلما وطئ الكافر الأقوى عتاداً أرض الإسلامِ أعادوا المقولة نفسها، فارتفعت أصواتهم بتحريم الجهاد ومنعه حفاظاً على دماء المسلمين!

ثم تزيدُ الصورة قبحاً، حين يعمد أصحابُ هذه المقولة إلى عملية تزويرٍ واسعةٍ، كي يثبتوا أن هذا الرأي لم يزل موقفَ أهل العلم الراسخين، أو أنه رأي علماء أهل السنة في مقابل المتهورين، والحركيين، والحزبيين، وما شئت من تلك التسميات البغيضة.

أثناء الاحتلال الأمريكي لأرض العراق، صدر شريطٌ عنوانه (من للعراق؟)، قرَّر صاحبه أن اتفاق العلماء يقضي بتحريم المقاومة، وذكر أن هذا هو الموقف السلفيَّ الواجب.

ولما خشي هذا القائلُ أن يورد عليه تأييد العلماء قاطبةً جهاد الأفغانِ ضدَّ الروس، شرعَ في التزوير، فذكر أن العلماء إنما أيَّدوا جهاد الأفغان لأن أمريكا كانت تدعمهم، فكان هناك توازنٌ في القوة بين الأفغانِ وبين أعدائهم الروس، فصارَ الدعم الأمريكيُّ للأفغان هو السبب الذي جعل العلماء يجعلونه جهاداً شرعياً!

من أين جاء القائل بتلك العلة المبتكرة؟

وهل سمع أحداً من أهل العلم يعلل فتياهُ بها ولو تلميحاً؟

وماذا سيقول عن تأييد العلماء –وعلى رأسهم ابن بازٍ رحمه الله– ، للمجاهدين في كشمير، وفي الفلبين، وفي الشيشان، وفي فلسطين نفسها، ألأجل الدعم الأمريكيِّ أيضاً؟!

على أني أتساءل: أيَّ تقاربٍ أو توازنٍ في القوة وفَّره الدعم الأمريكيُّ للأفغان الحفاة العراة، في مواجهة آلة الحرب الروسية العاتية؟!

ألا يدري هذا القائلُ أن تلك (الحرب المتوازنة!) ذهب فيها من الشعب الأفغاني مئات الألوفِ (بعض الإحصاءات توصلهم إلى المليون ونصف وأكثر)، فضلاً عن مئات ألوفٍ أخرى من الجرحى والمعاقين، في حين لم يسقط من الفلسطينيين في مواجهاتهم الطويلة مع اليهود ما يقرب من هذا الرقم!

على أن الناظر يعجب كيف يغيب الفقهُ والفهمُ عن أصحاب هذه المقولة الواسعة حتى لا يتبصَّرون في مآلات قولهم رغم ظهور فسادها وسقوطها. فحاصل قولهم ومآله دعوةٌ مفتوحةٌ لأهل الكفر: أن أقبلوا وخذوا بلاد الإسلام هنيئاً مريئاً، فقتالكم محرمٌ علينا!

صاحبُ شريط (من للعراق؟) طرح على نفسه سؤالاً: ماذا لو تعرضت بلاد الحرمينِ لغزوٍ أمريكيٍّ، هل سيحرِّمُ مقاومتهم؟ ثم أجاب بما مؤداه أن موقفه لن يتغير، وأن المقاومة حينها ستكون ممنوعةً ومحرَّمةً على المسلمين ما داموا لا يملكون قوةً تضارعُ قوة عدوِّهم! .. يقولُ هذا في سياق تقرير موقف العلماء الربانيين الذين لم يتكلَّم أحدٌ منهم بمثل هذا قطُّ!

في أحداث غزة الحالية كتب آخرُ مُعلِّقاً ومُعرِّضاً:

(ليلاً: عدوٌّ أحمد يقتل أحد أولاده ..
أحمد يطلق النار تجاه العدو ..
العدو يدمِّر بيت أحمد ويقتل بقية أولاده ..
صباحاً: يحتفل أحمد بانتصاره ..
والله لا أدري أضحكُ أم أبكي...
تريدون أن نلغي أبصارنا وأسماعنا وعقولنا ونسلمها لكم).

سئل هذا القائل عما يجب أن يفعله أحمد، فأجاب:

«يجب على أحمد أن يفعل مثل محمد –ﷺ– ، يهادن الكفار مدةً، يعدُّ العدة الإيمانية والعسكرية التي ترهب العدوَّ وتردعه، ثم يأخذ حقَّه».

هكذا – وبكل سذاجةٍ– يتمُّ تصوير

حربٍ تدور رحاها منذ أكثر من ستين عاماً. وكم تمنيتُ لو أن هذا القائل شرح لنا: كيف، وأينَ سيتم إعداد العدة متى شاع هذا الفقه العجيب الذي سيفتح بلاد الإسلام للعدوِّ يجوبها طولاً وعرضاً ليستأصل أيَّ بادرة إعدادٍ دون خوفٍ من أدنى مقاومةٍ أو ممانعةٍ.

وإذا كان هذا القائلُ يذكر عن نفسه: إنه لا يدري هل يضحك أم يبكي من قصة أحمد، فليأذن لي أن أحدثه بقصة زيدٍ، فربما يجد فيها مزيداً من دواعي الضحك والبكاء:

(ليلاً: عدوٌّ زيدٍ يقتل أحد أولاده ..

أراد زيدٌ أن يردَّ .. صاح به جارُه: إياكَ .. ليست هذه طريقة الراسخين في العلم.

أمسك زيدٌ، فلم يحرك ساكناً حين جاء العدو وقتل ولده الثاني، وأتبعه الثالث.

عاد العدو ثالثةً، فذبح الأسرة كلها، وهدم الدار ..

لم يزل زيدٌ متمسكاً بما ظنه منهج الراسخين ..

أشاع زيدٌ هذا النهج في بلدته ..

جاء العدو، فقتل المزيدَ من أبناء البلد واحتلها ..

لم يقاوم أهلُ البلدة، لأن المقاومة حرامٌ عليهم قبل إعداد العدة.

طمع العدوُّ فأخذ البلدة الثانية والثالثة والرابعة .. ولا مقاومة أو ممانعة ..

استمر العدو في يأكل بلاد الإسلام بكل نعومةٍ، دون أن يخسر قطرة دمٍ، ببركة ما يقالُ إنها: طريقة الراسخين في العلم!

تلك قصة زيدٍ .. وأظرفُ منها قصة عُبيدٍ ..

جاء العدوُّ فاحتل بلدةَ عُبَيدٍ .. قتل الآلاف من أهلها..

لم يقاوم أهل البلدةِ، لأن المقاومة محرمةٌ قبل إعداد العدة ..

أراد أهل البلدة أن يعدُّوا العدة للجهاد ..

لكن العدوَّ نصب عليهم حاكماً رافضياً ينوبُ عنه.

الحاكم الجديد منعهم من الإعداد ..

نزع أسلحتهم .. شرع في ذبحهم وتهجيرهم.

وما زال عُبيدٌ يردِّدُ: المقاومة لا تشرع .. تلك طريقة الراسخين.

هل لهذا المسلك علاقةٌ بالفقه والفهم؟! فضلاً عن أن يكون طريقة الراسخين! الحديثُ عن جوازِ مصالحة العدوِّ مؤقتاً حالَ العجز عن مدافعته، يختلفُ عن مثل هذه الإطلاقات العمياء التي تنتهي إلى تحويل المسلمين إلى نعاجٍ خاضعةٍ يقودها الراعي بعصاه.

معضلة من يتحدث بتلك الطريقة أنه حين ينظر في ميزان المصالح والمفاسد، يستعمل حسبةً رياضيةً آليةً مجرَّدةً، فتراه يحسبُ: كم قُتلَ من المسلمين، وكم قتل من عدوهم، ثم يخرج بأن القتالقطعاً غير مشروعٍ. أو تراه يتساءل: هل نجح الفلسطينيون في تحرير أرضهم؟ لا.. إذن لا فائدة من تلك الدماء التي أريقت!

ما لم يفهمه صاحبُ هذا الفقه الآليِّ أن المسلمين وإن عجزوا عن مدافعة العدوِّ الأقوى منهم في مواجهة عسكريةٍ مباشرةٍ، إلا أنهم -في الغالب- قادرون على الإثخان والنكاية فيه بطريقةٍ تجعل قدمه لا تستقرُّ بأرض الإسلام. وهذا اللون من الجهاد هو الذي لم يزل المسلمون يستعملونه وينجحون فيه طيلة عصور ضعفهم. بهذه الطريقة أنهوا حقبة (الاستعمار) في جميع بلاد الإسلام، وبالطريقة نفسها أخرجوا الروس من أفغانستان، وهي الطريقة التي يسلكها الفلسطينيون اليوم، ويحقِّقون فيها نجاحاً ظاهراً. غير أن هذا النجاح لا يبصره من يحصر نظره في عدد القتلى هنا، وعددهم هناك.

من يعرفُ تاريخ القضية الفلسطينية يدرك أن الفلسطينيين عملياً يقفون على أخطر ثغرٍ من ثغور الإسلام، وقد ظلوا منذ عقودٍ يصدُّون عن المسلمين عدواً طاغياً له أطماعٌ تمتدُّ في عمق البلاد

المحيطة به.

دولة اليهود -المدعومة غربياً- نشأت عام (١٩٤٨م)، وقادتها يحملون حلم (إسرائيل الكبرى) التي تمتد من الفرات إلى النيل، وتغطي بلاد الشامِ، مع نصف المملكة الشمالي .. هكذا كانت خططُهم .. أما اليومَ فقد تقلصت أطماعُ أكثرهم وانحسرت في ظل شراسة المقاومة الفلسطينية وصلابتها. وطواغيت الصهاينة: (بيريز، ورابين، وباراك، وأولمرت) صرحوا بتراجعهم عن إسرائيلهم الكبرى، بعدما أدركوا صعوبة ترويض أهل الإسلامِ وإخضاعهم، فخفضوا من تطلعاتهم، وجعلوا غاية مقصدهم تأمين قومهم كي لا يفكروا في الهرب من (أرض الميعاد!) التي تعبوا في تأسيسها لتكون وطناً لهم، مع أن كثيراً منهم يعيشُ داخل مستوطناتٍ محاطةٍ بأسوارٍ كأسوار السجون!

دولة اليهود كانت تستقطبُ المهاجرين من آفاق الأرضِ كي يستوطنوا أرضَ فلسطينَ عوضاً عن أهلها، غير أن ممانعة الفلسطينيين ومقاومتهم نجحت في تخويف المهاجرين وتقليل تدفقهم، ثم أفلحت في إيجاد هجرة معاكسة، فخرج من فلسطين أكثر من ثمانمئة ألف يهودي عائدين لبلدانهم، ولا يزالُ رُبعُ الباقين راغبين في الخروج -أيضاً- ويتمنونه حسب استطلاعٍ نشر في كبرى صحفهم وأشهرها.

وفي إحدى فترات المواجهة كان هناك أكثر من (٢٥٠٠٠) يخرجون كل عامٍ من دولة اليهود مولين الأدبار نحو بلدانهم التي قدموا منها.

ويشيع في صفوف الشباب الإسرائيلي ظاهرة التهرب من الخدمة العسكرية في حين يشتريها الشباب الفلسطينيون ويبحثون عنها، بعدما تربَّى أكثرهم على مفاهيم الجهاد والممانعة.

أضف لهذا كله أثر عمليات المقاومة الضاغط بقوةٍ على اقتصاد دولة اليهود التي لو قُدِّرَ لها الاستقرارُ مع توفر الدعم الغربيِّ لها، لبسطت سلطتها وهيمنتها الاقتصادية على المنطقة أجمع، وبخاصة أن تلك صنعة اليهود التي أتقنوها منذ القدم. غير أن عدم استقرار دولتهم يضعف اقتصادهم، ويضربُ قطاع السياحة، ويخيف الاستثمار الأجنبيَّ، ويرفع نسب البطالة، ويفتح الباب لمزيدٍ من الهجرات المعاكسة خارج فلسطين.

تلك صورة المعركة الكبرى التي أخطأتها عين من يتساءل: ما فائدة صواريخ القسام؟ أو يتعجَّب من الفرح بقتل نفرٍ من الصهاينة يقابله رقمٌ أكبرُ من الفلسطينيين.

النظر للمسألة بهذه الطريقة نظرٌ قاصرٌ. وهذا النوع من القضايا يتداخل فيه النظر الشرعيُّ مع نظر أهل الخبرة والدراية كلٌّ في مجاله. وليس لأحدٍ أياً كان أن ينصب نفسه -أو حتى شيخه- ليكونَ مرجعاً حاسماً في هذا اللون من المسائل.

والمسلمون في عصورهم المتأخرة، وإن ضعفوا من جهة الاستعدادِ الماديِ والمعنويِّ، إلا أن سلاحهم الذي لم يفقدوه: قدرتهم التي لا تنضب على تقديم المقاتل الصلب المقدام الذي يشتري الموت، كما يعشق عدوُّه الحياة.

لأجل هذا المعنى أخبر النبي - ﷺ - أن الأمم سوف تتكالب على المسلمين حين يدبُّ فيهم الوهنُ، ولما سئل عن معنى الوهن قال: (حبُّ الدنيا وكراهية الموت). والذي يريد أن يشيع في الأمة فكرة عجزها المطلق عن المقاومة والممانعة، فهو إنما يحقنها بحب الدنيا وكراهية الموتِ، فيتمكن العدوُّ منها أكثر وأكثر.

على أني هنا لا أتحدثُ عن صاحب رأي يقترحُ (أن من المصلحة تحاشي مواجهة الصهاينة حالياً لعدم التكافؤ في القوةِ)، فذاك رأيٌ سائغٌ لا تثريبَ على قائله إن لم يجاوزه إلى التعميم والإطلاق، أو يحول رأيه هذا إلى مقابلةٍ بين الهدى والضلالِ، أو بين السنة والبدعة، أو يجهدُ في تصوير رأيه على أنه موقفٌ سلفيٌّ نقيٌّ لا يحتملُ اجتهاداً، فلا يعارضه إلا حركيٌّ، أو حزبيٌّ، أو ما شئت من تلك الأسماء والألقاب.

وقد رأيتُ بعض يقولُ ذلك يستشهد بفتيا الشيخ ابن بازٍ -رحمه الله- بجواز مصالحة اليهود صلحاً مؤقتاً عند العجز عن مواجهتهم. وكلُّ من أدرك الشيخ أو قرأ له يعرف أنه إنما كان يتحدثُ عن (جواز)، وليس عن (وجوبٍ)، ثم هو – بعد ذلك- يترك تقدير الموقف لأهله، ولا يتخذ القرار نيابةً عنهم. وهذا مسلكٌ شرعيٌّ يخالف حال من يأتيك اليومَ، ليقرِّرَ ويحكم نيابةً عن الجميع، ثم يجعل رأيه الحق الذي ليس بعده إلا الباطل والضلال، ثم يزيدُ فيرفع يديه داعياً على المتاجرين بدماء الفلسطينيين!

حين أقرأ مثل هذا الكلام أظلُّ أتساءل ماذا يفعل قائله بمواقف أهل العلم الشهيرة طيلة فترة ضعف أهل الإسلام وانهيار قوتهم خلال القرون المتأخرة، وهم يواجهون عدواً يملك من القدرة والعتاد أضعاف ما يملكه الصهاينة اليومَ؟!

بل إني أعجب كيف غاب عن بعض هؤلاء موقف علماء دعوة التجديد السلفية التي ينتسبون إليها؟! ألم يدخل علماء تلك الدعوة المباركة – بتسليحهم المتواضع، وعددهم القليل- في مواجهة مع السلطنة العثمانية، حتى دكَّت بمدافعها عاصمتهم (الدرعية)، وهدمتها فوق رؤوس أهلها العاجزين عن الذبِّ عن أنفسهم!

لو قرأ هؤلاء عن تلك الأحداث هل سيتحدثون عن الحماقة والسفه؟! وهل سيرفعون أيديهم داعين على من تسبب في إراقة دماء المستضعفين؟!

الحديثُ النظريُّ عن ضرورة الإعدادِ حقٌّ لا إشكال فيه، ومثله الكلامُ عن جواز مهادنة العدوِّ عند العجز عن مناجزته. لكن مفهوم (الإعداد)، ومعنى (العجز عن المواجهة) بابٌ فيه سعةٌ للنظرِ والاجتهادِ. فإعداد العدة (المعنوية، والمادية) لمعركةٍ فاصلةٍ تجلي العدوَّ عن الأرضِ وتكسره، يختلف عن إعداد العدةِ لحرب استنزافٍ طويلةٍ تثخنُ العدوَّ وتمنعه من الاستقرارِ والتوسع والتقدُّمِ في بلاد الإسلامِ. وأهل الخبرة والمعرفة يدركون الفرق بين هذا وذاك. وبين الصورتينِ صورٌ أخرى تتباينُ ملابساتها، وتختلف أحوالها بطريقةٍ تمنع من مثل تلك الإطلاقات والتعميمات المتهوِّرة التي تنتهي عملياً إلى منع المسلمين من حماية أنفسهم وأرضيهم.

ولو قُدِّرَ أن بعضَ أهل الإسلام في أيِّ بلدٍ يحتله العدوُّ اتخذوا قرارهم بالمواجهة، ثم بدا لآخرين خطؤهم وتعجُّلهم، فإن هذا لا ينزع المشروعية عن جهادهم، فضلاً عن أن ترتفع الأيدي بالدعاء عليهم بصفتهم متاجرين بدماء المسلمين!

اللهم انصر المجاهدين في سبيلك في غزة، وفي كل أرضٍ، وتحت كل سماءٍ.

يسألونك عن "داعش"

د. محمد أبو رمان – الغد ٢٠١٤/٧/١٣

ما يزال تنظيم «الدولة الإسلامية في العراق والشام» (داعش) يفاجئ كثيراً من النخب السياسية والمثقفة العربية، وحتى الرأي العام، منذ ظهوره السريع في المشهد السوري، ودخوله في مواجهة مع أشقاء الدعوة سابقاً (جبهة النصرة)، وصلت إلى معارك دامية بينهما، وصولاً إلى اللحظة الراهنة من الانتصارات المتتالية السهلة على قوات المالكي والسيطرة على عدد كبير من المحافظات العراقية.

ثمّة أسئلة متعددة تتردد في الأوساط الشعبية والسياسية عن هذا التنظيم. لكن أهمّ هذه الأسئلة تتمثل، أولاً، في طبيعة الخلافات والفرق بينه وبين «القاعدة»؛ فيما إذا كانت أيديولوجية أم تكتيكية. وثانيا، في طبيعة العلاقة مع إيران؛ فيما إذا كان هناك فعلاً تقاطع مصالح أو توظيف متبادل بين الطرفين، أم أنّ التنظيم مجرد «لعبة إيرانية» تستخدم لتحقيق الأهداف المطلوبة بصورة معكوسة، أي من خلال «اختلاق الخصوم»!

تكمن المفارقة هنا في أنّ تنظيم «داعش» وُلد أصلاً خارج «القاعدة»، عندما أسس الأردني

أبو مصعب الزرقاوي جماعته «التوحيد والجهاد» في العراق، بعد الاحتلال الأميركي مباشرة. ثم اضطر الزرقاوي، لاحقاً، إلى إعلان البيعة لأسامة بن لادن، وانضم للقاعدة، بعدما فضح شيخه الروحي أبو محمد المقدسي الخلافات بين الزرقاوي و«القاعدة»، ووجه انتقادات غير متوقعة له.

بالرغم من دخول الزرقاوي للقاعدة وصعود نجمه، في اللحظة التي كان يختبئ فيها قادتها المطاردون عالمياً، إلاّ أنّ بن لادن والمجموعة القيادية أدركوا تماماً أنّ الزرقاوي يسير في خطّ أيديولوجي وواقعي مختلف بدرجة كبيرة عن «القاعدة»؛ فهو أكثر تشدداً وتزمّتاً في النظر إلى الواقع السياسي عبر لونين اثنين فقط؛ أبيض أو أسود، ومجموعته أكثر تشدداً دينياً. وهو يتوسع في عمليات التفجير، وفي التكفير والقتل لمن يختلف معه، ولديه تصور مختلف عن «القاعدة» المركزية في التعامل مع إيران وإعطاء الأولوية لمقاومة المشروع الشيعي، بينما «القاعدة» المركزية تركّز على المفهوم العالمي للصدام وأولوية المواجهة مع الولايات المتحدة الأميركية.

أبقى بن لادن الخلافات مكتومة مع الزرقاوي، ولم يعلنها؛ إذ كان يحاول احتواءه من جهة، وتجنب صدمة الانشقاق والاختلاف داخل «القاعدة» من جهة أخرى. ولم تكن «القاعدة» تشعر بارتياح للصدامات التي دخل فيها الزرقاوي مع الفصائل الإسلامية المسلحة في العراق، ولا الخطوة المفاجئة بالإعلان عن إقامة «الدولة الإسلامية في العراق» على رقعة المحافظات السنية، وتعيين وزراء ومسؤولين، بعد أن بايع الزرقاوي نفسه أمير الدولة.

مع تأسيس «الدولة الإسلامية»، اعتُبرت «القاعدة» جزءاً منها لا العكس. وربما هذه القضية الخلافية ستأخذ لاحقاً صدى كبيراً بين أتباع «القاعدة» و«جبهة النصرة» في سورية وأتباع «داعش»، في النقاش بشأن من هو الذي نقض البيعة من الطرفين. وهو نقاش تترتب عليه في هذا الفضاء الأيديولوجي والديني أحكام واقعية كبيرة، منها «استحلال القتل»!

لم يؤدّ مقتل الزرقاوي إلى نهاية الخطّ الجديد الذي رسمه في مسار السلفية الجهادية وأنصار «القاعدة»، بالرغم من أنّ دولته تراجعت في العراق ودخلت في صدام مع القوى السنية الإسلامية، وبرزت الصحوات في مواجهتها، وكادت أن تتلاشى خلال الأعوام الماضية. إذ إن خلفاءه حافظوا على منهج الزرقاوي بقوة، بينما كان زعيم القاعدة أسامة بن لادن يقوم بمراجعات كبيرة، عشية مقتله، لمسار «القاعدة»، ويحاول الاتجاه نحو قدر أكبر من الاعتدال، ما زاد شقّة الخلاف بين الطرفين.

إذن، سورية كشفت المستور بعدما برزت إلى السطح الخلافات بين «داعش» وبين «القاعدة» (معها «جبهة النصرة»)، لكن بعدما أصبحت «داعش» نفسها على درجة من القوة والتأثير في الأجيال الجديدة، في سورية والعراق وخارجهما، بما قد لا يتوافر لقيادة «القاعدة» نفسها.

داعش ومهمة القضاء على ثورتي العراق وسوريا: خلافة أم "شرق أوسط" جديد؟

مزمجر الشام - موقع العصر ٢٠١٤/٧/٣

قوات النظام تسيطر على المدينة الصناعية في الشيخ نجار بحلب بعد عملية إلتفاف نفذتها مروراً بمواقع تسيطر عليها ميليشيات البغدادي شرق مدينة حلب.

دولة البغدادي تتواطأ مع قوات النظام وتترك أرتاله لتقوم بعملية التفاف على المجاهدين في المدينة الصناعية بحلب.

قوات النظام تسيطر على عدة مواقع قرب بلدة شامر شرق حلب وسط غياب عناصر ميليشيات البغدادي منها ليتمكن النظام بعدها من

السيطرة على الشيخ نجار.

في حلب: من يخدم من؟! هل النظام هو من يخدم داعش بإطلاقه عملية عسكرية ضخمة فور إعلان المجاهدين عن نيتهم تحرير شرق حلب من داعش، أم إن داعش هي من تخدم النظام بتسليمه المناطق، بدءاً من تل حاصل ومروراً بالطعانة وشامر وانتهاءً اليوم بالمقبلة؟! أم هي علاقة تعاون مشترك!

مسلسل تواطؤ دولة البغدادي مع نظام الأسد بدأ منذ تسليمه بلدة تل حاصل الإستراتيجية جنوب شرق حلب، أعقبها تأمين طريق خناصر وتسليم بلدة شامر.

فأصبح ظهر النظام وخاصرته الشرقية التي تسيطر عليها دولة البغدادي آمنة، مما مكنه من تركيز هجماته على حلب والقيام بعمليات التفاف كان آخرها اليوم.

لم يعد مستغرباً تناسق هجمات النظام ودولة البغدادي على الثوار، حتى أصبحت عملياتهم العسكرية ضد المجاهدين مكملة لبعضها البعض ومتناغمة لدرجة كبيرة.

سنذكر لكم أبرز العمليات العسكرية التي تجلى فيها التنسيق العالي بين نظام الأسد وميليشيات البغدادي، الأمر الذي لم يعد يخفى على أحد:

١ - هجوم دولة البغدادي على كتائب الثوار في الساحل وقتل الشيخ أبو بصير قائد كتائب العز بن عبدالسلام أثناء تحضير الثوار لمعركة ضد النظام هناك.

٢ - هجوم دولة البغدادي على كتائب الثوار في محافظة دير الزور بعد ساعات من إطلاق الثوار لمعركة ضخمة بغية تحرير مطار دير الزور العسكري فيها.

٣ - هجوم دولة البغدادي على أحرار الشام وكتائب حذيفة بن اليمان في الرقة، بعد أن أوشكت الفرقة ١٧ على السقوط بأيدي المجاهدين ثم فك الحصار عنها.

٤ - هجوم دولة البغدادي على الكتائب المشاركة في معركة قادمون في البادية، والتي كانت تهدف إلى فك الحصار عن حمص مما أدى إلى إفشالها لاحقاً.

٥ - هجوم دولة البغدادي على مقرات ومواقع جبهة النصرة في محافظة دير الزور بعد إعلان النصرة فيها عن إطلاق معركة لفك الحصار عن مدينة حمص.

٦ - هجوم دولة البغدادي على أحرار الشام وجبهة النصرة في محافظة الحسكة وإجبارهم على البيعة بعد التقدم الكبير الذي أحرزه المجاهدون هناك.

٧ - هجوم دولة البغدادي على بلدات ريف حلب الشمالي ومهاجمة مواقع لواء التوحيد فيها بالتزامن مع تقدم قوات النظام إلى مدينة حلب.

٨ - كافأ النظام داعش - التي لطالما كانت تنقذه من خسائر محققة - بإطلاقه معركة ضخمة في حلب بعد نية الثوار استئصال داعش، فجاء دوره لإنقاذها!

أما في العراق، فقد بدأت داعش هجماتها على فصائل جيش المجاهدين وأنصار الإسلام بالتزامن مع اقتراب المجاهدين من «حزام بغداد» لتكمل دورها هناك!

وقد صدرت عدة تسجيلات صوتية لشرعيين وقادة في داعش يعترفون فيها أن حربهم الآن تستهدف الثوار، وأن مصالحهم تلتقي مع مصالح نظام الأسد في هذه المرحلة.

طالما بقيت ثورات في سوريا والعراق، فإن مصالح داعش تلتقي مع مصالح الأسد والمالكي، وستعود داعش لصحرائها بمجرد إجهاض الثورتين فيها! وهذا دورها.

على مدى عام كامل بقيت مقار ومواقع داعش في سوريا واحة آمنة لا يطالها قصف ولا نسف، وغضت طائرات أمريكا والمالكي الطرف عن أرتالهم القادمة لسوريا.

على مدى عام كامل والمالكي يسمح لداعش بتمثيل مسرحية اقتحام السجون وفكاك الأسرى، كلما احتاجت داعش إلى مدد ورجال إجهاض الثورة في سوريا.

ومن جانب آخر، فإن أمريكا ودول المنطقة التي صنعت الائتلاف المعارض الذي يرفض تقديم أي دعم للثوار في قتال داعش، هي نفسها الدول التي تتوعد بحرب داعش اليوم!!

وإلا لماذا يرفض الائتلاف - الذي صنعته دول المنطقة وأمريكا- تقديم أي دعم للثوار في قتال داعش، بينما يديرون حرباً كلامية عليها في وسائل الإعلام!

أليست الحرب الكلامية التي يشنها الغرب ودول المنطقة على داعش هي «فيتامينات» تقتات عليها داعش في دعايتها لجذب المتنطعين والسذج إليها؟!

لقد كان مشروع تقسيم المنطقة إلى عدة دول على أساس طائفي وعرقي حلم المخابرات الغربية في أواخر القرن الماضي وسعت إليه جاهدة. ولهذا، تعددت أدوات الغرب في مشروعه لتقسيم المنطقة، واللافت اليوم هو دخول فئات محسوبة على الإسلام لتنفذ مخططات الغرب.

لماذا يختفي جيش المالكي من مناطق شمال العراق والحدود مع سوريا في ليلة وضحاها بينما يصمد في سامراء وحول بغداد؟!

لاشك أن في العراق ثورة شعبية، ولكن ليست هذه الجزئية كل الحقيقة، ومن أراد فهم ما يجري فعليه معرفة الحقيقة كاملة.

انسحب جيش المالكي من مناطق شمال وغرب العراق في ليلة وضحاها تاركا إياها تحت رحمة داعش التي أكملت السيطرة على الجانب السوري من الحدود.

أصبحت المنطقة السنية في العراق وسوريا غارقة في الفوضى والحروب بعد أن تسلمتها داعش بينما نال الكرد ما كانوا يتمنوه بضم كركوك إلى الإقليم.

لن تستطيع داعش التعايش مع ثوار العراق وبقية الفصائل، وستسعى إلى قهرهم وإدخالهم في سلطانها، وبهذا تدخل المنطقة السنية دوامة الفوضى والعنف.

زرع داعش في المناطق السنية، والتي تعد مهد للثورات والمقاومة، هو خير وسيلة لإجهاض ثورات الشعوب في العراق وسوريا وضرب كل حركات التحرر فيها.

ويذكر أن سلوك جبهة النصرة في القلمون الحامي لميليشيات البغدادي، وسلوكها الحيادي في الغوطة وإدلب يؤكد أن النصرة ليست كيان منسجم تحكمه قيادة مركزية، حيث أصبحت جبهة النصرة فروعا متعددة (كونفدرالية)، لكل فرع سياسته وتوجهاته، وأصبح الجولاني أميراً فخريا بصلاحيات منقوصة ونفوذ قليل.

ويتحمل الظواهري ومنظرو القاعدة من أمثال المقدسي وأبو قتادة جزءاً من المسؤولية عما وصل إليه حال جبهة النصرة اليوم بسبب الضبابية والتذبذب.

الخطابات الناعمة والمواقف المتناقضة والضبابية لقادة القاعدة ومنظريها تجاه داعش أوجدت شرخا بين فروع النصرة في سوريا وجعلها تتخبط في موقفها.

فأصبحنا نرى ثلاثة تيارات في النصرة:

- تيار يخوض حرباً دامية ضد داعش في الشرق،
- تيار يحمي داعش في الجنوب،
- تيار يلتزم الحياد في الوسط.

وقد رفض فرع جبهة النصرة في محافظة إدلب وحماه الدخول مع داعش في حرب وإرسال إمدادات لجنود النصرة في الشرق وتتصل مراراً من معركة فك الحصار عنهم.

كما رفضت بعض ألوية الجبهة الإسلامية الاشتراك أيضاً، هذه معلومات نقولها لله ثم

للتاريخ بعد أن وصلنا إلى مرحلة ما عاد يسعنا فيها السكوت.

وأثبتت التجارب الأخيرة أن الفصائل التي تنتمي للمدرسة «السلفية الجهادية»، هي أقل الفصائل نجاعة في مقاتلة الخوارج والوقوف في وجه إجرامهم.

ماذا لو دخلت (دولة الخلافة) إلى غزة؟

د. عماد الدين خيتي - موقع نور سورية ٢٠١٤/٧/١٢

النقطة الأولى: مقتطفات من كلمة أبو عمر البغدادي في كلمته (الدين النصيحة) يقول فيها:

«إن المنظمات المسلحة التابعة لجماعة الإخوان المسلمين وخاصة في هذه الحقبة، وعلى رأسها حماس - حاشا المخلصين من أبناء القسام- هم في الحقيقة خانوا الملة والأمة، وتنكروا لدماء الشهداء ... فكانت النتيجة قتل واعتقال معظم المخلصين من حملة السلاح، على أيدي اليهود وعملائهم من سلطة الخيانة».

ويكمل أبو عمر البغدادي في كلمته (الدين النصيحة) في ابراز ملامح خيانة حماس قائلاً:

«وملامح خيانة قيادة حماس تتبلور في نقاط منها:

أدخولهم العملية السياسية في ظل دستور وضعي علماني وعلى أساس اتفاقيات أوسلو، والتي تخلت عن أكثر من ثلاثة أرباع أرض فلسطين.

بالاعتراف الضمني بإسرائيل باعترافهم بشرعية السلطة الوطنية التي قامت على أساس اتفاقيات أوسلو، واعترافهم بشرعية رئيسها العلماني المرتد عميل اليهود المخلص.

جتصريحهم باحترام القرارات الدولية الصادرة عن الأمم المتحدة ،ومجرد الاعتراف بالأمم المتحدة هو اعتراف بقانونها الوضعي وبدولة إسرائيل العضو فيها.

ددخولهم في حلف عجيب مع الأنظمة المرتدة، وخاصة في مصر وسوريا، متنكرين لدماء إخوانهم في مجزرة حماة ... فالتحالف مع الرافضة النصيرية في سوريا بدعوى تحرير فلسطين هو خيانة كبرى...

هخذلانهم للمجاهدين جميعاً بل والموافقة الضمنية على قتل وتشريد أهل التوحيد، ومن ذلك قولهم في موسكو: «إن مسألة الشيشان شأن داخلي» وتصريحهم: «أنهم لا علاقة لهم بالجهاد في العراق، ولم ولن يضربوا فيه طلقةً واحدة».

وقولهم: «إنهم لا يسعون إلى أسلمة المجتمع» ولذا لم يطالبوا بأن تكون العملية السياسية وفق الشريعة، أو بتحكيم الشريعة عند وجودهم في الحكومة ولم يحكموها بعد سيطرتهم الكاملة على غزة.

زعداؤهم المفرط للسلفية الجهادية، وخاصة في الوقت الحاضر ومحاولتهم الجادة والمستمرة لإجهاض أي مشروع قائم على أساس سلفي، وحكاياتهم مع «جيش الإسلام» معروفة وقصة الصحفي البريطاني أشهر من أن تعرف، وبلغنا أن جيش الإسلام كان على وشك الحصول على مكاسب جيدة من بريطانيا، قبل تدخل حماس في المسألة.

«إطلاقهم لحرمة الدم الفلسطيني ولو أتى الزندقة من مائة باب، كالبهائي المرتد عباس وغيره..»

أما عن الحل برأيه فيوضحه أبو عمر البغدادي في نفس الكلمة بقوله :

«ألا فليعلم أهلنا في فلسطين أن أول الحل هو الجهاد، وتحت راية التوحيد الصافية لا يفرقون بين قتال الأبيض والأسود بين الكافر اليهودي والمرتد الفلسطيني، فلا فرق بين أولمرت ومجرميه، وبين عباس وعصابته بل هم أولى... الصنف الآخر الهام الذي يجب أن يستهدف بقوة وخاصة رؤوسهم هم الرافضة ».

ثم يستطرد أبو عمر البغدادي في وضع الحلول

قائلاً :

« ومما يعين أهلنا على جهادهم ضد الحملة اليهودية – المجوسية وعملائهم:

أولاً: أن يسعى أهل الرأي والخبرة من أبناء المنهج السلفي إلى تنظيم جهودهم، وتشكيل جماعة سلفية المنهج والمعتقد، تضع على عاتقها عبء تصحيح المسار ... وجعل المرتد الفلسطيني له حرمة الدم بينما يغض الطرف عن دم المجاهد الشيشاني ويعتبر شأناً داخلياً.

ثانياً: أن يعلن أبناء كتائب القسام المخلصين انفصالهم عن حركة حماس، وعزلهم لقيادتها السياسية الفاسدة المنحرفة...

ولم لا؟ فإخوانهم في حماس العراق والحزب الإسلامي والجيش الإسلامي يقاتلون اليوم جنباً إلى جنب مع حامل الصليب ضد أهل الصليب...

ونهنئ الأمة بنجاة قاهر الصليب وفارس بلاد الشام، شاكر العبسي، نسأل الله أن يجعله للجهاد إماماً في تلك البلاد، فما سمعنا عنه إلا خيراً، فهو صاحب منهج وعزيمة وصدق، أسأل الله أن يفتح على يديه...»).

النقطة الثانية: أما عن نظرة (دولة الخلافة) إلى القوى الموجودة، يتبين لنا من النقل السابق:

١- الحكم على السلطة الفلسطينية بالكفر والردة؛ لحكمهم بالديمقراطية والعلمانية وموالاة اليهود.

٢- الحكم على قادة حماس وسلطتها السياسية بالكفر والردة؛ لحكمهم بالديمقراطية والعلمانية، وموالاة السلطة الفلسطينية المرتدة، والحلف مع الشيعة والنصيرية، والعمل ضد المجاهدين الصادقين.

٣- وصف جماعات الغلو والشذوذ الفكري والعقدي (شاكر العبسي مثلا) بأنها مثال العقيدة السليمة والجهاد الصافي الذي ينبغي أن يحتذى ويدعم.

النقطة الثالثة: آلية عمل (دولة الخلافة) لو استطاعوا الدخول إلى غزة أو وجدوا لهم موطئ قدم:

١- العمل على شق صف تنظيم حماس وإنهاء وجوده، ومحاولة استمالة الأعضاء (الصادقين) فيه إلى تنظيمهم، يقول: « أن يعلن أبناء كتائب القسام المخلصين انفصالهم عن حركة حماس، وعزلهم لقيادتها السياسية الفاسدة المنحرفة... فعلى أهل الحكمة والخبرة منهم أن يسعوا إلى ذلك، وفق حركة دعوية دؤوبة في أوساط شباب القسام تضمن عدم تخلف أحد منهم، مستعينين بالسرية والحنكة اللازمة، واضعين سيطرتهم على أكبر قدر ممكن يعينهم على الجهاد من الرجال والعتاد، سالكين كل الطرق الشرعية المؤدية إلى ذلك، فلم تفلح مع هذه القيادة المنحرفة كل أساليب النصح والدعوة السرية منها والعلنية»!. وغني عن القول أن حماس هي من يقف ضد العدوان الإسرائيلي!

٢- الضغط باتجاه إدخال (المهاجرين) غير الفلسطينيين إلى داخل فلسطين: « إن قضية الأقصى قضية إسلامية، تهم كل مسلم، ولا يمكن حصرها أبداً في قومية مقيتة، أو وطنية قبيحة، ومهما حاول تجار الأقصى أن يسكتوا كل صوت يريد الحق ويدعو إليه، وأن كل مسلم مسؤول عن تحرير الأقصى». وكذلك غني عن القول ذكر سيئات هذا الفعل وما فيه من الإخلال بالتركيبة الاجتماعية بدعوى (الكفر بصنم الوطنية). !

٣- توجيه القتال إلى كل من: السلطة الفلسطينية، وقيادات حماس (المرتدتين المنحرفين) بزعمهم، وقتال الشيعة الذين بدأ لهم وجود قليل في المجتمع الفلسطيني، بل إن قتالهم أولى من اليهود: « لا يفرقون بين قتال الأبيض والأسود بين الكافر اليهودي والمرتد الفلسطيني، فلا فرق بين أولمرت ومجرميه، وبين عباس وعصابته بل هم أولى».

٤- إعلان الحرب والبراءة على الدول العربية المحيطة (مصر، سوريا...إلخ).

٥- إعلان الحرب والبراءة على الأمم المتحدة ودول العالم.

النقطة الرابعة: ما هي استراتيجية التنظيم في قتال اليهود؟

ذكر أبو عمر البغدادي في كلمته: «حديثنا اليوم عن رؤيتنا لحسم الصراع مع اليهود في أرض المحشر والمنشر» وقد علمنا استراتيجيته في الصف الفلسطيني، فما هي استراتيجيته ضد اليهود؟

كل ما ورد في كلمته هو هذا:

١- تعلق بالأمور الغيبية وأحاديث آخر الزمان: «الصراع معهم قائم إلى أن يقاتل معنا الحجر والشجر، وتسفر المعركة عن نصر للدين وأهله».

٢- وصف تاريخي لقيام إسرائيل: «إن إسرائيل دولة قامت على أساس ديني، فهي دولة دينية ويكذب من يدعي أنها دولة علمانية أو أنها علمانية استغلت الدين، وإنها جرثومة خبيثة زرعت في جسم الأمة يجب أن تجتث، وإن وقع معها الخونة آلاف معاهدات الاستسلام».

٣- تجريم جميع اليهود: «لا فرق عندنا بين اليهودية والصهيونية، وحصر الصراع مع الصهاينة هو تقزيم خبيث متعمد، فصفات اليهود التي نص عليها كتاب الله ممتدة عبر التأريخ، يتوارثونها جيلاً بعد جيل..».

٤- ثم توجيهات ونصائح لدور الأمة في دعم الجهاد الفلسطيني!

٥- وأخيرًا قال: « أما عن دور الدولة الإسلامية في بلاد الرافدين لتحرير فلسطين!!!

فإنا نحسن الظن بالله وندعوه أنه كما كانت دولة نور الدين الشهيد هي حجر الأساس لعودة الأقصى إلى أحضان الأمة، ثم دخله تلميذه صلاحُ الدين فاتحاً في معركة حطين؛ كما دخله الفاروق عمر - رضي الله عنه- فإنا نسأله سبحانه ونأمل أن تكون دولة الإسلام في العراق هي حجر الأساس لعودة القدس.

ولقد أدرك اليهود والأمريكان ذلك، فحاولوا صدنا بكل وسيلة عن هذا الهدف، وما الحملة الشرسة على الأنبار والفخر الزائد بضعف العمل فيها، إلا لعلمهم أنه يسهل قصف إسرائيل من بعض مناطقها وبصواريخ متوسطة المدى! وكما فعل الهالك صدام تلبيساً على الأمة، ولأنهم يعلمون أن بعض هذا الصواريخ لا تزال موجودة، كما أنه يمكن تصنيعها ما دامت إصابتها ليست نقطوية، وما جريمة تشكيلات الإخوان في بلاد الرافدين، وخاصة حماس العراق والحزب الإسلامي والجيش الإسلامي وتشكيلهم لصحوات الردة وجهودهم المضنية لإخراجنا من الأنبار، وبعقود مباشرة مع الأمريكان إلا لصدنا عن نصرتكم ولو عن بعد، ولكن أبشروا وأملوا فإن القادم خير بعون الله، فلن يصدنا عن الحق تثبيط متخاذل، ولا عمالة خائن وإنا مع ذلك، مستعدون لدعمكم بكل ما نملك من قليل المال، كما إننا مستعدون لتدريب كوادركم، بدءاً من العبوات وانتهاء بتصنيع الصواريخ، وقبل ذلك نحرض أطفالنا ونسائنا وأبنائنا ألا ينسوكم من سهام الإصابة، دعوةٍ بظهر الغيب، وأخيراً نعترف بالتقصير ونسأل الله الغفران والتوفيق».

عودة إلى كلام عاطفي، متعلق بالمستقبل، مبني على أمجاد غابرة، مع استدعاء لأحاديث ونصوص فتن آخر الزمان، وتنزيلها على تنظيميهم، ثم التفاتة سريعة إلى لطمية أن الأعداء يكيدون لنا ألا نصل إلى فلسطين!

وقد قال قبل ذلك: «أما عن الحل:

«أولاً: ينبغي أن نعلم أن ما بنته الجاهلية في سنين طويلة يستغرق وقتاً لهدمه، أضف لذلك إقامة بنيان راسخ لا تأخذ فيه الرياح».

فالاستراتيجية هي إنهاء التنظيمات الموجودة بحجة قتال المرتدين، وترسيخ حكمهم و(دولتهم)، ونشر فكرهم، أما قتال الأعداء من الكفار الأصليين فيأتي لاحقًا!!

فهل لعاقل أن يتساءل: ألم تكن هذه استراتيجيتهم في العراق وسوريا؟؟

هل تصمد خلافة البغدادي طويلا

حسن أبو هنية – موقع عربي ٢٠١٤/٦/٢١

إعلان الخلافة هو السلسلة الأخيرة من حلقات استراتيجية الفرع العراقي المتمرد على تنظيم القاعدة المركزي، وهي الغاية النهائية لتحقق الرسالة الجهادية في التاريخ المشخص، وإذا كان تنظيم القاعدة يقوم على بناء شوكة النكاية من خلال تنظيم عسكري طليعي نخبوي لا مركزي عبر سياسات دفع الصائل استنادا إلى مفهوم الجهاد الدفاعي، فإن الفرع العراقي المتمرد يقوم على تبني شوكة التمكين من خلال فرض السيطرة المكانية من خلال تنظيم أمني مركزي وجيش هجين تقليدي حداثي مركب عبر سياسات إدارة التوحش استنادا إلى مفهوم الجهاد الهجومي.

سلوك الفرع العراقي المتمرد يقوم على استراتيجية الصدمة والمفاجأة، فعندما أعلن أبو بكر البغدادي في التاسع من نيسان/ إبريل ٢٠١٣ عن تأسيس «الدولة الإسلامية في العراق والشام» ظن كثيرون أن مسألة الإعلان عن قيام الدولة مسألة دعائية وهمية، ولا تتعدى حدود العوالم الافتراضية، إلا أن العالم تبدّل بعد أن استيقظ فجر الثلاثاء ١٠ يونيو/ حزيران، ٢٠١٤، على وقع صدمة سقوط مدينة الموصل في محافظة نينوى على يد التنظيم، وبات يتحدث عن دولة حقيقية في حيز العوالم الواقعية، ولم يكد المجتمع الدولي يستفق من آثار الصدمة حتى ظهر الناطق باسم الدولة أبو محمد العدناني في ٢٩ حزيران/ يونيو ٢٠١٤ مع دخول أول أيام شهر رمضان معلنا قيام دولة «الخلافة».

خطوة الإعلان عن تأسيس دولة الخلافة لم تكن مغامرة عشوائية، وجاءت كخطوة استباقية إلى الأمام لمواجهة أحد أهم التحديات التي واجهت التنظيم والتي كانت تعمل على تصدعه، ففي الوقت الذي يشدد التنظيم أيديولوجيا على كونه يمثل حركة أممية إسلامية عابرة للحدود، فإنه يمارس عمليا «عرقنة» التنظيم، فمعظم قيادات التنظيم الفاعلة على مستوى القيادة عراقيون، الأمر الذي كان ينذر بتفجر الخلافات بين الجهاديين العرب والأجانب الإسلاميين المعولمين الذين لا يكفوا عن بعث رسائلهم المهددة لدولهم الأصلية بالعودة فاتحين، وقد أظهر سلوك التنظيم مفارقة ظاهرة في تعامله الناعم مع خصومه في العراق وتعامله الصلب مع خصومه في سوريا، وقد حاول التنظيم رأب الصدع بالتوجه نحو تنفيذ عمليات مسلحة في لبنان للحفاظ على حالة التنشيط الهوياتي الطائفي في مواجهة إشكاليته البنيوية في العراق وسوريا.

لا شك أن إعلان قيام الخلافة أعاد التوازن لاستراتيجية التنظيم، وعمل على جلب مزيد من الأعضاء والمناصرين، وحمل أشد أعدائه في الفضاء السلفي الجهادي وتنظيم القاعدة على التزام الصمت مؤقتا وانتظار تطورات المشهد، فقد عمل التنظيم على بناء استراتيجية فعالة، تقوم على تقديم مبادرات متلاحقة للتخلص من نقاط ضعفها البنيوية وإشغال أعضائها بديمومة الجهاد والقتال، فقبل أن تطفو التساؤلات داخل شبكة تنظيم الدولة من الجهاديين العرب والأجانب المعولمين عن المعايير المزدوجة للتنظيم والنهج المختلف في التعامل الليّن مع جبهة العراق والصلب مع الجبهة السورية، قطع الناطق باسم الدولة أبو محمد العدناني في ٢٩ حزيران/ يونيو ٢٠١٤ مع دخول أول أيام شهر رمضان الجدل معلنا عن طريق تسجيل صوتي بعنوان «هذا وعد الله» عن قيام دولة «الخلافة»، وتنصيب أبو بكر البغدادي إبراهيم عواد البدري خليفة للمسلمين، فبحسب العدناني: «اجتمع مجلس شورى الدولة الإسلامية، وتباحث هذا الأمر، بعد أن باتت الدولة الإسلامية بفضل الله تمتلك كل مقوّمات الخلافة، والتي يأثم المسلمون بعدم قيامهم .. فقررت الدولة الإسلامية، ممثّلة بأهل الحل والعقد فيها؛ مِن الأعيان والقادة والأمراء ومجلس

الـشورى: إعــلان قيــام الخلافــة الإســلامية»، ولم يقتصر الأمـر علـى مجـرد الإعـلان بـل تعـداه إلى فرضـه علـى كـافـة القـوى والجماعـات، فقـد حـذر العـدناني الجميـع بقولـه: «وننبّـه المسلمين: أنـه بـإعلان الخلافـة؛ صـار واجبًـا علـى جميـع المـسلمين مبايعـة ونـصرة الخليفـة إبـراهيم حفظـه الله، وتبطـل شـرعيّة جميـع الإمـارات والجماعـات والولايـات والتنظيمـات، الـتي يتمـدد إليهـا سـلطانه ويـصلها جنـده»، لا يقـف الأمـر عنـد التنبيـه بـل يـصل حـد القتـل، فالعـدناني يتوعـد أنـصار التعدديـة بقولـه: «ومَـن أراد شـق الـصف: فـافلقوا رأسـه بالرصـاص، وأخرجـوا مـا فيـه، كـائنًـا مَن كـان، ولا كـرامة».

في اليـوم التـالي لتـنصيب أبـو بكـر البغـدادي خليفــة للمــسلمين، أصـدر البغـدادي خطابـا أشـبه بحالـة الخلافـة وبيـان أحـوال المسلمين دعـا فيهـا إلى الامتثـال والهجـرة لـدار الإسـلام والخلافـة قـائلا: «يـا أيهـا المـسلمون في كـل مكـان مـن اسـتطاع الهجـرة إلى الدولـة الإسـلامية فليهـاجر فـإن الهجـرة إلى دار الإسلام واجبة».

وفي الوقـت الـذي صـدرت فيـه فتـاوى عديـدة مـن هيئـات وجماعـات وحركـات إسـلامية سياسـية وجهاديـة ودعويـة تـستنكر الإعـلان عـن قيـام دولـة الخلافـة، وتـستند إلى عـدم اكتمـال الـشروط الفقهيـة الـشرعية، ومـن أهمهـا غيـاب «الـتمكين»، وجهالـة حـال أبـو بكـر البغـدادي، ظهـر «الخليفـة» لأول مـرة صـوتا وصـورة خطيبـا للجمعـة في مـسجد الموصـل الكـبير في الـسادس مـن رمـضان قاطعـا الجـدل والـسجال حـول شخـصيته ووجـوده، الأمـر الـذي وضـع الجماعـات الإسـلامية الـسياسية والجهاديـة في حـرج شـديد وكـشف عـن تنـاقض أطروحاتهـا المتعلقـة بتطبيـق الـشريعة ووجـوب استئناف الخلافة.

لكــن خلافــة البغــدادي لا تلتفــت إلى أطروحـات الإسـلام الـسياسي والـدعوي باعتبارهـا اجتهـادات بدعيـة كفريـة متواطئـة مـع النظـام الحـداثي الـديمقراطي، وهـي مـسكونة بهـاجس تنظـيم القاعـدة خـصوصا والفـضاء الـسلفي الجهـادي عمومـا، وتـأتي خطـوة إعـلان الخلافـة كمعركـة نهائيـة مـع القاعـدة، فدولـة البغـدادي لا تلتفـت للآخـرين مـن خـارج البيـت الـسلفي الجهـادي فهـم بـين الكفـر والـردة والبدعـة والعمالـة، فبحـسب العـدناني: «تبًّـا لتلـك الأمـة الـتي يريـدون جمعهـا؛ أمـة العَلمـانيين والـديمقراطيين والـوطنيين، أمـة المرجئـة والإخـوان والسرورية».

خلاصـة القـول أن الإعـلان عـن قيـام دولـة الخلافـة مـن قبـل تنظـيم الدولـة أحـرج الإسـلاميين عمومـا، والـسلفيين خـصوصا، وكـشف عـن ضـعف الاجتهـاد الفقهـي المتعلـق بمفهـوم الدولـة، فهـي تنـاهض الإعـلان عـن قيـام الخلافـة مـن داخـل النـسق الـسياسي التقليـدي المتعلـق بفقـه الأحكـام الـسلطانية وقاعدتيـه الأساسـيتين: «مـن اشـتدت وطأتـه وجبـت طاعتـه»، و«سلطان غشوم خير من فتنة تدوم».

في هـذا الـسياق لا يتمتـع «النمـوذج الـسلطاني» بـالقبول والاستحـسان شـعبيا في المنطقـة، ولا يمكـن أن يحظـى نمـوذج خلافـة البغـدادي بحواضـن دائمـة في العـالمين العربـي والإسـلامي علـى المـدى المتوسـط والبعيـد، فهـو يتحـصن بحواضـن مؤقتـه تقـوم علـى اسـتثمار العامـل الهويـاتي إبـان الفوضـى والتـوحش والأزمـات، ولا يـشكل نهـج التنظـيم المتـصلب نظريـا وعمليـا جاذبيـة لـشعوب المنطقـة علـى صـعيد الحكامـة، ولا يدشـن نموذجـا تطبيقيـا ممكنـا بالعقـد والاختيـار وفـق نمـوذج الخلافـة التـاريخي الإسـلامي، فهـو يعتمـد تـراث الاحكـام الـسلطانية المستندة لفقـه التغلـب والـشوكة عـبر فـرض سـيطرته المكانيـة بـالقوة في أمـاكن رخـوة ومأزومـة، وبهـذا لـن يـتمكن التنظـيم مـن الـصمود طـويلا بخمـسة عـشر ألـف مقاتـل ولا يـستطيع الـسيطرة علـى مـساحات شاسـعة، وكتـل سـكانية كـبيرة تنـشد حيـاة فـضلى تتجـاوز الأطـر الـسياسية التقليديـة، وتنـشد العدالـة والحريـة والحكامـة الرشـيدة، لكـن التنظـيم قـادر

على زعزعة الأمن والاستقرار الهش والمحافظة على «إمارة توحش» مؤقته، في ظل غياب رؤية إقليمية ودولية تعالج الأسباب الموضوعية العميقة لمشكلات المنطقة التي باتت غارقة في سياسات «الهوية» والتحشيد الطائفي والخراب الاقتصادي والفساد السياسي والظلم الاجتماعي.

حول شبهات المتعاطفين مع دولة البغدادي (داعش)[1]

حمود بن علي العمري

لقد اغتر بعض الشباب بشبهات المتعاطفين مع دولة البغدادي ورأى بعضهم فيها حججاً لاتقبل النقض، فأحببت التعليق على بعضها فمنها:

١- الشجاعة والإقدام الذي يوجد في رجال داعش، وهذا الإقدام يدل على إيمان ويقين فأقول أما دلالته على إيمان ويقين فربما، لكن إيمان بماذا؟

فإن الإيمان واليقين ربما دفعت صاحبها إلى الإقدام ،ولكن هذا لا يدل على صحة ما يؤمن به، فكم تجد من صاحب إيمان ببدعة من أشجع الناس في سبيلها وتاريخ الخوارج زاخر بذلك، بل وحتى التتار الذي مسحوا الأرض ذبحاً وقتلاً، فهل كان ذلك ليشككنا في ضلالهم، وأين شجاعة قطري وابن الأزق... والمختار، وابن تومرت وغيرهم عبر التاريخ، ممن تتقاصر في جانبهم شجاعة الشجعاني، بل الذين حاصروا عثمان وقتلوه كانوا من أشجع الخلق، وهم منهم.

فلا تغتر أخي بشجاعة المقاتل حتى يكون الحاكم لك وله الكتاب والسنة، التي كانت تقيد شجاعة الصحابة والسلف، فلا يتجاوزونها ولو كان هواهم في غيرها، وكان حديث (الإيمان قيد الفتك) هو معيارهم، فكم يحجم أحدهم حين يأمره الشرع بالإحجام وهو يريد الإقدام، لأنه يصرف هواه إلى أمر الله ورسوله.

ولعلك تذكر تلك الطلبات من عمر وخالد وغيرهما، حين يطلبون الإذن من رسول الله لضرب عنق من بدرت منه بادرة كفر أو نفاق، فلا يتجاوزون أمره ونهيه، فهذا والله الجهاد الذي يراد به وجه الله، وهذه والله الشجاعة التي تدل على نزاهة صاحبها ودينه وورعه، أما بلا ذلك فهو قاطع طريق مقدام على ذلك، فهذا جواب هذه الشبهة الأولى باختصار شديد أوجبه ضيق المقام.

٢- أما الشبهة الثانية التي يلبّس بها أتباع البغدادي على الناس فقولهم: لقد أطبق العالم على معاداتهم كما فعل المشركون برسول الله وأصحابه وليس ذلك إلا لأنهم على الحق، كما كان حال الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه حين رماهم الناس عن قوس واحدة، وستكون العاقبة لنا كما كانت لهم.

والجواب عن هذه الشبهة من وجهين، أولاً: لا نسلم لكم بهذه الدعوى، فإن المجاهدين يُقصفون في كل تجمع وفي كل خندق، وأنتم تستعرضون قواتكم ليل نهار، وهذا أميركم يخطب جهاراً نهاراً، وأنتم تزعمون أن المطلوب الأول عند الشرق والغرب، فهل كان ابن لادن أو الظواهري سيخطب كخطبته ثم يخرج سالماً؟!

وهذه جموع الدواعش تستعرض في العراق والشام، وقد غطت براميل الرافضة الجو والبر، ولم يسلم منها كبير ولا صغير، فمادلالة ذلك عندك أخي المتعاطف بل انت أخي المتعاطف تعلم يقيناً أنكم تنسقون وتجمون الدعم وتتكلمون في مختلف الدول، والمخابرات على علم بذلك، وأنتم تكفرونهم، ومع ذلك !!!! وأنتم ترون الدعاة يُعتقلون لعشر معشار فعلكم، وأنتم تسرحون وتمرحون وتدعمون وتكفّرون، ثم تزعمون أن العالم رمتكم عن قوس واحدة؟!

أما لو سلمنا لك بذلك، فإن مجرد عداوة الناس لك لا تدل على صوابك ولا عدمه، فقد عادوا

---

(١) هذا المقال هو في الأصل حوالى ٥٠٠ تغريدة على توتير.

القذافي في شرقاً وغرباً ولم يكن ذلك تزكية له ولا مدح عليه، ولن تجد أخي المتعاطف دليلاً يدعم نظريتك هذه، فإن الحق يعرف بدليله وليس بكثرة الموافقين أو المخالفين، ولو تأملت في وضع داعش ومن يخالفها فستجد أن أمة الإسلام من علماء ودعاة ومفكرين وعباد وعامة لم تُجمع من قرون على أمر كما أجمعت على مخالفة داعش ومنابذتها والتخلي عنها، فهل كانت هذه الجموع من الأمة بمختلف مشاربها وتوجهاتها ومصالحها، لتجمع على مخالفة داعش وهي على الصراط المستقيم!؟

فلا تغرنك أخي المتعاطف هذه الدعوى، فهي كذب في ذاتها ولو صحت لم يكن فيها دلالة على ما يرمون إليه، وإنما هي من التهويش بالدعاوي لا أكثر، فلم يكن رسول الله وأصحابه يحددون الحق بكثرة المخالفين أو قلتهم، بل عرفوا الحق من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فلا تُخدع بذلك، هذا جواب هذه الشبهة باختصار.

٣- الشبهة الثالثة قولهم:الدولة الإسلامية تريد أن تطبق شرع الله، وتقيم الخلافة الإسلامية وهذا هو حُلم الأمة من أزمان مديدة، فلماذا تقفون في وجهها وتحاربون هذا المشروع الإسلامي العظيم، وهو حلم لكل مسلم، ولا يكرهه إلا منافق وعميل.

فأقول جواباً على هذه الشبهة: ما أسهل الدعاوى، وما أعسر الحقائق، لقد سمعنا هذه الدعوى الكبيرة من كثير من الطواغيت، فلم تزدنا بهم إلا بصيرة، ولن يكون البغدادي بمجرد دعواه أحسن حالاً منهم، بل أقول ما أشبه الليلة بالبارحة، فهذه هي دعوى الخوارج الأولى لما خرجوا علي أمير المؤمنين، بل أعجب من ذلك، إنها دعوى جد الخوارج ذي الخويصرة حين اعترض على حكم رسول الله ﷺ في غنائم حنين، فهي دعوى كاذبة ظالمة.

فهم يريدون تطبيق فهمهم للشرع وليس حقيقة الشرع كما يفهمه العلماء على منهاج السلف وطريقتهم في الاستدلال، وإلا فكل مبتدع يزعم التمسك بالقرآن، فإن قلتَ: هذه محاكم دولة البغدادي في كل بلدة يسيطر عليها، تقيم شرع الله وتطبق الحدود وتحكم بين الناس، فهل تقارن ذلك بحكومات الطواغيت!؟

فأقول: أما الحكم بين الناس بشرع الله فقد طبقه كثير ممن تكفرونهم وتصفونهم بالطواغيت، فهم يقيمون المحاكم بين الناس ويأخذ الناس حقوقهم من بعض، بل هم أفضل منكم في ذلك، بكثرة محاكمهم وكفائة قضاتهم بلا مقارنة مع شبابكم الذين قلدتموهم القضاء وكثير منهم من أجهل الناس بالأحكام القضائية، بل إن الظلم في محاكم تلك الدول أقل منه في محاكم البغدادي، بسبب جهل قضاته أو ضعف الرقابة عليهم، فأي فضل للبغدادي في فتح محاكم تشوه شرع الله.

أما من جهة أخرى فإن محاكم البغدادي أسوء حالاً من محاكم الدول التي يكفرها هو وحزبه، وذلك أن أبرز ما تتبز به تلك الأنظمة عدم نزولها للشرع ليس في آحاد الناس بل في رموزها وقادتها، وهذا ما نقمه المجاهدون على البغدادي وزمرته وقادته، فإنهم تنكبوا شرع الله في أنفسهم وذويهم وليس في الأموال فقط، بل في أخطر المظالم وهي الدماء، فكم اتهم الناس البغدادي وجماعته بالقتل والظلم والتعدي على الأموال والدماء، وكم نادوا بالتحاكم إلى شرع الله، والبغدادي يقول تحاكموا إلى شرعي ومحاكمي وقضاتي، فقلي بربك أي فرق بينه وبين أشد الطواغيت الذي يكفرهم هو، فتمنعه عن تحكيم شرع الله على نفسه وحزبه، إما أن يكون لعدم كفاءة غير قضاته، أو لعدم عدالة غيرهم أو لعدم إسلام غيرهم، فأيّن كان الجواب، فهو يبين لك منزلة الأمة عند البغدادي وحزبه، وقد بينت الأحداث في الشام قيمة قضاء البغدادي واستخفافه بالدماء

وأحكام الردة بالريحة.

وهل سمعتم حكماً على قائد من قادته، على كثرة تجاوزاتهم وتعديهم وظلمهم، وما قصص أبي أيمن العراقي عنكم ببعيدة، فمن يأمن هذا القضاء الظالم!

ولست أقول هذا بسبب سماعي عنهم، بل بسماعي منهم في مقاطعهم وبياناتهم التي يخرجونها بعد جرائمهم، وتكييفات شرعييهم التي تضحك المحزون، فوالله لن تجد طالب علم أو من شم القضاء وعرف بعض أحكامه إلا يعجب كل العجب من تلك المهازل التي تقيمها تلك المحاكم الهزليلة الهزيلة، فلسنا والله نكره أن يطبق شرع الله في شبر من الأرض، لكن شرع الله وليس شرع الطواغيت، بأي شعار وأي صورة، فلا تغرنك أخي الشعارات فهي السراب، هذا تعليق مختصر على هذه الشبهة ، وهي تحتمل أكثر من هذا.

٤- الشبهة الرابعة قولهم: لكل من ينكر عليهم تعدياتهم وتجاوزاتهم: لماذا لا تنكرون على الحكام؟ ويقولون: أنتم تسكتون أو تجاملون أو تطبلون لطواغيت قد حاربوا الإسلام والدعاة وسجنوا المصلحين، فكيف نقبل نقدكم في الدولة وأميرها وقادتها؟!

وللجواب على هذا التلبيس نقول: قد كذبتم ثم صدقتم كذبتكم هذه، فلا نعلم عالماً أو داعية ممن تنبزونهم بالسرورية إلا وهم نصحة للخاصة والعامة وقد تكبدوا في سبيل ذلك كثيراً من السجن والتضييق والمتاعب، وقد أخذوا من السجن أكثر مما أخذتم، لكنكم تريدون نواعاً خاصاً من الإنكار، فهم على منهج السلف في إنكارهم وأمرهم ونهيهم، ولا ينكرون على طريقتكم بالتكفير والتفجير والإفساد، فهل أصبحت طريقتكم معياراً للأمة تحذوها؟!

وليتك أخي تتبع طُرق الإنكار على الظلمة عبر التاريخ، فستجد طريقتين، طريقة سلفية نهجها الصحابة ومن بعدهم من الأئمة، وطريقة المبتدعة الخوارج، وليس من شرط العالم الصادق أن ينكر كل منكر، فإن هذا أمر لا يطيقه أحد إلا أصحاب المعرفات الوهمية التويترية، وإنما كل مسلم ينكر ما يستطيع، ولم أجد أحداً في تاريخ المسلمين استطاع أن ينكر كل منكر في زمانه، وإنما العبرة في عدم تسويغ ذلك المنكر وشرعنته، ثم إنكار ما يمكن إنكاره.

وهذا شاهد ذلك في شرعيي البغدادي وقضاته، لم نجد لهم حرفاً في إنكار جرائم البغدادي وقادته وحزبه، خوفاً أو مداهنة، إلا أن تقولوا بعصمتكم، ولقد رأينا من الواقع أن محاكم تلك الأنظمة التي تكفرونها، تخرج الدواعش من سجونها أسراباً وتعتقل كثيراً ممن تسمونهم سرورية، فأيهما أظلم؟!

إن العلماء الصادقين ينكرون المنكر بلا منكر ويأمرون بالمعروف بالمعروف، وأنتم تريدون أن تنزلوا سواد الأمة على طريقتكم ومنهجكم مع جهلكم، ولو فرضنا صحة دعواكم، بأن من ينكر على صاحب منكر لا يقبل منه حتى ينكر كل منكر سواه، فمن سينطبق عليه هذا الشرط، من الأولين والآخرين !!؟؟

والله ما هذه إلا حيلة شيطانية للتنصل من كل محتسب عليكم، وإذا أغلقتم باب الحسبة عليكم فالويل والثبور لمن يفعل ذلك، لقد اتخذ إلهه هواه، وهذا ما دعاكم لرفض المحاكم المستقلة بهذه الحيل الشيطانية، مع أنه لو دعاك يهودي للتاحكم لشرع الله لوجب عليك أن تجيبه، فكيف بمسلم!!؟؟

إن رفضكم نصح الناصحين بهذه الدعاوي، لم نسمعها والله من أصحاب الأنظمة الذين تكفرونهم، بل كم سمعت من ذهب لنصح بعضهم فكان أحسن جواباً منكم، إن أصحاب الأنظمة ملوكاً وزعماء يتفاوتون في خيرهم وشرهم ولا ندافع عن أحد منهم بل كل منهم له وعليه بين مقل ومستكثر، بل بعضهم هو مارق من الدين، لكن العبرة في العالم الصادق في طريقة التعامل معهم حسب شرع الله ودينه وليس حسب المصالح

الشخصية والمواقف الخاصة، كما تفعلون من حيث لا تشعرون ألم تتركوا استهداف إيران لمدة عقود لأجل مصلحة الجهاد بزعمكم، فلماذا تنكرون على شيوخ المصالح كما تزعمون، ألستم ترفضون نقد البغدادي علانية، فما الفرق بينكم وبين الجامية، مع أن أميركم يظهر من الشعارات الإسلامية ما لم يظهره عمر بن عبدالعزيز، وهو أبعد الناس عنها، ولا زلت أذكر حين كتبت بياناتي الخمسة عن دولتكم، كم راسلتموني على الخاص، وطلبتم مناصحته سرا وعدم النقد العلني، ثم تعيرون من يطبق ذلك مع غيركم، هذا بعض البيان لهذه الشبهة الرابعة.

٥ - الشبهة الخامسة قولهم: لا تجعل خصمك مجاهداً أو شهيداً، يحتج عليك يوم القيامة وهو يحمل رأسه.

وهذه حجة عاطفية، لا تحق حقاً ولا تبطل باطلاً، فليس الجهاد أو الشهادة أعظم حرمة من التوحيد والإسلام، ومع ذلك لم يكن التوحيد أو الإسلام مانعاً من النقد والاحتساب عليه، بل أعظم من ذلك، فقد عاتب الله نبيه على ما لم يرضه منه سبحانه وتعالى، ثم الصحابة من بعده فقد اشتد الرسول ﷺ على بعض الصحابة في أمور لا تبلغ عشر معشار جرائم البغدادي وحزبه، ولم تكن صحبتهم وفضلهم وسابقتهم وجهادهم ما نعة من ذلك، وهذه بدعة داعشية بامتياز، وهي العصمة لكل من حمل بندقية حتى ولو كانت موجهة إلى صدور المسلمين بله المجاهدين، فبأي دليل منعتم نقد المجاهد!؟

وهذا والله من أثر الجهل بالنصوص وبسيرة رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام، وإلا فأي جهاد كجهاد خالد، ثم يقال له: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد، وأين فهمكم للجهاد من فهم عمر حين لبب خالد بثيابه وجره إلى أبي بكر ليحكم فيه بحكمه، ولم يقل خالد: يا عمر لا تجعل خصمك من قاد عشرات المعارك وأينكم من موقف رسول الله ﷺ من أسامة بن زيد حين تأول في قتل رجل كان كافراً وأجرم في خيار الصحابة، ثم يأتيه من العتاب على قتله ما جعله يقول: حتى تمنيت أن لم أكن أسلمت إلا هذا اليوم. فكيف لو رأى رسول الله ﷺ ما تأولتم فيه من قتل لخيار القادة والمجاهدين!؟ بالمئات وأين نقد بغداديكم من محاسبة عموم المسلمين لقادة الجهاد العظام الذين فتحوا الأمصار وجندوا الجنود، وكانوا حصناً للأمة وللدين ثم لم يكسبهم ذلك حصانة، بل مع فضلهم فقد نقدتهم الأمة واعترضت على تصرفاتهم التي تخالف الشرع، كما فعل ابن عمر وابن عوف مع خالد يوم بني جذيمة، ولولا ضيق المقام لذكرت أمثلة عديدة من نقد السلف الكبار من صحابة ومن بعدهم، لقادة الجهاد الذين شهد بفضلهم القاصي والداني، أم أنكم استثناء!

ولعل أحدهم يقول: لو كان ما تفعلونه نقداً ونصحاً لقبلناه، ولكنه تخوين وتبديع ورمي بتكفير لهؤلاء المجاهدين، فكيف يقبلون منكم !؟ فأقول: جواباً على هذا التلبيس: لقد رأيت أكثر من ينقدكم اليوم بشدة ويحذر من شركم، في بداية نقدهم لكم، كانوا أرفق بكم من الوالدة بولدها حتى أصابتهم الأذية من هذا الترفق بكم، لكن ذلك الرفق وللأسف لم يزدكم إلا غياً وتمادياً في دماء المسلمين والمجاهدين وأموالهم وتلبيساً عليهم ولقد اتخذتم من ذلك الترفق، ذريعة لتمرير كثير من باطلكم وبغيكم، حتى أصبح التعاطف معكم مشاركة في إجرامكم، وتحرج كل محب ومتعاطف معكم في ذلك.

بل والله لقد رأيت من بغيكم على المتعاطفين معكم عند أول مخالفة لهم معكم، ما لم نره إلا من الرافضة والليبرالين وأضرابهم، فأين دينكم وجهادكم!؟ حتى أصبح سكوت العلماء عنكم مطلباً لكم، لتمرروا من التلبيس ما لا يعرفه أكثر الناس، وأصبح الناصحون من العلماء والدعاة لا يرون سعة في السكوت، ثم إن هذه الشبهة التي

تلبسون بها وهي (لا تجعل خصمك شهيداً أو مجاهد) ترتد عليكم بأشد مما رميتم به أضعافاً مضاعفة، وليس مثل دعواكم بل أشد، فكم سيخصمكم من شهيد قتلتموه بأتفه الحيل، ومجاهد كفرتموه بأمر هو لديكم أضعافا مضاعفة، وكم سيخصمكم من عالم صادق خونتموه ثم كفرتموه، فضلاً عن عشرات الدعاة وطلبة العلم وعموم المسلمين الذين لم تتركوا لهم من حرمة الإسلام صغيرة ولا كبيرة ، فما هي حجتكم لهم يوم القيامة!!؟؟ ولا مخرج لكم من ذلك إلا بتكفير كل من خالفكم حتى لا يبقى لهم حق ولا حرمة - وهذا ما يفعله بعضكم بل كثير منكم- ثم تتباكون حين ترمون بالخوارج، وكل من يتابع معرفاتكم ومقاطعكم وكلمات رموزكم، يقطع بأنكم لا ترون مجاهداً ولا موحداً حقيقة إلا أنتم، فهل زاد عليكم الخوارج بشيئ!!؟؟

هذا ما يتعلق بهذه الشبهة، وهي تحتمل أكثر من هذا الجواب، لكن يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق.

٦ - الشبهة السادسة هي ردهم على من اتهمهم بأنهم خوارج،

فقالوا : هذه أصول الخوارج معلومة - التكفير بالكبيرة، إنكار الشفاعة، عدم العمل بالسنة، تعطيل الصفات، الإمامة في غير قريش) فأي أصل وافقناهم فيه، والحقيقة أن هذه الشبهة قد اغتر بها حتى بعض طلبة العلم، بل بعض من يخالف الدواعش، يقول: لا يصح وصفهم بأنهم خوارج لعدم قولهم بأصول الخوارج.

وللجواب على هذه الشبهة نقول: ليس من شرط نسبة أحد إلى فرقة أو جماعة بدعية، أن يقول بكل أصولهم وفروعهم، بل يكفي أن يوافقهم في أهم أصولهم، فمن سب الصحابة فهو رافضي، ولو لم يلتزم أصول الرافضة كاملة من عصمة الأئمة وغيرها، ومن عطل بعض الصفات سمي معطلاً ولو أثبت كثيراً من الصفات، بل إن تسمية المعطلة بمختلف درجات تعطيلهم جهمية، معروفاً عن كثير من الأئمة، مع أنهم لا يوافقون الجهمية في كثير من أصول الجهمية البدعية، وإذا أردنا معرفة أهم أصول الخوارج، فهي الأوصاف التي ذكرها رسول الله ﷺ في عشرة أحاديث في صحيح مسلم وبعضها في البخاري، وليس الأوصاف التي لحقت بهم بعد ذلك، والتي أخذوها من المعتزلة أو غيرهم، فلو كانت تلك الأوصاف التي وافقوا فيه الفرق الأخرى هي أهم أصولهم لم يحذر الرسول منهم ويترك تلك الفرق البدعية التي هي أصل تلك البدع، فلم يصح في فرق من النصوص التحذيرية ما صح في الخوارج، بسبب ما تفردوا به، فكيف نتجاهل الأوصاف الواردة في النصوص، ونذهب لأوصاف بدعية هم فيها فرع وغيرهم أصل، ولو كانت تلك الأوصاف هي المقصودة لكان التحذير من الأصل، فحري بنا معرفة أوصافهم التي وصفهم بها رسول الله أولاً، وليس الأوصاف التي اكتسبوها بعد ذلك من المدارس الكلامية، وسأذكر هنا أبرز تلك الأوصاف:

فأول أوصافهم تلك الحال التي أتى عليها جد الخوارج الأول حينما اعترض على رسول الله، بقوله: (اعدل يا محمد) **إنه الاعتراض على طريقة الحكم** حتى ولو كان الحَكم رسول الله ﷺ ، والمتتبع للفكر الخارجي اليوم يجد هذا معلماً في سياستهم وتفكيرهم وتعاطيهم مع كل من سواهم، وما أمر المحاكم المستقلة عنا ببعيد، فكم تحايلوا ليسقطوا شرعية كل حكم لا يخرج من دهاقينهم، ولم نجد لهم قبولاً لحكم مهما كان ذلك الذي حكم، بل إنها هي أول ما هوش به الخوارج في طورهم الثاني على عثمان رضي الله عنه حتى أهدروا دمه، بدعاوي الظلم وتولية من ليس أهلاً في نظرهم القاصر، أما في طورهم الثالث وهو خروجهم على علي رضي الله عنه، فأشهر من أن تذكر، إنها زوبعة الحاكمية وليس التكفير بالكبيرة كما يعتقد بعض المخدوعين، فهذا وصفهم الأول، وقد اقتفيتم سيرهم قذة بقذة، ولو لم يكن إلا هذا لكفاكم مشابهة للخوارج، ولكفانا مسوغاً لوصفكم بأنكم من الخوارج،

لقد اعتمدت الخوارج الأولى على مسائل الحاكمية وشغبوا بها حتى على رسول الله وخيرة الخلفاء من بعده وجلة أصحابة حتى أصبح من أسماءهم المحكمة، ومن يتابع أطروحات الدواعش والمتعاطفين معهم يجدهم لا يكادون يخرجون عن هذه القضية، حتى كفروا بسببها كثيراً ممن خالفهم في بعض فروعها، هذا ما يتعلق بهذا الوصف.

الوصف الثاني والثالث فهو ما ذكره الرسول في قوله (حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام)

ولا يشك أحد أن غالبية الدواعش يدورون بين هذين الوصفين أو بهما، بل الحقيقة أنهم تميزوا بهذا الوصف، فلا تكاد تجد فيهم صاحب سن أو صاحب علم أو صاحب سابقة، فقد نابذهم أصحاب السن والعقل والسابقة حتى بعض من كان يوافقهم في بعض أفكارهم وأطروحاتهم، لم يستطع الاستمرار معهم، لشدة غلوهم، وتفرد حدثاء الأسنان فيهم بالرأي والقرار الخداج وليس سراً أنك لا تكاد تجد في شرعيي داعش صاحب سن أو رسوخ علمي أو رأي عميق، عفواً عن غير الشرعي، أما عامة الأتباع والمتعاطفين فحدثاء الحدثاء، أما السفه في الأحلام فأشهر من أن يذكر، ولا عليك أخي إلا أن تنظر لردودهم وردود المتعاطفين والمتعاطفات معهم، على العلماء عفواً عن غيرهم فإذا خالفهم عالم أو صاحب سابقة في العلم أو الدعوة أو حتى في الجهاد، فانظر لردودهم عليه، وكيف يستحلون منهم كل محرم، حتى كأنهم يتكلمون عن يهودي أو عن منافق معلوم النفاق بوحي من الله، ولك عبرة في نقاشهم مع نخبة من العلماء الذين لا يحسبون على أي جهة وكيف كفروا بعضهم وبدعوا وفسقوا، وكيف استخفوا بهم وبعلمهم، واتهموهم بالعمالة للمخابرات وغير ذلك من التهم التي لا تصدر إلا من سفهاء أحلام، ألم يقل كبير المتعاطفين معهم والمنظر لأتباعهم ناصر الثقيل عن الشيخ البراك يستتاب من كلامه في الدستور المصري، فأي سفه بعد هذا السفه، أما كلامهم عن العلامة الطريفي الذي عرف فضله القاصي والداني في العلم والدعوة والاحتساب ومناصرة الجهاد، لكن انظر لقيمته عند الدواعش بل انظر لكلامهم عن رموز كانوا يقدسونهم ويعظمونهم ولهم من السابقة ما ليس للدواعش مجتمعين، مثل كلامهم عن رموزهم السابقة المعظمة لديهم سابقا مثل كلامهم عن الظواهري والجولاني وأبي مارية القحطاني والمقدسي والقنيبي والمحيسني وغيرهم ممن لا يمكن أن يتميزوا عليهم بشيئ في جهاد أو غيره وليس كلامي في خلافهم مع غيرهم، وإنما كلامي في طريقة خلافهم مع غيرهم من أهل الفضل والسابقة، وكيف ينطبق عليه أنه خلاف سفهاء الأحلام حقيقة، أما خلافهم مع عامة المسلمين من طلبة العلم وعامة، وعامة المجاهدين، فشيئ مهول والله، فهم يستحلون قذف مخالفهم وشتمه وتخوينه وتكفيره وحتى قتله، ومن يرد شواهدا على ذلك فهو يعيش خارج التغطية، فإن جولة في مجالسهم أو مواقعهم أو معرفاتهم أو مقاطعهم وجرائمهم المصورة تبين ذلك بجلاء، لقد فرضوا على أنفسهم قطيعة عامة مع سواد الأمة عامتها وخاصتها، مما أورثهم هذا الحال الذي كان عليه الخوارج الأولى، وهو تفرد حدثاءهم بالأمر، ومن إعجازه ﷺ أنه وصفهم بهذين الوصفين المقترنين في النص وفي واقعهم عبر العصور، فإن المجتمع الذي يغلب عليه حدثاء الأسنان لا بد أن يكون طابعه العام سفه الأحلام، فلا يرعون لصاحب حق حرمة، ولا يعرفون لصاحب سابقة سابقته، فهذا وصفهم النبوي يتحقق فيهم كالشمس فهل يحق لأحد أن يزعم أن أوصاف الخوارج لا تنطبق عليهم ؟! بل هي والله كما ذكرها ﷺ حذو القذة بالقذة، فهذا هو وصفهم الثاني، ولمزيد من التوضيح لهذه الصفة الفارقة، انظر لمفردات القذف والتكفير والتفسيق والتخوين والتسفيه، لعموم رموز الأمة علمياً ودعوياً وفكرياً

في أطروحاتهم المختلفة، بل إن تكرر كلمة الردة والمرتد ومشتقاتها في خطاباتهم وبياناتهم تفوق أي كلمة أخرى، وهذا نتيجة طبيعية للسفهه أحلامهم هذا ما يتعلق بهذه الصفة، **بل هي صفتان مقترنتان متلازمتان في النص وفي الواقع**، ووالله لقد رأيت من فجورهم مع خصومهم مالم أره إلا من الرافضة، فهذه ثلاث صفات ذكرها رسول الله ﷺ، وبينا أن تحققها فيهم أوضح من الشمس في رابعة النهار.

الصفة الرابعة والخامسة للخوراج الواردة في صحيح السنة وهي (يقولون من خير قول البرية، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية)

فهذه صفتان وقد وردت في الصحيحين، فأما الصفة الأولى وهي أنهم يقولون من خير قول البرية، وهذا تحذير نبوي حتى لا تغرنا العبارات والشعارات حتى نرى العمل، فمن صفات الخوارج العبارات الرنانة (تطبيق الشريعة، الجهاد، رفع الظلم، الولاء والبراء) إلى آخر تلك العبارات التي لن تكون أحسن من عبارات سلفهم التي نادوا بها في وجه الرسول ﷺ ووجه عثمان وعلي وبقية الصحابة وهي شعارهم إلى اليوم، كلمة حق يراد بها باطلاً كما وصفها علي، وهذه خطابات البغدادي والعدناني وبقية حزبهم، تسمع فيها من خير قول البرية، فلما تدعوهم إلى تطبيق تلك الدعاوي فإذا هي علقم على المسلمين، وهذه الصفة الخارجية هي التي غرت كثيراً من الشباب والمتعاطفين معهم، وقد سمعت ذلك من بعضهم مرارا، لأن المسلم بطبيعته يميل لقول الله ورسوله، بل من العجيب أن تجد من المصادفات اللطيفة، بعض العبارات في خطابات الدواعش هي بعينها في خطب الخوارج الأولين، وكذلك البدع تتعانق ولو بلا قصد فالمطالبة بالعدل، من العبارات التي تأسر النفوس وتدغدغ المشاعر، لكن لا تنس أنها قيلت من سلفهم المارقين لرسول الله ﷺ فهل ستغرك عند ذلك! وكذلك حين تسمع قول العدناني: فأعدوا للصحوات - وهم من خالفهم- المفخخات والكواتم ووووو، وهذا ليس في حق النصيري بل المسلمين، فإنك تتذكر قول سلفهم وهم يحمسون بعضهم لقتال خير أهل الأرض، علي وأصحابه، قوموا إلى الرواح، قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض فهل يغرك بعد ذلك، قولهم ولو كان من خير قول البرية، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق؟! إن القول الجميل لا يكفي حتى يتبعه فعل جميل، فهذا القول الجميل من الخوارج والاجتهاد في العبادة لم يمنعهم أن يمرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فلا تخدع أخي بخطاباتهم وخطبهم ولعل بعضهم أن يقول: وهل نسكت عن القول الخير حتى لا نشابه الخوارج؟! فأقول إن الذم لم يكن للخوارج على قولهم الجميل، وإنما على تطبيقهم، فبعد أن قالوا من خير قول البرية، فعلوا أفعال شر البرية، فخدعوا الناس بالبيان، وذبحوهم عند التطبيق وأخرجوهم من دين الله أفواجاً وهذا عين ما يفعله الدواعش اليوم، فخُطب عظيمة، وخطبهم على المسلمين أعظم، فما من عالم ولا داعية ولا فصيل مجاهد ولا جماعة إلا يشتكي شرهم فهل حجَزهم كلامهم عن قتل المسلمين والمجاهدين وعن تكفيرهم وتفسيقهم وتخوينهم، حتى أصبح كل من يخالفهم في أرض الجهاد صحوات وهي مرادفة للردة عندهم، فهذه هي الصفة الرابعة والخامسة وهي مقترنتان في الحديث وفي الواقع، القول الجميل والفعل القبيح، فالقول يغر السفهاء، والفعل يعتبره العقلاء.

ومن هذه الصفة تخرج الصفة السادسة لهم، وهي ما رواه البخاري عن ابن عمر قال (انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين)، فتسمع الكلام والاستشهاد وذكرهم للنصوص، فإذا هو من خير قول البرية، فإذا تأملت مقاصدهم، فإذا هو إخراج للمسلمين من دين الله أفواجاً فعندهم هذا مرتد وهذا كافر وهذا منافق وهذا عميل وهذا صحوات، وكلهم حلال الدم والمال والعرض، ويخاصمونك بأدلة نزلت في

الكفار والمنافقين، فلسنا بحاجة بعد ذلك لنحاقق في مسألة كلامية هل هم يكفرون بالكبيرة أم لا، بل الواجب النظر في تطبيقهم وليس في تنظيرهم، فهو الذي ورد به النص فلا تغتر أخي باستشهاداتهم حتى تسمع كلام العلماء في دلالة تلك الأدلة حتى لا يخدعوك بذكر أدلة وحشدها على مسائل لا تدل عليها، فالعلم العلم فهذا ما يتعلق بالصفة السادسة الثابتة في حق الخوارج الأولين وهي في الدواعش كالشمس في رابعة النهار، ومن عرفهم وخالطهم لم يخف عليه أمرهم.

أما الصفة السابعة فهي ماورد في الحديث الصحيح (يحقر أحدكم صلاته إلى صلاتهم وصيامه إلى صيامهم) لكن النتيجة أنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم، فهذه الصفة هي العبادة على جهل حتى يغتر بعبادته وتغرّه نفسه ويحتقر الناس ثم يفسقهم ثم يكفرهم ثم يستحل قتلهم فإذا هو خارجي بامتياز وهذا والله ما رأيته من بعضهم، فهو يلتزم اليوم ويتتلمذ غداً ويتمشيخ بعده، ويتوغل في العبادة بما يغر به من حوله، وعبادة الجاهل داء عضال، وسبحان الله كيف ورد التحذير منهم، مهما ظهر لنا من حالهم في العبادة أو حسن الكلام أو الشجاعة والإقدام حتى لا يغتر به قليل العلم والمعرفة، ومع ذلك لا زال شبابنا ينخدع لأحوالهم ويغتر بأقوالهم وكأنهم لم يسمعوا تلك النصوص الواردة فيهم، وقد كان سلفهم أكثر عبادة، ولم يغتر بهم السلف، وناقشني والله من اغتر بعبادة بعضهم، وقال: كيف تبدعهم وقد جلست معهم أهل عبادة وقرآن وذكر، فقلت له:ما زدتني فيهم إلا بصيرة، ألا تنظر لفعلهم! ومن تأمل حالهم وأوصافهم الواردة على لسان الصادق المصدوق، وجدها شبه متلازمة، فحديث السن إذا تفرد بالأمر وغر من حوله بقوله وعبادته كانت النتيجة سفه الأحلام، وذلك بالتجني على كل من يخالفهم وانتهاك حرماتهم، وتجاهل حقوقهم، وحتى سفك الدماء، فأي سفه أشد من هذا السفه!؟

فهل بعد هذا يعترض معترض على وصفهم بأنهم خوراج! وقد رأيت أخي كيف انطبقت عليهم تلك لأوصاف الواردة في النصوص، ولم نقل فيهم مالم يثبت عليهم، وقد اعترض احدهم بقوله: أليس أصحاب محمد ﷺ من حدثاء الأسنان، وكان هذا من أسباب سخرية الكفار بهم، فأقول له: أولاً: ليس وجود حدثاء الأسنان في صفوف المجاهدين أو الدعاة أو طلبة العلم هو الوصف الذي أراده ﷺ، بل المقصود تفردهم بالأمر كما تجده عند الخوارج في القديم والحديث، المحذور تفرد هؤلاء الحدثاء وتسفيههم لأهل العلم والرأي والسابقة، واعتقادهم في أنفسم الكمال كما نراه منهم جلياً، إن الحدث إذا كان في سواد الأمة وتحت رأي أهل العلم والفكر والرشد، كان وقوداً لعزة الأمة وخيرها، فإن تفرد أفسد هذا ما يتعلق بهذه الصفة.

الصفة الثامنة وهي (أيأمنني الله على أهل الأرض فلا تأمنوني)، هذا قول الأمين ﷺ لأولهم حينما خونه في قسمته، إنه التخوين، وهذا حالهم اليوم وعبر تاريخهم، التخوين، وهم يبدأون بالحكام حتى لا ينكر عليهم أحد، لما في الحكام من كثرة الخيانة، ثم يتدرجون في التخوين حتى يصلوا إلى تخوين العلماء قليلاً قليلاً حتى يصل بهم الحال إلى تخوين كل مخالف لهم، مهما كان فضله وعلمه وجهاده، وانظر لوصفهم للمجاهدين، فإذا كان سلفهم خون من أمنه الله، وخونوا عثمان وعلي، فما عسى أحفادهم اليوم يفعلون في عموم المسلمين، ومن يخالفهم في جرائمهم ومجازرهم، فلا تغرنك أخي عباراتهم الرنانة في تخوين المخالفين لهم، فقد قالوها لأمين الله على دينه ووحيه، وقالوها لخيرة الخلق بعد الأنبياء، الصحابة، هذا هو الوصف الثامن لهم يطابقون فيه سلفهم بلا مرية، فاحذر أخي المسلم والمجاهد أن يستجرك أهل البدعة لبدعتهم وقد حذرك رسول الله منهم.

الصفة التاسعة الواردة في الخوارج وهي تنطبق على تنظيم داعش فهي قوله (يقرءون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم) وهذا في صحيح مسلم وهذه والله قاصمة الظهر، حينما يحسب الشاب الغر الذي لم يحصل من العلم ما يبصره، فيقرأ الآيات يظنها له وهي عليه وعلى منهجه وحزبه وجماعته ولعل أحدهم يقول: وكيف جعلت هذا الوصف علينا، وربما تكونوا أحق بهذ الوصف، وهل تريد أن تسد علينا الاستدلال بآيات الله حتى لا نكون من الخوارج!

فأقول: ليس الأمر كذلك رحمك الله، فإن هذا الوصف مرتبط بوصف سابق وهو تفرد حدثاء الأسنان بالأمور، حتى أمور تنزيل النصوص، فوقعوا في هذا المزلق، عند ذلك تتكامل فيهم أوصاف الخوارج بشكل لا يمكن انفكاكهم منه، وهذا والله إعجاز نبوي، وقد رأيت أحدهم يعترض ويقول: يكفينا الكتاب والسنة، وهذه كلمة حق والله لو عرفوا فقهها، وهل جهد الأئمة سلفاً وخلفاً إلا لفهم هذين الأصلين!!؟ ثم يقول أحدهم: لا تحتاج مع الكتاب والسنة إلى شيئ فقلي بربك أي فهم سيحصله شاب من كتاب الله وهو لم يحط بعلم آلة ولا علم غاية!؟ أي تسطيح للعلم والشرع أكثر من هذا، لكنه غرور الشباب وجهله، وهذا الأمر كان نتيجة حتمية لتخوين العلماء وتسفيههم، حتى أغلقوا على أنفسهم باب الانتفاع من العلماء والاستفادة منهم في كيفية فهم النصوص حتى استقل هؤلاء الشباب بتفسير النصوص ثم تطبيقها ثم تنفيذ ما توصولوا إليه من أحكام، وهي والله كما في الحديث يحسبونها لهم وهي عليهم، كم رأينا والله من هذا عجباً، فهل يعي شبابنا هذا المزلق الخطير، ويعودوا إلى العلماء وإلى سواد الأمة ولا يغتروا ، فمراجعة الحق خير لهم.

الصفة العاشرة التي رأيت توارد الخوارج الأولى والدواعش اليوم عليها فهي (سيماهم التحليق) وهذه الصفة هي من الشبه التي يهوّشون بها فهي مع أنها من صفاتهم كما في الحديث، فقد اتخذها خوارج اليوم مبرراً لهم من صفات الخوارج، فقالوا نحن على النقيض من ذلك، فلا نكاد نحلق، فالتحليق مع أنه سمة الخوارج الأولين، لكن التحلق في حد ذاته ليس هو الأهم، بل الأهم هو أنهم يجنحون إلى التميز عن الأمة فكراً وفعلاً وحتى شكلا، فهذا الشعور بالتفرد والتوحد عن سواد الأمة هو المذكور في هذا النص وفي غيره، لأن هذا يعكس حالة مرضية عند صاحبه، يوصله إلى احتقار من سواه ففي الحديث الآخر (من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب مذلة) وغيرها من النصوص التي تدعو إلى الدخول في عموم المسلمين وسوادهم ما دامو على السنة وهذا ما فقهه السلف فكانوا يجنحون إلى تطبيق السنن التي لا تشهرهم ولا تميزهم عن عموم المسلمين، كما كان يفعل بعضهم في تقصير الثوب وعدمه، إن محاولة التميز والتمايز عن صفوف الأمة وسوادها وشعاراتها ومظاهرها، مدعاة للتميز عنها في عقيدتها وفكرها، وهذا ما وقع فيه الخوارج الأوائل فقد تميز الخوارج الأوائل عن الأمة بالظاهر وذلك بالتحليق ونحوه من التقشف المبالغ فيه، فلم يلبثوا أن تميزوا عنها بالفكر والمنهج، ثم السيف وهذا ما نراه اليوم في الدواعش وفي كثير من المتعاطفين معهم أو يحمل فكرهم، بإطالة الشعور المبالغ فيها، ولبس السواد وطريقة اللثام ووو وليس لهم في ذلك أثارة من سنة أو أثر، وإنما هو مرض التمايز عن سواد المسلمين، وأنا هنا لا أمتدح التحليق أو الشعر أو أذمهما فهما مجرد ظاهرة، إنما المقصود الدافع إلى ذلك التميز، ثم أثره النفسي بعد ذلك وأثره الفكري والمنهجي والسلوكي، الذي أورث أمراضاً معضلة وانحرافات خطيرة وإذا أخذنا في الاعتبار أن أكثر من يتأثر بهذه التميزات هم شريحة الشباب حدثاء الأسنان، فإنك تجد هذه الظاهرة وهي حب التميز في الصالح وغيره فلا تعجب من هذا في الشباب الصالح، فهو أثر لهذه المرحلة العمرية وربما طال به هذا الأثر

كما نراه في غير الصالحين، من تتبع للموضات والتقليعات وأذكر أن أحدهم حدثني وهو من أعقلهم، قال: كنا في السجن إذا رأينا أحد الشباب وقد أطال شعره، قلنا بيننا: هذا المنهج، إعجاباً بفعله وشكله، وارتباط هذه الصفة وهي العاشرة بما قبلها من الصفات مهم لمعرفة النسق الفكري لهذه المجموعات في القديم والحديث، وإدراك هذا الإعجاز النبوي **هذه هي الصفة العاشرة وهي من وجه آخر الشبهة السابعة للدواعش الذي ظنوا أن عدم وجود التحليق فيهم يكفي لإخراجهم من الخوارج، وهذا جهل كبير، هذا مايتعلق بالوصف العاشر الذي وافق فيها خوارج اليوم خوارج الأمس، وهي كذلك شبهتهم السابعة.**

٨ /٩- الشبهة الثامنة وهو الوصف الحادي عشر الذي وجدته للخوارج في النصوص، ووجدتها تنطبق على الدواعش اليوم، وهي أنهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، وقد لبسوا على أتباعهم بذلك، فقالوا: هذا وصف الخوارج ونحن إنما نقتل أهل الصليب والرافضة وعباد القبور والمرتدين، فأين حالنا من وصف الخوارج الوارد في الحديث؟!

وللجواب على هذه الشبهة، لابد من ذكر شبهة أخرى حتى نجيب على الشبهتين معا، **الشبهة التاسعة والوصف الثاني عشر للخوارج، وهو قولهم الخوارج يكفرون مرتكب الكبيرة**، فهل وجدتم في للدولة بياناً تكفر فيه بالكبيرة؟!

فأقول: لم يرد في نص واحد مما صح في وصف الخوارج أنهم يكفرون بالكبيرة، فالعجب ممن يترك الأوصاف الواردة في النصوص الصحيحة ويذهب إلى كتب الفرق، فإن قالوا: فهل تريد أن تلغي هذا الوصف عن الخوارج؟! فأقول: ليس كذلك وإنما أقول: إن هذا الوصف وقع متأخراً عن ظهورهم، فهم لم ينطلقوا منه وإنما غلوا في بعض أحكام الدين وبالغوا في النكير على من خالفهم فيها حتى أوصلهم غلوهم، أن أصبح حالهم تكفير أصحاب المعاصي الكبائر، فأول أمر كفّروا به علي ومعاوية وبقية أصحابهما، لم يكن تخريجاً عندهم على تكفير صاحب الكبيرة ، وإنما غالوا بعقولهم القاصرة في هذه المسألة، ولم ينكر عليهم الصحابة انطلاقاً من هذا الأصل البدعي، بل أنكروا عليهم جعل مسائل من فروع الدين أو من مسائل الاجتهاد، جعلوها من الأصول التي يكفر عليها، وهذا هو عين ما يقع فيه خوارج اليوم - داعش- فليسوا يؤصلون لتكفير أصحاب الكبائر ولكنهم جعلوا ما ليس مكفراً مكفراً فكفروا به، ومن أشهر ما كفّروا به في السابق واللاحق، مسائل من الحاكمية وجعلوه باباً مطرداً، وجميع المخالفة فيه ردة بمختلف صورها المكفرة وغير المكفرة بل وحتى مسائل الاجتهاد منها، كفّروا المخاف فيها، وسيأذكر لها مزيد تفصيل بإذن الله في فقرة مستقلة، وكذلك فعلوا في باب الولاء والبراء، فجعلوها وجهاً واحداً، وأحكامه ردة حتى في صور لا تصل إلى الكفر والردة، بل في صور منه هي من مسائل الاجتهاد، إلى غير ذلك من الأبواب فلا تجد في النصوص ولا في خطب الخوارج الأوائل، النص على تكفير صاحب الكبيرة، وإنما واقعهم وتطبيقهم أوصلهم إلى ذلك، فجعله العلماء من أصولهم فلما أصبح الخوارج فرقة كلامية لها تنظيرها، التزموا ذلك كما تجده في كتب ورثة الخوارج نظرياً وهم الإباضية، فالعبرة بالتطبيق والواقع، وهذا هو حال الدواعش اليوم حذو القذة بالقذة، فلم يصرحوا بكفر صاحب الكبيرة، لكنهم جعلوا ماليس مكفراً مكفراً، ثم كفروا به، فإذا النتيجة واحدة.

فلا تغتر أخي بقولهم: أين وجدتم أن الدولة تكفر بالكبيرة؟! فإن هذا لا وجود له حتى في خطب نافع بن الأزرق وشبيب الخارجي، وإنما النظر في واقعهم، إذا تبين لك هذا الجواب على هذه الشبهة الشيطانية، أيقنت أنهم أحق الناس بهذا

الوصف الوارد في كتب الفرق، الذي أصبح من أشهر أوصافهم وأحوالهم، وهنا يتبين الجواب عن الشبهة السابقة ذكرها وهي أنهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، فهذا وصف من كلام الصادق ﷺ ، فإن قلت كيف ذلك، قلت لك لقد رأينا وسمعنا من بياناتهم الرسمية مرات ومرات، أن قتال المرتدين وتفجيرهم أولى من قتال الكافر الأصلي وهو أمر مشهور ومعلوم من خطبهم وبياناتهم وتطبيقهم وهو الأهم، ولن يخبرك عن واقعية هذا الأمر أصدق من الفصائل المجاهدة التي رأت منهم تطبيقا لذلك، فهي كما ذكر الله، خطوات الشيطان، فهم كفّروهم حتى يخرجوا من حرج قتال المسلمين وترك الكافرين، ثم جعلوا الأولوية لقتال هذا المرتد الصحوجي، وقد جعلوا هذا المصطلح غطاء لتكفيرهم الجماعي، فقالوا صحوات - ونحن لا ننكر وجود نوعاً من الصحوات حالفوا الرافضة والنصارى- ويقصدون به من خالفهم، بل رأينا من معرفاتهم المعلوم قطعاً أنها لبعضهم، من يفضل ويقدم قتال حماس على قتال اليهود، لأنه من باب قتال المرتد أولى من الكافر الأصلي واسألوا عنهم أهل الشام، وعن كذبهم على الفصائل المجاهدة حتى أقرب الناس إليهم كما يزعمون سابقاً وهي جبهة النصرة، فقد كفروهم واستحلوا قتلهم، وقل مثل ذلك عن مجازرهم ضد الأحرار وغيرهم من الكتائب المجاهدة، فقد أعملوا فيهم القتل والتفجير والتفخيخ، وقتلوهم قتل ردة لا قتل دفع ولا أقول هذا افتياتاً عليهم، بل هذا نص كلام العدناني، وغيره من متحدثيهم، حتى قال أحدهم: نحن أخطاءنا معاصي وأنتم أخطاءكم ردة!!!!

فإذا ضممت كلامهم هذا مع قولهم: قتال المرتد أولى من قتال الكافر الأصلي، وعلمت من المرتد عندهم، تبين لك أنهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، فإن قالوا: كيف تزعم أننا لم نقاتل أهل الأوثان وهذه مواقعنا فيهم قد شهده القاصي والداني فأقول: هذه شبهة تحتاج إلى جواب يبين تلبيسكم فيها.

وللجواب أقول: إن هذا الوصف على شقين، فالأول: أنهم يقتلون أهل الإسلام وهذا ما عرفه عنكم القاصي والداني ولا يوجد جماعة جهادية إلا نُحرت منكم وقد بلغ قتلاكم من أهل التوحيد آلافاً، وإن سميتموهم مرتدين أو صحوات أو محرضين أعوان السلاطين أو أو أو بمختلف الأسماء التي أخرجتموهم بها من الإسلام، واسألوا القتيل المظلوم، الجيش الإسلامي في العراق، كم نحرتم فيهم وكم استحلت من دماءهم، تحت مسميات مختلفة والنتيجة واحدة وكأني ببعضكم فرح بذكري للجيش الإسلامي حتى يعترض بقوله: ألم تعلم أنه قد دخل في الصحوات وانحل بين هارب أو مستسلم أو مرتد مع الصحوات!؟

فأقول: علمت والله، وصدقت في بعض ذلك، لكنكم أنتم والصحوات الحقيقة ساهمتم في ذبحهم، وإن كان قد التحق بعضهم بالصحوات فإن غالبهم ذبح بأيديكم ولا يوجد فصيل جهادي في العالم الإسلامي اليوم قتل من المجاهدين، عفواً عن عموم المسلمين، مثلما قتلتم أو قريباً من ذلك، هذا أمر لا مرية فيه.

بل إن كثيراً من الأنظمة التي تكفّرونها، لم يقتلوا من المسلمين عشر ما قتلتم، وخصوصاً القتل النوعي لقادة الجهاد وعقوله المدبرة والفاعلة هذا في الواقع والتطبيق، أما في التنظير، فاسألوهم عن عموم المسلمين ما حكمهم، فسيقولون لا نكفرهم بل هم على أصل الإسلام عندنا ما لم يرتكبوا مكفراً، وهذا كلام ظاهره الحق وباطنه السم الزعاف، فإنك ستجد في خانة المكفرات أن غالبية سواد الأمة لم يسلم من مكفر وقع فيه، فسألهم عن ملايين من الجيوش، واسألهم عن ملايين من رجال الأمن، واسألهم عن جميع الجماعات الإسلامية التي تخالفهم، اسألوهم عن حماس والإخوان واسألهم عن جميع الفصائل الجهادية التي تخالفهم، واسألوهم عن العامة الذين لا يرون رأيهم وينابذونهم ويعادونهم، واسألوهم عن

كـل عـالم خـالفهم واسـألوهم عـن أعـلام العلـم والفكـر والـدعوة الـذين لا يـرون رأيهـم ويخـالفونهم ويحـذرون مـنهم، كـل هـذه الأعـداد مـن الخاصـة والعامـة عنـدهم لهـم أحكـام مختلفـة الألفـاظ متفقـة المعنـى، فهـم بـين صحوات أو طغـاة،أو أعـوان ظلمـة أو طوائـف ممتنعـة، أو أو أو، لكـن هـذا أسمـاء لمعنـى واحـد وهـو الـردة وإنـك إذا حـاققتهم في المـسلم مـن أعيـان الأمـة وخاصـتها وعامتهـا، لم تجـد إلا الـدعاوى الفارغـة، وإنمـا هـو الـتكفير للخاصـة والعامـة بـأغرب الـذرائع فهـل يقـول عاقـل بعـد هـذا أنهـم لا يكفـرون أهـل الإسـلام ولا يقتلـون أهـل الإيمـان مـن العلمـاء والمجاهـدين والقـادة الـذين عجـز عـنهم أعـداء الأمـة!!؟؟ فهـل يقـول عاقـل اليـوم أن هـذا الوصـف (يقتلـون أهـل الإسـلام) لا ينطبـق علـيكم، بـل والله هـذا مـن خـداع الأمـة عـن حقيقـة عـدوها، فقـد نافستم اليهـود في ذلـك، فهـذا مـا يتعلـق بهـذا الـشق مـن وصفهم وهو قتلهم لأهل الإسلام.

أمـا الـشق الثـاني وهـو أنهـم يـدعون أهـل الأوثـان، فقـد نظـروا لهـا وطبقوهـا عمليـاً، فقـد نظـروا لأولويـة قتـال المرتـد علـى قتـال الكـافر الأصلـي، وقـد سـبق بيـان المرتـد عنـدهم، حتـى قـال قائلـهم: إن قتـال حمـاس أوجـب مـن قتـال اليهـود!!؟؟ هـذا مـا نظّـروا بـه، أمـا تطبـيقهم، فتجدونـه في الإحـصائيات لعمليـاتهم في الـشام، وذلـك بالمقارنـة بـين عـدد عمليـاتهم في المنـاطق المحـررة والمحتلـة والمقارنـة بـين عـدد عمليـاتهم ومفخخـاتهم وتفجيراتهـم في النـصيرية وعـدد عمليـاتهم في الفـصائل المجاهـدة بمختلـف مـسمياتها، وسـتجدون مفارقـة مخيفـة، وانظـروا عمليـاتهم في العـراق وقـارنوا بينهـا في المنـاطق الـسنية والمنـاطق الرافـضية، وعـدد مـن قتـل علـى أيـديهم مـن الرافـضة ومـن الـسنة لتعلمـوا الحقيقـة بـل انظـروا لأتبـاعهم وأشـباههم في الـيمن كيـف توجهـوا لقتـل العـساكر الـسعودية وتـرك الحـوثي يعيـث في الـيمن فـساداً !!؟؟ كـل هـذا طـرداً لأصـلهم الفاسـد وانظـروا لأعـداد تفجيراتهـم في المجاهـدين وقارنوهـا بأعـداد عمليـاتهم في إيـران، لتعلمـوا حقيقـة قتلـهم لأهـل الإسـلام وتـركهم لأهـل الكفـر والأوثـان، ولـيس شـرطاً لأن ينطبـق علـيهم الوصـف، أنهـم لا يقتلـون كـافراً أبـداً، فهـذا لا يوجـد في الخـوارج الـذين لا شـك في خـارجيتهم، وإنمـا العـبرة بالغالـب، ومـن قـرأ سـيرة خـوارج المغـرب الـذين قـاتلوا العبيـديين، وجـد أنهـم أحسن حـالاً مـن خـوارج داعـش، فقـد قـاتلوا العبيـديين الكفـرة، ومـع ذلـك لم يختلـف العلمـاء في كـونهم خـوارج، فهـل نعقـل التـاريخ ونعـي الواقـع ولا نخـدع مـن جحـر مـرتين بـل مـراراً، وهـذا والله مـن ضـريبة الجهـل بالـدين والتـاريخ، هـذا مـا يتعلـق بهـاتين الـشبهتين بـل الـشبه الـتي لبـسوا بهـا علـى شـباب الأمـة وعامتهـا، حتـى أصـبح بعـض الفـضلاء مـع مخالفتـه لهـم يتحـرج مـن وصـفهم بـالخوارج، وأنـا أقـول والله وبـالله وتـالله، مـا يخـالجني شـك في خـارجيتهم، ولم أجـد وصـفا نبويـاً لهـم إلا وجدتـه فـيهم كالـشمس، فهل نخادع أنفسنا ونخدع الناس!

نكمـل بقيـة أوصـاف الخـوارج الـتي وجـدتها تنطبـق علـى أتبـاع البغـدادي، منهـا حـديث مـسلم عـن علـي رضـي الله عنـه، قـال: أيهـا النـاس إنـي سمعت رسـول الله ﷺ يقـول يخـرج قـوم مـن أمـتي يقـرءون القـرآن لـيس قـراءتكم إلى قـراءتهم بـشيء ولا صـلاتكم إلى صـلاتهم بـشيء ولا صـيامكم إلى صيامهم بـشيء يقـرءون القـرآن يحـسبون أنـه لهـم وهـو علـيهم لا تجـاوز صـلاتهم تـراقيهم يمرقـون مـن الإسـلام كمـا يمـرق الـسهم مـن الرميـة لـو يعلـم الجـيش الـذين يـصيبونهم مـا قـضي لهـم علـى لـسان نبـيهم ﷺ لاتكلـوا عـن العمـل وآيـة ذلـك أن فـيهم رجـلا لـه عـضد ولـيس لـه ذراع علـى رأس عـضده مثل حلمـة الثـدي عليـه شـعرات بـيض فتـذهبون إلى معاويـة وأهـل الـشام وتتركـون هـؤلاء يخلفـونكم في ذراريكـم وأمـوالكم والله إنـي لأرجـو أن يكونـوا هـؤلاء القـوم فـإنهم قـد سـفكوا الـدم الحـرام وأغـاروا في سـرح النـاس فـسيروا علـى اسـم الله، قـال سلمة بـن كهيـل فنـزلني زيـد بـن وهـب منـزلا حتـى قـال مررنـا

علـى قنطـرة فلمـا التقينـا وعلـى الخـوارج يومئـذ عبـد الله بـن وهــب الراسـبي، فقــال: لهـم ألقـوا الرمـاح وســلوا ســيوفكم مــن جفونهـا فــإني أخـاف أن يناشـدوكم كمـا ناشـدوكم يـوم حـروراء فرجعـوا فوحـشوا برمـاحهم وسـلوا الـسيوف وشـجرهم النـاس برمـاحهم، قـال: وقتـل بعضهم علـى بعـض ومـا أصيب مـن النـاس يومئـذ إلا رجـلان، فقـال علـي رضـي الله عنـه: التمسوا فـيهم المخـدج، فالتمـسوه فلـم يجـدوه، فقـام علـي رضـي الله عنـه بنفـسه حتـى أتـى ناسـا قـد قتـل بعضهم علـى بعض، قـال: أخـروهم، فوجـدوه ممـا يلـي الأرض، فكـبر ثـم قـال: صـدق الله وبلـغ رسـوله، قـال: فقـام إليـه عبيـدة الـسلماني، فقـال: يـا أمـير المــؤمنين ألله الــذي لا إلــه إلا هــو لــسمعت هــذا الحــديث مــن رســول الله ﷺ، فقــال: إي والله الــذي لا إله إلا هو حتى استحلفه ثلاثا وهو يحلف له.

فتـضمن هـذا الحـديث عـدة أوصـاف للخـوارج، غـير مـا سـبق ذكـره فمنهـا قولـه (يمرقـون مـن الـدين كمـا يمـرق الـسهم مـن الرميـة) ففيـه وصـف غـيبي ووصـف حـسي، فأمـا الوصـف الغـيبي فـلا يعلمـه إلا الله لكنـه ربطـه بوصـف ظـاهر، وهـو سـرعة تقلـبهم وتغيرهــم وتقحمهــم علــى الأمـور العظـام الـتي ربمـا أخـرجتهم مـن الـدين، وهـذا وصـف ظـاهر فـيهم قـديماً وحـديثاً، ومــن جـرب نقاشـهم اليـوم يعـرف مـصداق ذلـك، وخــصوصاً إذا ربطــت ذلــك بوصــف حــدثاء الأســنان ســفهاء الأحــلام وقــد وردت عــدة صــيغ لوصـفهم هـذا في عـدة روايـات كلـها تـدل علـى سـرعة خـروجم مـن الـدين، حتـى شـبهه بالـسهم الـذي سـبق الـدم والفـرث، فـأي تـشبيه أراد غـير هـذا، ومنهـا كـذلك قولـه (فتـذهبون إلى معاويـة وأهـل الـشام وتتركــون هــؤلاء يخلفــونكم في ذراريكــم وأمـوالكم) فقـد رأينـا كتائـب المجاهـدين لا يـروعهم علـى مـن خلفهـم وعلـى مقـراتهم، حـين يهـاجمون العـدو الا الــدواعش، وقــد حــصل هــذا مــنهم مــرات، يـدعونهم حتـى يواجهـوا النـصيرية، ثـم يخلفـونهم، فهـذا والله مـن أوصـاف الخـوارج الأولـين وأحـوالهم، وهـو الغـدر بالمجاهـدين وإشـغالهم عـن عـدوهم، تحـت ذرائـع وأعـذار ليـست أحـسن حـالاً مـن أعـذار أسـلافهم، منهـا قـول قائـد الخـوارج ابـن وهـب الراسـبي (ألقـوا الرمـاح، وسـلوا سـيوفكم مـن جفونهـا، فـإني أخـاف أن يناشـدوكم كمـا ناشـدوكم يـوم حـروراء) إنـه الإعـراض عـن سمـاع النـصح وسمـاع الحجـة والبيـان حتـى لا يتـأثر الأتبـاع، كمـا تـأثروا بكـلام ابـن عبـاس سـابقاً، وانظـر بـالله عليـك في ردود الـدواعش وتحـذيرهم مـن سمـاع بيـان الناصـحين والعلمـاء وأصـحاب الحجـة والبرهـان، وكثـرة تحـذيرهم مـن سمـاع كـلام المخـالفين لهـم حتـى لا يتـأثر أتبـاعهم مـن الـشباب الأغـرار، فـسبحان الله كيـف تـشابهت صـفاتهم، وكيـف توافقـت أحـوالهم حتـى انطبـق علـيهم قـول الـصادق (يخـرج مـن ضئـضئ هـذا) فهـم والله علـى نفـس الـشاكلة والمنهـاج، ومنهـا في هـذا الحـديث اسـتحلاف عبيـدة الـسلماني لعلـي ثـلاث مـرات، ومـا ذلـك إلا لمـا وقـع في قلـوبهم مـن قتلـهم لأقـوام قـد أنهكـتهم العبـادة والـصلاة، وهـذا والله مـا يعانيـه كـثير مـن قـادة الجهـاد الـذين يريـدون رد عـاديتهم، فيـستعص علـيهم بعـض أتبـاعهم، أغـتراراً بما يظهرونه من التدين والشعارات.

فـأقول سـبحان الله مـا أشـبه الليلـة، بالبارحـة، ومـا أرحـم الله بهـذه الأمـة حيـث بـين لهـا علـى لـسان نبيهـا، بيانـاً شـافياً، لا يُخدع بعده إلا جاهـل، فعجبي ممـن يغـتر ببيانـات الخـوارج، ولا يقتنـع بكـلام الـصادق المـصدوق، وأنـصح الخلـق للخلـق، فمـع هـذا البيـان النبـوي، **فقـد اغـتر بهـم آلاف الـشباب الأحـداث هـذا مـا يتعلـق بالـشبهة التاسـعة لهـم،** وقـد صـالوا وجـالوا بهـا علـى كـل مـن رمـاهم بالخارجيـة، وتنـصلوا مــن صــفات الخــوارج، وقــد والله تحريــت تلــك الأوصـاف مـن كـلام الـذي لا ينطـق عـن الهـوى ﷺ، وقـد ذكـر الإمـام مـسلم في الخـوارج عـشرة أحاديـث، لم أجــد فيهــا وصــفاً، إلا هــو فــيهم بجــلاء إلا الأوصـاف المعينـة المختـصة، مثـل وجـود ذي الثـديتين، وخـروجهم علـى حـين فرقـة مـن المـسلمين، ويقتلـهم أقـرب الطـائفتين إلى الحـق، فهـذه أوصـاف مختـصة بتلـك الـتي خرجـت علـى علـي رضـي الله عنـه، ومـع

ذلك ففيها إشارات لطيفة، إلى أوجه تشابه مع خوارج اليوم، فمن ذلك خروجهم في وقت الفتن والفرقة فهذا ملحظ لطيف، أنهم من الأمراض التي تخرج في الأزمات، وكيف يزيدون أزمة الأمة، ولعلكم تذكرون وقت دخول داعش إلى الشام وكيف ضاعفت أزمتهم وكذلك فصيلهم الذي خرج في غزة في تلك الأزمة بين الغزاوية واليهود، والحصار الذي كانوا فيه، ثم يخرجون فيهم ليزيدوا وهنهم ويشتتوا أمرهم.

وكذلك ذكره لذي الثديتين، ليكون برهاناً لعلي رضي الله عنه حين يقاتلهم، لعلمه ﷺ بكثرة من سيخدع بهم وبظاهرهم الموهوم مع أن الذي سيقاتلهم هو أفضل أهل زمانه بلا خلاف، مع ذلك احتاج مع الخبر الذي ينقله وما كذب فيه ولا كُذب، احتاج إلى أمارة ظاهرة تصدق خبره كل ذلك، يبين شدة لبس أمرهم على كثر من الناس فهذا عبيدة السلماني من خيار التابعين، ومن أفقه أصحاب علي، ومع ذلك يستحلف علي في أمرهم ثلاثاً فلا غرابة أن يلتبس أمرهم على بعض الفضلاء، وإني لأرج الله أن يجعل هذه الكتابة مما يساهم في بيان حقيقة حالهم ويجلي دقائق أوصافهم.

وكذلك قوله يقتلهم أقرب الطائفتين إلى الحق، مع أنه وصف لعلي وأصحابه في مقابل أهل الشام، إلا أن في ذلك ما يوحي أن الذين يتبصرون لأمرهم وتتجلى له حقيقتهم، على كثرة ما يكتنفهم من لبس وما يظهرون من شعارات وعبادات وأقوال، هي من خير أقوال البرية، كل ذلك لم يخدعهم عن حقيقتهم فهذا عندي مما يشعر بأن من يتبين له أمر الخوارج على مر العصور مع شدة التباس أمرهم، هم أصحاب البصيرة من العلماء والمجاهدين والقادة فمع أن هذه في ظاهرها أوصاف مختصة بمن خرج على علي، إلا أن في طيها ما يدلك على أمر الخوارج بمثل ما ذكرناه من إشارات نبوية عظيمة.

وبهذا يتبين لك أخي مطابقة صفات الخوارج الواردة في النصوص وفي كلام السلف ومن أحوالهم في الماضي والحاضر، ما يدلك على خارجية الدواعش قطعاً فمن كان عنده علم فليجد به على من لا علم عنده، فهذا ما توصلنا إليه في أمرهم، فمن تبين له خطأ هذا التوصيف فليبينه لنا ونحن نعود إلى الحق، فقد كنت والله باحثاً عن الحق في أمرهم، **وقد دفعني إلى زيادة التفصيل في هذه الشبهة التاسعة**، ما رأيت لها من وقع على الشباب وكيف غرتهم وقد رأيت بعض العلماء والفضلاء يصفهم بأنهم خوارج ثم لا يفصل في ذلك، فيردونها شبهة عليه بقولهم: هذه أصول الخوارج وهذه أصولنا السلفية!؟

فأين التشابه بيننا وبينهم! ونحن نصرح بمخالفتنا للخوارج جملة وتفصيلاً، فلما رأيت هذاالتلبيس استعنت الله في توضيح شبههم عموماً وهذه خصوصاً وبهذا أكون أتممت الجواب على هذه الشبهة ، وأثبتُّ بإذن الله أنهم لم يخالفوا الخوارج في صغير ولا كبير، وأنهم أشبه بهم من الثعبان بالثعبان.

١٠/١١- الشبهة العاشرة والحادية عشر وطالما أشهروها في وجه من يحتسب عليهم أو ينكر تجاوزاتهم، فيقول قائلهم: لماذا لا تنكروا على بقية الفصائل الأخرى التي عندها من التكفير والقتل والتجاوزات مثلما عندنا، وهذه الشبهات فيها إقرار للتجاوزات والجرائم التي عندهم، وكأنهم يقولون اسكتوا عنا كما سكتم عنهم، وهذا فيه حق وباطل، فأما الباطل الذي فيه فهو جعلهم تجاوزات غيرهم مسوغة لهم ولإجرامهم، وهذا لا يقوله عاقل، بل يجب سماع النصح من الناصحين، ولا يعتذر عن قبول الحق إلا من كان في قلبه وعمله دخن، نسأل الله العافي، ولقد رأيتها أصبحت سمة أصحاب الفكر الداعش، كلما أنكرت عليهم أمراً من تجاوزاتهم، وجرائمهم، أخرجوا لك ملفاً عن الآخرين وتجاوزاتهم، وكأن هذا حجة لهم عند الله

وعند الناس فأين العقل!؟

ولعلكم رأيتم هذا في ردودهم على بعض كتاباتي السابقة، إن المؤمن يفرح بالنصح والنقد مهما كانت مرارته، لأنه يعمل لله وليس للسمعة والتطبيل وقد رأيت من سمات الدواعش أنهم يكرهون النقد والنصح مهما كانت لطافته ورقته، ولن تجد أنهم قبلوا نصح ناصح أبداً، وما موقفهم من الظواهري ببعيد، وكذلك تجد فرحهم بالمدح والتطبيل ولو من شباب أغرار أو من مجاهيل، أشد من فرح اهل الدنيا وأصحاب الرئاسات، ثم يزعمون أنهم ليسوا أهل دنيا!!! وإني اسأل كل متعاطف مع هذا الفكر الخارجي، هل موقفهم عند سماعهم للنصح والنقد هو الموقف الشرعي، وهل تجد في السنة ما يشفع لهم في هذاالتهرب!؟

لقد أصبح لديهم ملفات جاهزة يفتحونها في وجه كل ناقد لهم، وكلها فيما يتعلق بغيرهم، فسبحان الله كيف فرخ الشيطان في تلك العقول حتى رأوا ذلك حجة وربما كان في تلك الملفات بعض إنجازاتهم العسكرية، فلو سلمنا لهم بكل ما فيها، فهل يكون فعلك الحسن مسوغاً لفعلك القبيح، وهل قتل عشرات الرافضة مبرراً لقتل مئات السنة الذين حكمتم بردتهم جهلاً وجوراً، بل أصبح لديكم من الانجازات قتل الصحوات والمرتدين، وكل ذلك لتغطية إجرامكم بأهل السنة فأي دين هذا وأي جهاد، إنها والله الخارجية العصرية، التي أحكمها الشيطان في قلوبكم وغلفها بشبهات واهية، لا يشهد لها نص ولا عقل ولا سياسة حتى.

هذا ما في هذه الشبهة من باطل، أما ما فيها من حق، فهو أن بعض ما ننتقده على الدواعش هو موجود عند غيرهم من الفصائل الجهادية الأخرى وهذا الكلام وإن كان فيه شيئ من الحق إلا أن لدي جوابان، الأول أن حقيقة هذا النقد وإن كان موجهاً إلى الدواعش بشكل مباشر، فهو كذلك موجه لكل من يحمل هذا الفكر الخارجي، وإن كان نائماً في بيته، وقد علمت بوجود بعض تلك الأفكار في بعض الكتائب الجهادية، فهذا الكلام يتناولهم كذلك لأن حقيقة الأمر هو النصح للأمة ولشبابها من هذا الفكر حيث وجد وتحت أي شعار خرج، فلا نخدع بإخراج هذه الخارجية من تحت عباءة أخرى وشعار آخر.

أما الجواب الثاني، وهو سبب توجيه هذا الكلام إلى داعش مباشرة دون غيرها، فذلك لأسباب منها، أن هذا الفكر الخارجي قد تكامل وتمت صورته فيهم بلا ريب ولأن هذا الحزب الداعشي قد تبنا هذا المذهب بقضه وقضيضه كما بينته في الرد على شبهتهم السادسة، ولا تجد فصيلاً جهادياً تعصب لهذا الفكر مثلهم، وكذلك فإن هذا الفكر الخارجي في قيادة داعش وفي جنودها على حد سواء، وهذا مالم نجده عند غيرهم بهذه الصورة الصارخة، وذلك لتقاربهم في السن والعلم، ومن الأسباب أن قيادة داعش قد فرضت على نفسها وأتباعها طوقاً ساخناً من الأفكار الخارجية، لا تسمح لهم بالتواصل مع سواد الأمة وعلماءها ومفكريها، فكل الفصائل يمكن لبعض العلماء التواصل معهم والنصح والتصحيح، وهذا صمام الأمان لتلك الفصائل ولعموم الأمة وإنما الكارثة ممن يتمايز عن أمته.

ومن الأسباب، أن غالب تلك التجاوزات في تلك الفصائل هي من الجنود والأتباع وليست من القيادات، وأما في داعش فيحصل التجاوز من القائد والأتباع ثم تجد القادة في داعش تبارك تلك التجاوزات من جنودها، وما مجازر أبي أيمن العراقي التي دعمه البغدادي على إثرها بمئات الجنود، إلا شاهداً، فإن قال أحدهم وهل القادة من غير داعش ليس لهم تجاوزات!؟ فأقول بل وجدت لهم تجاوزات وأخطاء كبيرة، لكن الفرق بينهم وبين قادة داعش أنهم لم يفعلوها بسبب الفكر الذي يحملونه، فهي وإن كانت أخطاء ويجب إنكارها والنصح لهم فيها ومحاسبتهم أحياناً، لكنها لا تقارن بمن يفعلها عن فكر خارجي وتديناً بذلك،

وإغلاقاً للآذان عن أي نصح أو نقد على هذه الأخطاء، ومن الفروق أن تلك القيادات لم تقاطع الأمة وتتفرد بأمرها، بل هي مصغية لنصح العلماء ونقدهم، وقد جربت ذلك بنفسي مع بعض القادة الكبار جداً في تلك الفصائل، حينما رأيت منهم تجاوزاً لا يجيزه الشرع فراسلتهم وأنكرت عليهم، فتجاوبوا واستجابوا ولم يكابروا، بل غيروا، هذا نصحي أنا وأنا من أصغر طلبة العلم وهو لا يعرفني شخصياً فكيف إذا كان النصح من العلماء الكبار، أو أصحاب الفكر والرأي في الأمة !؟ مع أني جربت النصح مع الدواعش فرأيت والله من الصلف والعناد والمكابرة في صغارهم قبل كبارهم مالم أره في غيرهم، ولعل الجميع سمع وقرأ ردودهم على الشيخ البراك والطريفي وغيرهم، عفواً عن طلبة العلم والعامة فهل يقول عاقل بعد ذلك أن أخطاء داعش مثل أخطاء غيرهم !؟ لا والله لا سواء، فإن داعش قد باينت الأمة وفاصلتها ولم تجعل للأمة عليها سبيلاً.

هذا ما يتعلق بهذه الشبهة وهي العاشرة وقد أشهروها في أوجه الناصحين كثيراً، وهناك شبهة أخرى ذات صلة بهذه، وهي: كلامهم عن الحكام والملوك ومقارنة قادة داعش بزعماء العرب وحكامهم، وإخراج مقاطع وصور للحكام وهم يجالسون الكفار ويصافحونهم، ثم يقول: هذا ولي أمرك، فماردك عليه، وأين إنكارك ؟

فأقول، يكفي أنك تقارن خليفتك المزعوم، بحكام لم يقل أحد منهم أنه أمير المؤمنين، إلا القذافي شبيه خليفتكم في أمور كثيرة، فهذا يدل على أنكم طلاب دنيا، لستم طلاب دين، ثانياً هب كل ما ذكرته عن الحكام من آل سعود وغيرهم صحيح، فهل هذا يبرر لك إجرامك وتكفيرك وإفسادك في الأرض وإن أردت المقارنة بينكم وبين الحكام، فوالله لقد أظهرتم من شعارت الدين ما لم يظهروا عشره، ثم أنتم أبعد عن حماية أرواح المسلمين وأموالهم وإني أسأل نفسي، لماذا الداعشي بفكره الخارجي لا يستطيع أن يدفع عن نفسه وعن إجرامه، إلا بإظهار أخطاء الآخرين!؟ هذا والله من مكر الشيطان بهم، ثم كيف مكر بهم الشيطان، حتى أصبحت الصورة لأحد المسلمين مع أحد الكفار أو المبتدعة، جريمة وخيانة وعمالة وصحوات، ثم ردة وحلال الدم والعرض.

ثم إني اسألهم، هل الخطاء في مجالسة الكافر والمحادثة معه حتى ولو كان محارباً، فقد والله جهلتم السنة والتاريخ، فقد جالسهم رسول الله ودخلوا مسجده من المشركين واليهود والنصارى والمنافقين، وبعضهم محارب كأبي سفيان، بل بعضهم أتاه مهدداً له بالحرب والموت، فما تفسيركم لذلك ؟

وإن قلتم: بل الخيانة ليست في مجرد إجتماعه بهم، بل فيما دار فيها من خيانة للمجاهدين، وأخذ دعم من تلك الجهات، فأقول مع أنكم لا تحتجون إلا بالصور، فكيف علمتم ما دار فيها، وكيف جعلتم الأخذ لأي دعم خيانة وعمالة، وكيف جعلتم كل لقاء بينهم خيانة للمجاهدين، مع أن الواقع يقول أنه لا يوجد جماعة اعتدت عليكم إلا بعد تمددكم بحواجزكم فيما حرروه، وتوسيع دولتكم الموهومة على الرقعة التي حررها غيركم، فمن العميل منكما!

لقد والله أضحكتم الصبيان على عقولكم، بجعلكم كل صورة مع كافر حجة لكم في تكفير مخالفكم وتخوينه واستحلال دمه وعرضه، ولا أدري أين كانت هذه الحجة حينما كنتم تطبلون لمن يكتب في نصرتكم وهم في عواصم تلك البلاد!!؟ لكنها حيل الشيطان تكفرون قوماً بعلة هي هي فيكم أو في أنصاركم.

لقد أكثروا من النكير على كل من وجدوا له صورة مع كافر أومبتدع وهذا والله أمر مضحك مبك، أن تبلغ السطحية بهذه الجماعة التي تزعم أنها ستعيد الخلافة كيف جعلت صور المخالفين مع

الكفار حجة لتخوينهم وتكفيرهم، وجعل ذلك من أشد التهم عليهم، وانظروا مصداق ذلك في إصداراتهم التي شرقوا بها وغربوا، وكيف جعلوا جلسة فلان مع الوزير الفلاني تهمة وتخويناً، وأنه أخذ منه دعماً ليقاتل الدولة الإسلامية وووو إلى آخر تلك التخرصات التي لا يسندها دليل ولا حجة، ثم هم صحوات ومرتدون، ونسوا أنهم هم أساس الفرقة في العراق والشام، وأن قاعدتهم الفاسدة التي جعلوها شعارا لهم (تتمدد) هي التي أثارت النار في كل شبر يصلون إليه لقد كان شعاركم - تتمدد- أضر على الجهاد وعلى لحمة المجاهدين من كل لقاء بأعداء المسلمين، فلم يبلغ الكفار في إفساد الجهاد ما بلغته شعاراتكم، لقد كنا نسألكم من أيامكم الأولى أين تتمدد؟ فزعمتم أنها تتمدد في المناطق التي يسيطر عليها النصيري لكن واقعكم كذب ذلك وأظهر مكنونكم وأن تمددكم على حساب الفصائل الأخرى والمناطق المحررة وليس على حساب النصيري، ثم أصلتم أصلكم الفاسد الآخر (لا تقاتل النصيرية وفي ظهرك مرتد)، وقد علمنا من المرتد عندكم، فهل نقول أن تلك اللقاءات مع أعداء الجهاد الشامي هي التي دفعتكم لهذا التمدد الآثم وتلك الحواجز التي قطعتم بها أوصال المناطق المحررة؟!

ولا ننكر أنه كان لبعضكم دور جيد في بعض المناطق، لكنكم لا تلبثون أن تعودوا لطريقتكم الغريبة بالتعامل مع الناس ومع الفصائل الأخرى على وفق أنكم دولة وغيركم جماعات وفصائل، وهذا من أشد ما سبب الأزمات بينكم وبين غيركم، ووقعتم بسببها في كوارث ومصائب وقد أنكر عليكم هذا الأمر كل عاقل من المجاهدين والعلماء والمصلحين، ولعلكم تذكرون كلام الشيخ العلوان على هذا الأمر وكيف أنكر عليكم ذلك.

إن أخذ الدعم لهذه الثورة المباركة أمر مشروع، مالم يكن له ضريبة تزيد على منفعته، فهذا رسول الله يستعير الأسلحة من صناديد الكفر في قريش يوم حنين ليستعين بأسلحة صفوان بن أمية وهو على كفره، على قتال ثقيف وهوازن، مع أنه جهاد طلب وليس جهاد دفع، فالحاجة في الثاني أشد وألزم وكذلك أقترض من اليهود الديات، مع أنهم أشد الناس عداوة وتربصاً بالمؤمنين، ولم يمنعه ذلك من أخذ الدعم، فليست الدول الكافرة على سياسة واحدة وهذا الصراع السياسي العالمي ما الذي يمنع المسلم أن يستغل ما استطاع منه لتحقيق أهدافه كما فعل الأفغان لما قاتلهم الروس، فأخذوا أمداداً من حكومات أنتم تكفرونها اليوم، وتخونون من يجالسهم أو يأخذ الدعم منهم، وقد رأيت والله أنكم لا تنقمون على الفصائل المجاهدة أمراً إلا وهو بعينه وقع فيه الجهاد الأفغاني، وطالبان من بعدهم كذلك، لكنه ضيق الفكر والفقه لديكم، فكيف بعد ذلك ترومون قيادة الأمة وتزعّم الخلافة؟!

وأنتم لم تستطيعوا أن تحسنوا قيادة فصيل جهادي أسميتموه الدولة، فسلكتم به سياسة خارجية نفرت منه جميع الأمة بمختلف ألوانها إلا أحداثاً من الشباب الأغرار، الذين غرهم منكم حسن البيان، والاستعراضات العسكرية التي ذهب جلها لقتال المجاهدين، فدعك أخي من هذه الحجج الهُلامية وقولهم فلان تصور مع فلان أو أخذا دعماً من فلان، وعليك بالنظر للواقع وما يُنفذ على أرض الجهاد، فهذه أكثر الفصائل في منازلة النصيرية وهذه دولتكم، مشتغلة بتصنيف المجاهدين إلى أنواع من الردة والصحوات حتى تقدم قتال المرتد على قتال الكافر الأصلي ولا حول ولا قوة إلا بالله.

١٢- الشبهة الثانية عشرة وهي طلبهم المباهلة عند كل خلاف مع غيرهم، فإن رفضها هللوا وكبروا ورأوا أنه برهانهم القاطع على أنهم على الحق وأن مخالفهم على الباطل، ثم يزمجرون بها أياماً وليال، وهذا أمر مؤسف، أن يبلغ بهم الجهل وقلة الحجة إلى هذا الدرك.

وللجواب على هذه الشبهة، أقول: لقد شرع الله المباهلة أول ما شرعها بين الرسول ﷺ ونصارى

نجـران، في أمـر هـو عنـد المسلم كالـشمس فكيـف بـه عنـد رسـول الله!؟ ومـع ذلـك لم تـتم تلـك المباهلـة، بــل صــالحهم رســول الله، ولم يجعــل نكــولهم عــن المباهلــة موجبــاً لحــربهم أو قتلــهم أو حكمــه بــأنهم ليـسوا علـى ديـن كتـابي، بـل عاملـهم كمـا يعامـل عامــة النــصارى واليهــود الــذين لم يعــرض علــيهم المباهلـة، هـذا أمـر والأمـر الآخـر أن طلـب المباهلـة، لم يجعلـه أحــد مــن العلمــاء فيمــا أعلــم أمــراً ملزمــاً للمخـالف، فهـذا ابـن عبـاس لما تفـرد في بعـض المسائل الفقهيـة وشـعر بغرابـة قولـه بـين جمهـور الـصحابة طلـب المباهلـة، ومـا ذلـك إلا ليـدفع عـن نفـسه اتبـاع الهـوى، وأنــه يقطــع بــصواب نفــسه وإن كــان منفــرداً بهــذا القـول، ولم يجبـه أحـد مـن الـصحابة وهـذا في خلافـة عثمـان والـصحابة متـوافرون، فلـم يجعـل ابـن عبـاس ذلـك دلـيلا علـى خـصمه، بقـدر مـاهو دليـل علـى تيقنـه مـن قولـه وأنـه علـى حجـة يقطـع بهـا في نفـسه، فهـل وجـدتم أحـداً مـن الـصحابة باهلـه!؟ وهـل وجـدتم لابـن عبـاس حرفـاً في مخالفيـه بـسبب عـدم مبـاهلتهم لـه!؟ وهـل وجـدتم عالمـاً احـتج لـصحة قـول ابـن عبـاس بـترك الـصحابة مباهلتـه، وأن ذلـك دلـيلا علـى بطـلان قـولهم !؟ لــن تجــد مــن ذلــك شــيئاً أبــداً إن المباهلــة بــين المـسلمين ليـست دلـيلاً علـى صـحة القـول في ذاتـه، وإنمـا تـستعمل ليـدفع بهـا المـرأ عـن نفـسه، وليـست مثـل مباهلة الكفار

ثم إن المباهلة تكون بعد الحجج والبراهين، ثم إذا توهم بعضهم في صاحبه أنه ربما اعتقد فيه أنه متبع لهواه، فيدعوه للمباهلة لرفع ذلك من نفس مخالفه وليس ليلعنه ويمحقه كما يتوهمه بعض الشباب وإن المتابع للمطالبين بالمباهلة، سيجدهم كلهم أو جلهم من الدواعش أو من المتعاطفين معهم، بلا مناظرة ولا حجة ولا ذكر براهين على هذا الأمر، بل والله لقد جعلوا المباهلة مسخرة، فلو خالفت بعضهم في درجة الحرارة لدعاك إلى المباهلة، وإن امتنعت باهلك من طرف واحد ليشبع نهمته في الدعاء على من يخالفه، ولا يكاد يمر يوم إلا وتسمع هذه العروض المغرية مباهلة على كذا مباهلة في كذا مباهلة فلان فلان يهرب من المباهلة، فقلي بربك أين وجدت هذا الكم الهائل من المباهلات عبر التاريخ والواقع، عند غير الدواعش، ليوهموا أتباعهم بأنهم على حق كالشمس وأن مخالفيهم على باطل لامرية فيه، وهذا من باب قوله تعالى ﴿ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الزخرف: ٥٤] نعوذ بالله من الجهل والهوى والصد عن سبيل الله.

ثـم رأيـت غالبيـة مـن يطلـب المباهلـة مـنهم، اسمـاء مجهولــة، لــن تعلــم بعــد المباهلــة أيــن مــصيره، وإنمــا المباهلــة تكــون بــين معلــومين، ثــم يتربــص النــاس بأحــدهما مــاذا ســينزل بــه فــإن قــال بعــضهم قــد دعــاكم إلى المباهلــة أشــخص معروفــة أعيــانهم ورفــضتم، فــأقول: أولاً قبــول المباهلــة لــيس ملزمــاً شـرعاً كمـا بينتـه قبـل قليـل ولـيس حجـة علـى صـحة القـول في ذاتـه، ثانيـاً، قـد وقعـت المباهلـة في أمـور كالـشمس مثـل مباهلـة الـبراك لياسـر الخبيـث، ولم يـصبه شـيئ، فهـل هـذا يـدل علـى أن ياسـر الخبيـث على حق فيما باهل عليه!!؟

وهذا يدل على أن للمباهلة فقهاً لا يعلمه أكثر الناس وليست نتيجتها قطعية ولا ينبغي للمسلم أن يلعن في أمور ليست لازمة له شرعاً أو في أمور اجتهادية أو أمور يعلم أنه على الحق قطعاً وأن صاحبه متأولاً فيلعنه على هذا الأمر الاجتهادي فأقلوا من طلب المباهلات رحمكم الله، فلن تحق حقاً ولن تبطل باطلاً، وهنا أود أن أشير إلا أمر وقع عدة مرات من أتباع الدولة والمتعاطفين معها وهو أنه مع كثرة طلبهم للمباهلة في تويتر وفي غيره تحت أسماء وهمية لا نعلم من تحتها، لكن الواقع أثبت هروب الدواعش من المباهلة أكثر من مرة وأكتفي بذكر مثال واحد، وهو عندما اتهموا الشيخ محمد الفراج بتهمهم القبيحة، وتدخل بينهم وبينه الشيخ يوسف الأحمد، فدعاهم الشيخ الفراج للمباهلة، فنكلوا، وقالوا هو يكذب ولا نقبل مباهلته، فدعاهم الشيخ الفراج إلى المباهلة من طرف واحد يدعو فيها على نفسه ويدعو لهم فرفضوا، فتبين بهذا الموقف وبغيره، أنهم لا يقبلون هذه المباهلات إلا بالمعرفات التويترية الوهمية، ومع ذلك فإني

أنصح لي ولهم بعدم المباهلات والتوجه إلى الحجج والعلم والبراهين كما قال تعالى ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ [البقرة: ١١١] وليست المباهلات ولعن المسلم نفسه وأخيه.

١٣- **الشبهة الثالثة عشر،** قولهم: هذه صور الشهداء وهم يبتسمون، فهل قُتلوا على باطل، وهل هؤلاء هم كلاب النار!؟ مالكم كيف تحكمون، لقد أصبح حسن الخاتمة من المتواترات عن رجال الدولة ولا يجحدها إلا مكابر أو حسود.

فأقول جواباً على هذه الشبهة التي تصيدوا بها كباراً وصغاراً، وقد رأيت وسمعت من اغتر بهذه الشبهة من الكبار والصغار، وهذه والله شبهة ملبسة، أعلم أخي وفقك الله أن هذه الشبهة لا تنطلي على صاحب علم وبصيرة، وذلك لعدة أسباب:

أولاً: لا يوجد دليل في الكتاب أو السنة يجعل حسن الخاتمة من أدلة إصابتك للحق في حياتك، ولا أدري كيف لبسوا على الناس أن الابتسامة عند الموت يدل على أني على حق وأن خصمي على باطل، هذا تلبيس عظيم.

ثانياً: قد قتل من رجال داعش مئات كما قتل من غيرهم أكثر من ذلك فهل صورة الشهيد المبتسم وقعت لكل من قتل منهم، أم أنها لبعضهم وقلة منهم!؟ لقد رأينا من قتلاكم وقتلى غيركم من ليس عليه أي أثر للابتسامة، ولو جمعت صور من ابتسم لكانت أفراداً قليلة من آلاف القتلى وليس أمراً مطردا.

ثالثاً: أين الدليل على أن من مات غير مبتسم، لا يكون على حسن خاتمة! وقد رأيت من هؤلاء الشباب عجباً في تفخيم أمور لم يرد له في الشرع أي حجة وإنك حين تقرأ في سير السف والصالحين والشهداء وقبلهم الصحابة لا تكاد تجد هذا التفخيم لأمر ابتسامة الميت أو الشهيد بهذا الشكل الذي نراه، مع أنني لا أنكر أنها من أمرات حسن الخاتمة، لكنها ليست أمارة ولا شبه أمارة على أن صاحبها كان على الحق ومخالفيه كانوا على باطل وضلال كما أنني مع قطعي بخارجية داعش وضلالها واختراقها، لكني أعرف أن في صفوفها من غُرر به، أو أحسن الظن بهم، أو أراد استصلاحهم أو التحق بهم قبل أن تتبين له جرائمهم، أو اعتقد أنهم أحسن الموجودين في المنطقة التي ذهب إليها أو غير ذلك من الأعذار التي نعتذر لهم بها ونرجو لهم بذلك حسن الخاتمة، لكن هذا كله لا يقدم ولا يؤخر في معرفة الحق، فإن له أدلته وبراهينه المعتبرة، وليست بهذه الشبهات العاطفية التي تغر الأحداث ولم يقل أحد من العلماء أن كل من قتل من داعش من أهل النار أو أنه لا عذر له عند الله، فهذه أمور غيبية أمرها إلى الله، ولا نحكم لأحد بجنة ولا نار كما هو معتقد أهل السنة والجماعة، وإنما حكمنا على طائفتكم أنها طائفة بدعة وضلالة وأنها خارجية، وقد أثبتنا ذلك بالأدلة وليس بالشبه العاطفية التي تتصيدون بها الشباب والعامة، ولا عذرلمن تبين له ضلال داعش وخارجيتها أن يستمر معهم أو يتعاطف معهم، معتمداً على شبههم العاطفية فإن العاطفة لا تغني من الحق شيئاً، وهذه الشبهة شبيهة بشبهة المباهلة السابق ذكرها، فهم يهوشون بها على الناس فإذا فتشتها لم تجد لها حجة، ثم إن المؤمن يموت بعرق الجبين كما قال ﷺ، ولم يقل أن من علامة الإيمان إبتسام الميت فهذه أحوال تكون لناس دون ناس بلا تهمة ثم لو سلمنا لكم بصحة هذه الصور فهي في قتال الكفار والرافضة والنصيرية، وليست في مفخخاتكم ضد المجاهدين والمسلمين، فقد رأيت صورهم ولم أرهم يبتسمون كما زعمتم، فقد كان بعض الخوارج يقاتلون في صفوف الجيوش الإسلامية ضد الفرس، فلما خرجت نابتت الخوارج التحق بهم وقاتل علي وأصحابه، وهذا ما حدث تماماً من بعض الشباب الذين يحملون جينات الفكر الخارجي، فمن قُتل في أثناء قتال النصارى والرافضة رجونا له الشهادة، وبعضهم أدرك قتال داعش للمجاهدين فتحرك فيه فكر الخوارج

والتحق بهم، فهو منهم، فهل عندكم برهان على حسن خاتمة من قَتل المجاهدن وكفرهم وفجر فيهم!!؟؟

ثم هناك وجه آخر للرد على هذه الشبهة، وهو: أن هذه الصور قد رأيناها عند جميع الفصائل التي تقاتلونها وتستحلون دماءهم، بل وتكفرونهم، فهل هي حجة لكم ولهم، أم هي حجة لكم فقط !؟ فإن كانت حجة للطرفين فهذا يدل على أنها لا تبين حقاً ولا باطلاً بل هي أحوال مختصة بأصحابها ليس أكثر، وإن قلتم بل هي حجة لنا فقط، لأن تلك الصور عندهم كانت قبل أن يكونوا صحوات ويرتدوا ويقاتلوا الدولة فأقول ويمكنهم إجابتكم بنفس الجواب، فيقولوا: بل هي حجة لنا فقط، والصور التي عند الدواعش إنما هي قبل أن يظهروا خارجيتهم ويقاتلوا المسلمين ويكفرونهم وبذلك لا يكون فيها حجة لأحد وهذا هو الصحيح أنه لا حجة لأحد فيها، لأن أقصى ما فيها حسن الظن بخاتمة هذا القتيل وإن كان له أخطاء فلعله معذور عند الله أو له تأويل وكما سبق أن الذي يهمنا هو أحكام الدنيا وليست أحكام الآخرة، فلا تفتأت أخي على الله وتجزم لأحد بجنة أو نار، بمجرد اجتهادك وظنك وتخمينك.

بل هناك نقض عليكم أشد مما سبق، فهذه صور شهداء حماس فيها عشرات الصور على الحالة التي ذكرتموها وهي الابتسامة، مع أن حماس عند كثير منكم كفار بل بعضكم صرح بأن قتالها أولى من قتال اليهود، فهل ستنفعهم هذه الصور لديكم وتخففوا عنهم تلك الأحكام!؟ أم أنكم ستخرجون منها بألف حيلة وحيلة التي تغر ولا تسر، فإنها لا تحق حقاً ولا تبطل باطلاً، وتفحّص أخي كلما تسمعه ممن يريد أن يلبس عليك، فتبين الحجة من غير الحجة ولا تغتر بالظواهر، فهذه صفات الخوارج التي ذكرها رسول الله ﷺ، ظاهرها الحسن وباطنها الشر المحض يقولون من خير قول البرية، ثم هم أشد على المسلمين من كل أحد ولعلك تذكر وفقك الله قاتل علي رضي الله عنه فإنه لا خلاف في خارجية ابن ملجم وقد صح الحديث أنه في النار فقد قُدم للقتل بعد أن قتل أمير المؤمنين فكان هذا الخارجي يقرأ القرآن ويذكر الله فهل اغتر الصحابة بحاله هذه أو اعتذروا له أو شكوا في أن أو شكوا في أن علياً على الحق وأن هذا الخارجي من كلاب النار مع هذه الأحوال المغرية، لم يغتروا لأنهم يعرفون حجج الحق ولا تغرهم الأحوال الظاهرة والعاطفية مهما كانت فليت شعري لو كان ابن ملجم حيا كم سيفتن به، وكم سيغتر بصلاحه الظاهر فكيف لو رأوه يقرأ القرآن وهو يساق للقتل!؟

هذا جوابي على هذه الشبهة التي شرقوا بها وغربوا، وحشدوا لها في كل إصدار يخرجونه، ليتصيدوا بها من قل نصيبه من العلم والبصيرة.

١٤- الشبهة الرابعة عشرة، فهي قولهم: كيف تقاتلون أهل التوحيد والموحدين، ويدندنوا حول هذا الوصف ليزكّوا به أنفسهم ويثلبوا به الآخرين وهذا والله من مكر الشيطان بهم فإن مجرد الأسماء لا تحق حقاً ولا تبطل باطلاً إنما العبرة بما تحت هذه الأسماء فكل البدع تجد أهلها قد اختاروا لأنفسهم احسن وأفضل الأسماء فالرافضة شيعة آل البيت والخوارج الشُراة (يعني، إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم) والمعتزلة أهل والمعتزلة أهل العدل والتوحيد بل حتى الباطنية أهل الحقائق والتوحيد فهل أغنت عنهم تلك الأسماء شيئاً، وهل غيرت من حقيقة بدعته وضلالهم!؟

فينبغي أن تحرص أخي على الحقائق والمعاني، وليس على الشعارات والأسماء ثم إن هذا الإسم على وجه الخصوص وهو التوحيد قد رفعه أبعد الناس عن الحق فقد رفعه الخوارج الأوائل، ثم المعتزلة إلى اليوم وهو من أصولهم الخمسة، ثم خوارج المغرب رفعوه وذبحوا أهل السنة من تحته، وسموا دولتهم دولة الموحدين، مع أنها دولة البغي والقتل والبدعة، التي أزاحت دولة المرابطين، بنفس حجج الدواعش

اليوم حذو القذة بالقذة، فما أشبه البدعة بالبدعة، وقد كانوا يشنعون على المرابطين بمنكرات ومخالفات، فلما صار الأمر إليهم فإذا المرابطون كانوا خلافة راشدة مقارنة بالموحدين

ولم يكن هذا الإسم مانعاً للعلماء من وصمهم بالبدعة والخروج، وأنهم أهل ضلالة وبدعة، وإني والله ما رأيت في المبتدعة في عصرنا أكثر شبهاً من الدواعش بالموحدين، ولا أشبه بطريقة ابن تومرت من طريقة البغدادي، ومن عرف تاريخ الرجلين عرف صدق ذلك، وقد سبق أن كتبت مقارنة بينهما فإن زعق أحدهم وقال: فهل ينجر هذا على دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ومدرسته، فقد كانوا يتسمون بذلك وسخروا دعوتهم لتحقيق التوحيد فما جوابك ؟ فأقول إن دعوة الشيخ لم تكتسب فضلها وأحقيتها بهذه الأسماء والشعارات، فلو لم يكن لها من التوحيد إلا مجرد الأسماء والشعارات لم تختلف عن داعش ولكن الناظر فيها وفي رسائلها التي قرروا بها التوحيد، يجد العلم والحجة والنصوص التي قدموها على كل قول وفعل، فهم أهل توحيد لأنهم كذلك وليس لأنهم رفعوا هذا الشعار فقط ثم أين الدواعش الذين لا تكاد تجد فيهم طالب علم عفواً عن عالم عن دعوة الشيخ التي قارعت خصومها بالأدلة والحجج، وهذا تاريخها حافل بالعلماء الراسخين، وبمؤلفاتهم التي شهد لها القريب والبعيد، وتخرج بها علماء وأئمة فهل تقارنهم بقتلة المجاهدين!

هذا ما يتعلق بهذه الشبهة، فليتك أخي المتعاطف مع هذه الجماعة الخارجية تقرأ بعدل وإنصاف، وبلا تعصب فإنه يعميك عن الحق ويصمّك وقد والله نصحت لنفسي ولك، ولم أقتصر جهداً في بيان الحق لنفسي ولك ووالله وبالله وتالله ما كتبت كل هذا إلا نصحاً لشباب أغرار، غرتهم الخطب العدنانية والشبه البغدادية فأحببت أن أضعها على محك العلم والدليل والحجة فإن وجدت في كلامي حقاً فلا تتنكب عنه فإنك لا تُعذر.

١٥- **الشبهة الخامسة عشرة**، وهي قولهم: لماذا لا تناصرون الدولة على النصارى والرافضة، حتى ولو كانت خوارج، فقد جاهد فقهاء المالكية مع دول خارجية قامت في المغرب لما جاهدت العبيديين؟ والجواب على هذه الشبهة، أن الرسول ﷺ أمرنا بمقاتلة الخوارج وليس المقاتلة معهم، بل ورد النص بقتلهم قتلاً ذريعاً فكيف تدعون الناس لبيعتكم المزعومة وأنتم أشر على أهل السنة وأشد كلاباً عليهم من غيركم، وكيف يبايعونكم وقد نحرتم فلذات أكبادهم وخيرة قادتهم!؟

فالعمل بالنصوص، ومباينتكم ورفض الأمة لكم حتى تعودوا إليها فهي الأصل وأنتم الفرع، فكيف يعود الأصل للفرع!؟ هذه والله نكسة عظيمة لو حدثت.

أما شاهدكم وهو قتال فقهاء المالكية مع خوارج المغرب، فأقول صدقتم والله، وهو خير دليل لنا عليكم، فقد كانت نتيجة تلك المعاونة كارثية، فقد رجعت عليهم سيوف الخوارج بأسوأ مما حذِرت منه من العبيديين، فقد قتلت الخوارج كثيراً من أهل السنة وفقهاء المغرب الذين وقفوا معهم ، فهل يلدغ المؤمن من جحر مرتين!؟

إن النصوص والتاريخ والواقع يبين ويثبت أن الخوارج لا عهد لهم ولا ذمة، فهم أهل غدر وخيانة ومداهمة للسنة ثم إن هذه الشبهة يمكن أن تروج أكثر لو أغلق باب الجهاد إلا عن طريق الجهاد مع الخوارج، وهذا أمر لا يكون شرعاً ولا قدراً ولله الحمد، فهذه كتائب الجهاد السني السلفي ولله الحمد في كل بلد تُرفع فيه راية الجهاد، ولم ولن يحوج الله الأمة للخوارج ولا لغيرهم من أهل المروق عليها.

سأقف عند هذه الشبهة فيما يتعلق بشبههم العامة، وسأعرج على بعض التلبيسات الخاصة التي أرادوا أن يشوّشوا بها على ما كتبته عن شبهاتهم العامة، ولولا ما رأيت من سعيهم بها حتى يصدوا الشباب عن قراءة ما كتبته عنهم، لم أتعرض للجواب عليها، فإن شخصي ليس مقياساً

للحق ولا للباطل، فمن ذلك قولهم كيف كان البغدادي شخصية العام عندك، ثم بعد ذلك بأشهر أصبح عندك طاغوتاً، فهذا من تناقضك وجهلك وتعجلك، أو عمالتك وخيانتك.

وما عجبت والله من شبهة عجبي من هذه، وزاد عجبي أن رددها بعض من أُحسن الظن بفهمه وعقله، لكن المفيد في الأمر أن تتبين لك تلك العقليات وطريقة تفكيرهم، وكيف يريد أحدهم أن تزكي بغداديه إلى الأبد مهما أحدث من الأوابد والجرائم، وأين هذا في كتاب أو سنة أو عقل، أن المدح لازم أبداً، أو أن الذم لازم أبداً، وهل مر عليكم أن من صحابة رسول الله من ارتد على عقبيه، وقد كان رسول الله يوليه كتابة الوحي، كما حدث مع ابن أبي السرح، وهل مر عليكم أن عشرات الأئمة اغتروا بالمختار بن أبي عبيد واصطفوا معه في جيشه، وكان ابن عمر يحسن به الظن وشفع له حتى أخرجه من سجن مصعب ابن الزبير، ثم هو بعد ذلك مرق من الدين، وكفّره من كان يقاتل معه ،فهل تعقلون مثل هذه الأفعال ؟!

ألا تجدون في كتب الجرح والتعديل الكلام ونقيضه في الرجل الواحد من بعض كبار الأئمة والنقاد، وهل تذكرون كلام الإمام مالك عن عبدالكريم بن أبي مخارق، فهل كان مالك متناقضاً؟! إن هذه قضية بدهية لا تقبل النقاش، أن من أظهر خيراً مدح به ومن أظهر شراً أُخذ به، وهذا هو عين ما فعلت ولله الحمد فلست متعصباً لأحد لا من قبل ولا من بعد، وقد كتبت إشادة ببعض الأعمال التي عملتها جماعة البغدادي، وكنت صادقاً في ذلك والله يعلم أنه لم يدفعني لذلك إلا حب ذكر الحق لأهله، ولم أحابي فيه أحداً، وقد كنت في تلك الفترة أناصحهم سراً وقد أجهدت نفسي في ذلك، وإن منهم من يعلم ذلك، وقد كنت أخاطبهم في تلك الفترة بما أظهرته لهم بعد ذلك، وما أظهرت نقدهم إلا بعد أن تعذر تغيير فكرهم الخارجي سراً، وقد جرب هذا معهم عدد من المشايخ وطلبة العلم، بل وصل الأمر أنهم اتخذوا إشادة المشايخ بهم حجة وذريعة في التطاول على بقية الفصائل المجاهدة، وحتى قال بعض المجاهدين الآخرين لقد آذانا سكوت المشايخ وطلبة العلم أكثر من تطاول الخوارج علينا، لقد رفض البغدادي تحكيم شرع الله بحيل وتمحلات تضحك المحزون، ثم يتبجح هو وجماعته بأن همهم تطبيق شرع الله ؟!

وليت شعري أي شرع ستطبقه خلافة داعش شرع البغدادي أم شرع العدناني أم شرع الأنباري أم شرع العراقي؟!

فكفاكم استخفاً لعقول شبابنا الذين اتخذتموهم سلّماً لدولتكم الغاشمة، وإن ذكرتم بعض الإنجازات والحسنات لها، فسأجد لأسوء دولة عربية أكثر من ذلك، وليست العبرة هل عندهم حق أم لا، فإن الباطل المحض لا يوجد حتى في إبليس، فما من أحد أو نظام أو جماعة إلا ولها بعض الحق فمن اتخذ هذا الحق ذريعة لتبرير أو تمرير باطله فهو شيطان، وقد ذكر ابن تيمية قاعدة بديعة جداً أدعوك أخي أن تتدبرها وتحكمها في كل قول تسمعه، وهي قوله: إن الحق المحض لا يرده أحد والباطل المحض لا يقبله أحد، وإنما يروج الباطل الذي يمزج بالحق، فإن عُرض لك الباطل فلا تقبله ولوا خلطوه لك بكثير من الحق، وهذا ما يميز أهل العلم والبصيرة والخبرة عن حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام ولا علاج لها إلا لزوم العلماء، فهذا ما يتعلق بشبهتهم تلك وهي مع كونها شخصية بي، إلا أن فيها ما يتعلق بفهمهم وعقولهم وطريقة تفكيرهم ولولا ذلك ما ذكرتها وأجبت عنها.

فهذا بعض ما يتعلق بهذه الشبهات التي تعلق بها أتباع داعش والمتعاطفون معهم، أجبت عليها بما فتح الله به والله من وراء القصد والنية، أقول هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين، ولا زلت أتقبل كل نقد وتوجيه من طلاب العلم وغيرهم وأسأل الله أن يلهمني الصواب.